شاعر البوادي الخضر

عبد العزيز سعود البابطين

سيرته وشاعريته

محمد رضوان

مكتبة جزيرة الورد

بطاقة فهرسة

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة جزيرة الورد

اســم الكتاب : **شاعر البوادي الخضر**

المـــــــؤلف : محمد رضوان

رقــم الإيداع : 2849/ 2019

الترقيم الدولي: 978-977-834-002-0

الطبعة الأولى 2019

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميــدان حليـــم خلـــف بنـــك فيصـــل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

يقـــــرأ العشَّـــــاقُ شـــــعري فيـــــه نـــــوحي وعـــــذابي
فيميـــــلُ القلـــــب أنّـــــي لم أُبـــــح إلا بمـــــا بـــــي
ياليـــــالي الـــــدَّهْر وافـــــت ليلـــــةُ العمِـــــر بمـــــا بـــــي
إن أيـــــــامي تقضَّـــــــتْ في شـــــتاتٍ وانتهـــــابِ

عبد العزيز سعود البابطين

مقدمة

■ محمد رضوان
ناقدًا ومؤرخًا أدبيًا

بقلم د. ماهر شفيق فريد

يسلك الأديب الناقد محمد رضوان في دراساته النقدية التاريخية لأعلام الشعر العربي المعاصر منهجًا وجدانيًا يجمع بين التحليل الموضوعي ، والاستجابة العاطفية ، يغلب عليها طابع الذاتية ، فهو يحرص على أن نتلمس نبضات قلب الشاعر المدروس وأن يعيش خبرته الوجدانية من الداخل أو كما يقول عنه السفير الشاعر أحمد عبد المجيد (1905-1980) في مجال تقيمه لمنجهه الوجداني :

«حين يتولى محمد رضوان كتابه سيرة لشاعر من الشعراء نراه يدلف إلى روحه ويتسرب إلى حياته وما اضطرب فيها من حال إلى حال ويتشح برداء عصره الذي عاشه ، ويتنسم ما كان يستنشقه فتجيء ترجمته كظل الغصن أو رجع الصدى » .

فالنقد – وإن ضرب بسهم من مناهج العلم المنضبطة – يظل أقرب إلى الفن ، أنه كما قيل بحق إبداع مواز .

■■

ومحمد رضوان في دراساته التحليلية النقدية التأريخية كان ناقدًا فنانًا في رهافة حسه وتفتحه على التجارب الإبداعية المختلفة .

فنانًا في فطنته إلى ما تقوله السطور وما تسكت عنه .

فنانًا في قدرته على التمييز بين الجواهر الأصيلة والجواهر الزائفة .

وقد أصدر كتبًا عن شاعر الكرنك أحمد فتحي ، وشاعر الأطلال إبراهيم ناجي وشاعر الجندول على محمود طه المهندس ، كما خص صالح جودت بدراسة أخرى معمقة عنوانها «شاعر النيل والنخيل» كما أصدر عنه دراسة بعنوان «قيثارة مصر : صالح جودت» كما قام بجمع وتحقيق ودراسة دواوين على محمود طه ، وصالح جودت وأحمد فتحي وعبد الحميد الديب (1).

ويرتد محمد رضوان إلى الوراء قليلاً في الزمن فيخرج طبعة محققة لديوان شاعر البؤس عبد الحميد الديب (1898 - 1943) قدم لها فاروق شوشة (المجلس الأعلى للثقافة 2000) وكان رضوان قد أخرج عنه كتابًا عنوانه «فيلسوف الصعاليك عبد الحميد الديب» (مركز الراية بالقاهرة 1999) ، وفي مقدمته للديوان – وهي تستحق أن تقوم دراسة قائمة برأسها - استعرض سيرته وبؤسه وصعلكته وإدمانه الخمر ثم الكوكايين وما عاناه من حرمان وزواجه ، ووطنيته ، وحياته في الوظيفة . ثم نهايته المؤسية بعد حياة قصيرة في حساب الزمن ولكنها أنتجت شعرًا نابضًا «بالحرارة والصدق والعذاب» .

وإذا تركنا كتابات محمد رضوان عن كتاب أفراد فربما كان خير مدخل إلى فكره النقدي هو كتابه الممتع المسمى «رحلتي مع القلم » وقد صدر في مسقط ،

(1) د: ماهر شفيق فريد : ناقد أدبي ومترجم وقاص (مواليد القاهرة 1944) من مؤلفاته : في الشعر الإنجليزي المعاصر ، ممالك الذهب – في الأدب والنقد .

عاصمة سلطنة عمان سنة 1984 ، وقدم له السفير الشاعر الأديب أحمد عبد المجيد ، وكتابه أشبه بسيرة أدبية ، أو ترجمة لجوانب من حياته من منظور الأدب ، وذلك منذ شب في قرية «الجمالية» بمحافظة الدقهلية المطلة على البحر الصغير حتى بدأ يكتشف عالم القراءة السحري ، ثم أقام بالقاهرة ، والتحق بكلية دار العلوم حيث كانت فترة دارسته الجامعية بها (1966- 1970) من أخصب سنوات حياته وأحفلها بتجارب الأدب والفن ، ويروى لنا كيف اتجه إلى أدب السير والتراجم منذ وقع في يده ديوان إبراهيم ناجي «ليالي القاهرة) في عام 1962 تقريبًا، ثم قرأ كتاب صالح جودت عن «ناجي، حياته وشعره ».

ويسجل محمد رضوان ذكرياته عن أعلام عرفهم مثل أنور الجندي وتوفيق الحكيم وأحمد حسن الزيات وصالح جودت ويوسف السباعي وإبراهيم المصري والمفكر التركي مقداد يالجن وأنيس منصور وعبد العليم القباني ومحمود البدوي ورستم كيلاني والشعراء إبراهيم عيسى وأحمد خميس ومحمد الجيار وأحمد عبد المجيد .

وتستغرق النصف الثاني من كتابه دراسات عن ناقدنا بأقلام الشاعر صالح جودت والشاعر عبد العليم القباني ، والشاعر أحمد عبد المجيد والناقد نبيل راغب . ألقوا فيها الضوء على مؤلفاته ودراساته عن زكي مبارك وعبد الحميد الديب وعلى محمود طه ، وإبراهيم ناجي ، وأحمد فتحي ، فضلاً عن كتابه «من أبطال الإسلام » ، ودراسة بقلم السفير الشاعر أحمد عبد المجيد عن «منهج محمد رضوان في أدب السير والتراجم» .

وطبيعي أن يخوض محمد رضوان – في حياته الأدبية التي توشك أن تغطي أربعة عقود – عددًا من المعارك الأدبية ، تميز فيها بسطوع الحجة ، وبلاغة القلم ،

وعفة اللسان .

وفي زمن جنح فيه النقد الأدبي إلى الوعورة والمعاظلة ، حتى صار الناقد منفـرًا لا مبشـرًا ، تبـرز كتـب محمـد رضـوان ومقالاتـه نموذجًـا للوضـوح الجميـل ، والبساطة التي لا يعوزها العمق ، وإشراق اللغة ، والتمكن من تراث العربية شـعرًا ونثرًا مع نـزوع إلى التجديـد دون تطـرف ، وحفـاظ عـلى المـوروث دون جمـود ، وستظل حياتنا الأدبية مدينة له بإزالته الغبار عـن قـيم أدبيـة لم تلـق في عصـرها مـا تستحقه من تقدير وإكبار فهو – إذا استعرنا كلمة شوقي في رثاء حـافظ – منصـف الموتى من الأحياء أو هو – كما يقول فاروق شوشة – قد «وقف قلمه على إنصاف كثير من الأدباء والشعراء ونشر المجهول من أعمالهم الإبداعية وإعادتهم إلى قلب الذاكرة الأدبية » كما يقول الشاعر فاروق شوشه في كتابه «جمر الكتابة » (1) .

***

محمد محمود رضوان ناقد جمالي ينفذ بروحه الرحبة إلى تـذوق الفـن الجيـد ، فبفضل استبصاراته وتحليلاته أنـار لنـا مـن زوايـا الأدب والفـن مـا كـان مظلمًـا ومجهولاً مما مكننا أن نتذوق نماذج من الشعر العربي المعاصر عـلى نحـو أعمـق وأصدق وأرهف ، كما اتصف العديد من الشعراء والأدباء أمثال على محمود طه ، وأحمد فتحي ، وصالح جودت ، وأحمد خميس ، وعبد الحميد الديب وغيرهم فقـام بدراسة سيرهم وإبداعهم كما قام بجمـع وتحقيـق أعمـالهم الإبداعيـة المعلومـة والمجهولة ، فأنصفهم وأتاح لنا أن نقرأ سيرهم وأعمالهم الكاملـة ، فأنقـذها مـن الضياع والنسيان .

***

(1) فاروق شوشه : جمر الكتابة / المجلس الأعلى للثقافة / القاهرة 2010 / ص 117 .

وبعد ، فإن مؤلفات الأديب الناقد محمد رضوان التي أصدرها منذ حوالي نصف قرن شكلت إضافة غنية إلى حقل الدراسات الأدبية في مجال الشعر العربي المعاصر ، واهتمام خاص بشعراء الوجدان المعاصرين ، ومنهم شاعر البوادي الخضر ، عبد العزيز سعود البابطين وهو كتاب جديد يعد أحدث حلقة في سلسلة مؤلفاته التي اطرد صدورها منذ أكثر من أربعة عقود ، وتناول فيه بالدراسة والتحليل سيرة الشاعر وينابيع تكوينه ، وألقى الضوء على ملامح شعره الوجداني الذي جمع فيه بين الوجدان العاطفي والوجدان الوطني والقومي كما ذكر المؤلف في كتابه .

د. ماهر شفيق فريد

القاهرة 2018

مقدمة

■ لماذا «شاعر البوادي الخضر» ؟

بقلم : محمد رضوان

ارتبط الشاعر عبد العزيز سعود البابطين بديوانه «بوح البوادي» ارتباطًا فنيًا وعاطفيًا ووجدانيًا ، مثلما ارتبط شعراء الوجدان بديوانهم الأول فارتبط على محمود طه بديوانه «الملاح التائه» وارتبط إبراهيم ناجي بديوانه «وراء الغمام» وارتبط محمود حسن إسماعيل بديوانه « أغاني الكوخ» وارتبط الشاعر أبو القاسم الشابي بديوانه «أغاني الحياة» .

وإذا كان للشاعر عبد العزيز سعود البابطين داووين أخرى مثل «مسافر في القفار» (2004) وأغنيات الفيافي (2017) إلا أنني أعتبر أن «بوح البوادي » هو الدفقة الأساسية الأولى التي حددت اتجاه شاعرنا وكشفت عن أعماق ذاته وملامحه النفسية والوجدانية والإنسانية فكان هذا الارتباط الوجداني والشعري بين شاعرنا وديوانه الأول الذي نم عن أعماقه وانتمائه العربي واعتزازه بالبادية والصحراء وعشقه للحسن والجمال وتغنيه بالحب العفيف بكل ما يحمله من سمات وخصائص صافية ، فضلاً عما يحتويه من قيم نبيلة واعتزازه بالشعر العربي الفصيح

بجناحيه الوزن والقافية وسط طوفان «التغريب » و «التخريب» .

وقد يكون ذلك راجعًا إلى أن كل ديوان من دواوين شعراء الوجدان كان التعبير العميق لشخصية الشاعر ووجدانه وخلجات قلبه ، وهمسات روحه .

ومن هنا أرى أن من يريد أن يتعرف على ملامح وسمات عبد العزيز سعود البابطين العاطفية والنفسية والوجدانية والإنسانية عليه أن يتمعن في قراءة ديوانه «بوح البوادي » فسيجد كل ما قلت مجسدًا .

في هذا الديوان نجد بوحه وهو يناجي البادية ويناجي طيف محبوبته ويناجي نخلة الصحراء ويناجي النجم البعيد في السماء ويناجي بدر الليل ويحمل رياح الصحراء أشواقه وحنينه إلى المحبوبة وتشف روحه وتسمو حين يناجي تلك المحبوبة ويهمس بأشواقه المتدفقة ويردد لها نجواه «اذكريني » عند سماع كل شدو طير وفي كل غيمة وفي كل تفتح ورد وكلما هل الربيع وكلما تنفس الفجر ، وهي نجوى عاشق يناجي طيف الخيال يعبر فيها عن ثورة وجده وعتابه وحنينه وشوقه إلى الحبيب النائي والشاعر حين يبوح للبوادي بأشواق قلبه وهمسات روحه يحيل كل حبة رمل حوله إلى بستان من الأشجار الخضراء اليانعة ، والزهور والندى فيصبح البلقع حديقة مزهرة يافعة فيصبح بوحه إلى البوادي الخضر شهادة حب وعشق ينم عنها شكوى الصبابة ووشاية الدموع وسلطان الحب وطيف الخيال وعتاب المحب ونوح الحمام وأرقه وسهاده ، وصوت الطير الساري .

وعليه فإنني أجد ارتباطًا وثيقًا بين عبد العزيز سعود البابطين وديوانه بوح البوادي الذي يعبر بصدق عن الملامح الوجدانية والنفسية والإنسانية للشاعر الوجداني المحلق في سموات الحب والجمال وصدق من قال إن أجمل ما في نفوسنا موروث من البداوة ، فالبداوة طهر ونقاء وأمومة عليا على حد تعبير د. مصطفى ناصف الذي ذكر أن الشاعر وجد نفسه في موقف قديم جديد ، موقف

بدوي حضري، يريد أن يجمع بين الأمس واليوم .

وللبيئة دور عميق ومؤثر في حياة الشعراء وإبداعهم .

وللبادية خصائص وسمات تقترن بالبطولة ، والعاطفة الجياشة والكرم ، والإيثار والتحدي ، والاعتزاز بالذات .

وفي هذه البيئة ولد ونشأ شاعرنا عبد العزيز سعود البابطين ، حيث الفضاء اللانهائي ، والسماء الصافية ، والنجوم اللامعة التي تلهم الشاعر ـ والظباء والوعول والنخيل المتفرد في جوف الصحراء ، كلها سمات وخصائص تأثر بها الشاعر ، لأنه نشأ في ظلالها وبين جوانبها . .

في هذه البيئة المتفردة ولد عبد العزيز سعود البابطين في أسرة محبة للأدب والشعر ، فقد كان والده شاعرًا نبطيًا ، كما كان عمه قاضيًا وشاعرًا ، وخاله نسبا هو الشاعر محمد بن حمد بن لعبون (1790 – 1831) أحد أعلام الشعر النبطي في منطقة الخليج والجزيرة العربية حيث عاش حياته متنقلاً بين نجد والبصرة والبحرين وأخيرًا الكويت التي توفي بها ودفن بأرضها .

ومن هنا نشأ الطفل عبد العزيز وسط هذه الصحبة في رياض الشعر والأدب وموسيقى الشعر وعذوبته ، ويكشف عن علاقة الشاعر بالبادية في تجلياتها المختلفة ، فالشاعر اكتسب روح الغرام من البادية ، ولكنه لا يلبث أن يتوجه نحو الذات ، وسرعان ما تمتزج فطرة البادية ، وصفاءها بمعطيات الحضارة الحديثة .

وميزة شاعرنا أنه ما زال متمسكًا بعمود الشعر العربي وأصالته كالقابض على الجمر في هذا الزمان الذي سادت فيه موجات الانفلات والتحلل من أصالة الشعر العربي العمودي ، بدعوى الحداثة وظهور ما يسمى بقصيدة النثر واعتبار أن الشعر الأصيل سواء من خلال رواد الشعر العربي القديم أو أعلام الشعر العربي

المعاصر هو «مجرد استدعاء للماضي» وهي دعوى مضللة ومضلة تهدف إلى هدم ثوابتنا وجوهر حضارتنا ولذا كان شعره مع شعراء الأصالة هو السد المنيع أمام محاولات تقويض أركان لغتنا العربية الفصحى لغة الضاد !

***

وبعد ، فإنني حين أقدم هذه الدراسة عن عبد العزيز سعود البابطين شاعر البوادي الخضر فإنما أقدم وجهًا عربيًا مضيئًا أوقف وقته وجهده وماله من أجل إعلاء مكانة الشعر العربي العمودي وأصالته والحفاظ عليه والتذكير برواده وأعلامه القدامى والمعاصرين ، فكأنه من خلال مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية قد أقام قلعة حصينة شامخة أمام كل السهام التي حاولت اختراق هذه القلعة المنيعة التي تحمي لغتنا وأصالتنا وهويتنا العربية الصافية .

فليكن هذا الكتاب لبنة أضيفها إلى هذه القلعة الحصينة بتناول فارس الشعر العربي الذي قام بتشييد هذه القلعة ووضع لها أسس الحياة والنمو والصمود أمام كل الموجات العاتية التي تحاول أن تخترقها وتسعى لهدمها .

وهذه الدراسة التي تتناول إبداعات الشاعر عبد العزيز سعود البابطين تجيء ضمن سلسلة دراسات عكفت عليها منذ أكثر من ثلاثة عقود عن أعلام شعرنا العربي المعاصر من أصحاب الاتجاه الوجداني أصدرت فيها دراسات عن علي محمود طه ، وإبراهيم ناجي ، والهمشري ، وصالح جودت ، وعبد الرحمن صدقي، وأحمد فتحي ، وعبد الحميد الديب ، وأحمد خميس ، إيمانًا مني بأن هؤلاء النجوم الساطعة هم وجه الشعر العربي الأصيل وواجهته المضيئة في مواجهة خفافيش الظلام ودعاة التخريب ومحاولة طمس فن العربية الأول : الشعر الأصيل !

وقد منحني الله تعالى الصبر والجلد على مدى حوالي نصف قرن من الزمان لأنجز دراسات عن شعراء الوجدان المعاصرين وجمع آثارهم المجهولة وتحقيقها ودراستها ونشرها وفي أحايين كثيرة كنت أنفق من قوتي وقوت عائلتي حتى أظهر للقارئ الأعمال الأدبية خدمة للأدب والتاريخ وإنصافًا للشعر العربي الأصيل ومساندة لرواده وأعلامه المعروفين والمنسيين.

***

وأرى أن عبد العزيز سعود البابطين قد تأثر في شعره الوجداني بأعظم شاعرين عربيين من أصحاب الاتجاه الوجداني وهما :

شاعر الجندول ، على محمود طه ، وشاعر أغاني الحياة ، أبو القاسم الشابي . فقد جمع على محمود طه بين الوجدان العاطفي والاتجاه القومي في شعره ، كما أن أبو القاسم الشابي وقف شعره على الجانب الرومانسي وكأن إبداعه الشعري قصة حب طويلة يناغي فيها محبوبته التي تكاد تكون طيفًا هائمًا في ملكوت الشاعر الهيمان والتي كانت لديه :

عذبة أنت كالطفولة كالأحلام
كاللحن ، كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك كالليلة القمراء
كالورد ، كابتسام الوليد
يا لها من وداعة وجمال
وشباب منعم أملود

وهكذا كان شعر البابطين العاطفي كأنه مناجاة حارة متقدة لملهمته البعيدة في لحظات الوصل والهجران .

وهناك ملمح آخر تأثر فيه البابطين بالشاعرين المبدعين وهو تلك الغنائية الموسيقية التي طبعت شعره ، فاتسم شعره بذلك الطابع الغنائي الموسيقي بحرصه على أصول الشعر العربي وأصالته وتمسكه بالوزن والقافية مع التجديد في الشكل والمضمون ، فجاء شعره تعبيرًا عن ذاته ووجدانه العاطفي يحتوي على ذلك الطابع الغنائي واختيار اللغة الشعرية التي تعبر عن ذوقه الفني والجمالي .

وكان من أبرز أسباب إيثاري لشعر عبد العزيز سعود البابطين هو ذلك الزخم الذي يمتلئ به شعره ولذلك فإنني حين أقدم هذه الدراسة عن هذا الشاعر العربي فإنما أقدم شاعرًا عربيًا وجدانيًا أصيلاً ، عبر عن الوجدان العربي الأصيل ، سواء كان الوجدان العاطفي الذي تمثل في وجهه العذري السامي والذي استعاد به تلك النفحات الشعرية العربية الأولى التي انطلقت من قلب الصحراء العربية لتعزف على قيثارة الشعر العربي أجمل أغنيات الحب العفيف وأعذب نغمات ذلك الحب السامي على جبل التوباد وفي أعماق صحراء بني عذرة .

ليس هذا فحسب بل أن عبد العزيز سعود البابطين لم يعش مع شعره في برج عاجي عال وهو الثري الأمثل الذي منحه الله الموهبة والثروة والجاه ، بل قام بعمل فريد غير مسبوق على الساحة العربية حين رصد ماله وجهده ووقته لحماية الشعر العربي الأصيل وصيانته والزود عن حياضه وتأريخه وتوثيقه ورعايته ونشره وانتشاره من خلال مؤسسة ثقافية كبرى هي مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية التي قامت ولا زالت تقوم بدور فعال ومؤثر في حماية وصيانة الشعر العمودي الأصيل بعد أن تعرض لهجمات شرسة منذ أكثر من نصف قرن من الزمن وزادت الحملة شراسة من أتباع قصيدة النثر وما يسمى بالقصيدة الحداثية وما شاكلهما من أشكال وألوان .

***

وإذا كنت قد بدأت دراساتي عن الشعراء أصحاب الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر منذ نصف قرن والتي تناولت سيرة الشعراء : على محمود طه ، وناجي ، وصالح جودت ، وأحمد فتحي ، وكامل الشناوي ، والهمشري ، وشعرهم، وكلهم من مصر . فأنني اليوم أتناول شاعرًا عربيًا مجيدًا من أصحاب الاتجاه الوجداني الذي عبر عن وجدانه وعكس ما يعتمل في صدره من مشاعر وأحاسيس وهواجس وأفكار بصدق وحرارة وأمانة فجاء شعره الوجداني مفعما بالأحاسيس المتدفقة والعاطفة المتوهجة ومشاعر الشجن والاغتراب الروحي .

***

ولكن لماذا اخترت شاعر البوادي الخضر ، عبد العزيز سعود البابطين بالذات من بين الشعراء العرب المعاصرين أستطيع أن أجمل الأسباب فيما يلي :

أولاً : أن الشاعر عبد العزيز سعود البابطين عبر بصدق عن روح البادية العربية بما تمثله من معاني العزة العربية والاعتزاز بقيم البادية وتقاليدها وأخلاقها، كما أن طبيعة البادية بفضائها الرحب ، وصفاء سمائها ، وتألق قمرها ونجومها ، وذلك الفراغ الكبير قد ولد في قلب الشاعر أسمى عواطف الحب العذري وأنقاها ، مثل أسلافه السابقين جميل بن معمر وقيس بن الملوح وقيس بن ذريح وأمثالهم من شعراء الغزل العذري الذين سجلوا صفحات من الشعر الغزلي العفيف الذي يسمو بنظرة الشعراء إلى المرأة كمخلوق سامي يلهم أجمل المعاني وأنبل الأحاسيس ، فلم يكن غريبًا أن يكون البابطين بالفعل هو شاعر البوادي الخضر المعبر عن روحها وأصالتها .

ثانيًا : أن عبد العزيز سعود البابطين ينتمي إلى مدرسة الرقة العاطفية وهي المدرسة القريبة إلى قلبي والتي سبق وتناولت أعلامها بالدراسة والتحليل والبحث في دراساتي السابقة عن أصحاب هذه المدرسة مثل ناجي وصالح جودت

وعلى محمود طه وأحمد فتحي.

ثالثًا: أن عبد العزيز سعود البابطين يمثل نموذجًا فريدًا في عالم الشعر ، فقد بدأ حياته من الصفر وحفر الصخر الصلد بأصابعه حتى وصل إلى أعلى مراتب الثروة والجاه، ورغم ذلك لم يشأ أن يستمتع بثمار رحلة كفاحه وعصاميته وحده بل آثر أن يشاركه فيها أصحاب مملكة الشعر العربي الأصيل وأن يحيى تراث الراحلين ويكرم الموجودين ويشعرهم أن دولة الشعر العربي الأصيل لها حماتها ولها أنصارها وصوتها المعبر عنها ، فعملت مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية بجهود جبارة لتحقيق أمنيات شاعرنا بالسهر على صيانته وحماية هذه المملكة ورعايتها بنشر تراث الراحلين ونشر إبداعات المعاصرين وأصدرت في هذا السبيل معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ، ومعجم البابطين لشعراء العربية القرنين التاسع عشر والعشرين، وهما أول معجمين يصدران في الوطن العربي والعالم يؤرخان للشعر العربي المعاصر في القرنين التاسع عشر والعشرين وفي مطالع القرن الحادي والعشرين .

لهذه الأسباب الثلاثة مجتمعة اخترت شخصية الشاعر عبد العزيز سعود البابطين وهو الجانب الشعري الفني ، والجانب الموضوعي ، والجانب الحضاري برعاية الشعر العربي وصيانته ودعمه .

وهناك جوانب أخرى من جهود البابطين منها محاولاته لاستنهاض روح الحضارة في عدد من الدول الأفريقية والأسيوية والأوربية من خلال فتح مجال للحوار مع مثقفيها ودعم ورعاية المواقع العلمية والأكاديمية التي تعمل على تعليم اللغة العربية وإجادتها مما يحتاج لمجلدات للحديث عن هذه المجهودات.

لكن ليبق حديثي عن البابطين شاعرًا يرعى أبناء مملكة الشعر الشاسعة في وطننا العربي وفي كل مكان ينطق العربية وصدق قول وزير الثقافة السوداني

صديق المجتبى الذي لخص عبقرية البابطين أنها أدركت أن دولة الوجدان هي الأقوى وهي الأبقى في الحياة وأن دولة الثقافة خاصة أن ديوان الشعر هو الذي يؤلف بين العرب ، فلذلك كان الاحتفاء بالشعر .

***

وبعد ، فإنني حين أقدم للقارئ العربي هذا الكتاب « شاعر البوادي الخضر عبد العزيز سعود البابطين : سيرته وشاعريته » فإنما أقدم صفحة مضيئة من تاريخ الشعر العربي المعاصر ، بعد أن تكاثرت السهام على ساحة الشعر العربي الأصيل وتناوشتها فلول التخريب ودعاة الفوضى الذين يهدفون إلى هدم صرح الثقافة العربية وتحطيم دولة الشعر العربي الأصيل باسم التجديد والتحديث وهم من التجديد والتحديث براء .

***

فليكن هذا الكتاب دعوة لقراءة الشعر العربي الأصيل ، بكل ما يحمل من سمات الشعر العربي من أنفة وشموخ وحب عفيف وشهامة ومروءة ، وكلها معانٍ افتقدناها كثيرًا في هذا الزمن الصعب لكن مجرد وجود مثل هذا النوعية من الشعراء جدير بأن يمنحنا الأمل والتفاؤل ببزوغ شمس الحضارة العربية الأصيلة مرة أخرى وعلى رأسها الشعر العربي بأصالته وعذوبته وصفائه .

القاهرة ديسمبر 2018 **محمد رضوان**

الفصل الأول

عبد العزيز سعود البابطين
سيرته وثقافته

يــا صــديقي حــين أبغــي قنصَــها
أطــردُ الظبــيَ وصــقري والــذئابا
فلأنســى جُــرْحَ قلبــي والنــوى
وهُمــوم العشــقِ تكــويني اغترابــا
فأنــــا في البَــــرِّ نفسِــــي حُــــرَّةً
أُبْعِــــدُ الغربــــةَ عنِّــــي والعَــــذَابا

عبد العزيز سعود البابطين

ميلاد الشاعر

في عام 1936 ، ولد عبد العزيز سعود البابطين لأسرة عربية عريقة يرجع نسبها إلى «روضة سدير » ذات التاريخ العريق الذي يقترن منذ القدم بأمرائها «آل الماضي» الكرام حيث كانت تعج بالعديد من الأسر الكريمة التي طاب لها المقام بها منذ عدة قرون حيث كان جد البابطين يعيش منذ أكثر من اثنى عشر قرنًا في بلاد قحطان أصل العرب العاربة مع قبيلته عائذ الشم .

وآل البابطين ينتشرون في معظم أنحاء المملكة العربية السعودية ولهم فروع في الكويت وبعضهم في العراق ومصر ، وقد اشتهروا بممارسة التجارة ، وحبهم للشعر والأدب والفصاحة واستمساكهم بالتقاليد العربية الأصيلة.

ثقافته

نشأ عبد العزيز في ظل أسرة محبة للأدب والشعر ، فقد كان والده شاعرًا نبطيًا، كما كان عمه قاضيًا وشاعرًا وخاله نسبًا هو الشاعر محمد بن حمد بن لعبون (1790- 1831م) الذي كان من أعلام الشعر النبطي في منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية والذي عاش حياته منتقلاً بين نجد والبصرة والبحرين وأخيرًا الكويت الذي توفي بها ودفن بأرضها .

في ظل هذه البيئة المحبة للأدب والشعر أحب عبد العزيز الشعر وحفظ الكثير من القصائد منذ طفولته المبكرة (1).

وفي طفولته ظهرت عليه مخايل النباهة وارتياد مجالس الكبار ، وكان أبوه يأخذه مع أخوته إلى السوق ، فيشاهدون ما يجري فيها ويخالطون الرجال ، وإذا جن الليل واجتمع الرجال في الديوانية جلسوا في طرفها احترامًا للكبار وكان أبوه

(1) مجلة القافلة / عبد العزيز سعود البابطين مال وأعمال وسفر وحياة فطرية / 2004 .

يحرص على تواجدهم فيها وعندما يبدأ في سرد بعض مشاهد السوق وما جرى فيها يكتفي ببدء القصة ثم يقول : عبد العزيز ! كنت موجودًا ، قص علينا ما جرى فيكمل القصة ببساطة وطفولية عفوية حتى إذا ما انفض المجلس ودخلوا إلى بعضهم بدأ الأب بالنقد والتوجيه ، يقول عبد العزيز «كان لتلك المجالس دورها في حياتي ؛ فقد ربّت فيّ الشجاعة الأدبية والجرأة على خوض الحياة ومواجهة صعابها » (1).

ومنذ نعومة أظفاره ، عشق الكلمة الموسيقية ، فكان يحرص على حضور الجلسات التي يلقى فيها الشعر النبطي والشعر العربي الأصيل .

وتشرب عبد العزيز حب الأدب والشعر من والده وأخيه ، فتعلق بعالم الأدب العربي والشعر الأصيل فبدأ من محاولاته الشعرية الأولى في سن السادسة عشرة من عمره ، وكانت إرهاصات لموهبته الشعرية التي ترسخت فيما بعد وصقلت بالمزيد من القراءة المتعمقة في دواوين الشعر العربي القديم والمعاصر .

ومنذ بداياته الأولى قرأ الشعر النبطي وعاش في أجوائه وفي صحبة فرسانه وبجانب ذلك أحب فرسان الشعر العربي الأصيل القديم والمعاصر كالمتنبي وجميل بثينة وعمرو بن أبي ربيعة وابن زيدون ومن الشعراء المعاصرين كان أحب الشعراء إلى قلبه : شاعر الجندول على محمود طه والشاعر التونسي أبو القاسم الشابي ، ولعل حبه لهؤلاء الشعراء يوضح لنا إرهاصات اتجاهاته الشعرية التي اتضحت فيما بعد ..

وبعد أن شب عبد العزيز عن الطوق كان لابد أن يخوض غمار الحياة ، وفي بساطة يروي الشاعر بداياته الأولى بتواضع ينم عن أصالة هذا الرجل الذي لا

(1) الاتجاه الوجداني في شعر عبد العزيز سعود البابطين : إيناس الرفاعي عيد عوض، دار الوفاء الإسكندرية 2015 / ص14 .

يستنكف أن يحكي لنا بدايته المتواضعة في التجارة وكفاحه من أجل أن يوفر من راتبه مبلغًا بسيطًا في البداية ليبدأ رحلته التجارية في الحياة .

وعن المؤثرات التي أسهمت في تكوينه الشعري والأدبي في طفولته يروي لنا شاعرنا دور شقيقه عبد اللطيف الذي كان يحضر شعراء النبط في جلسات سمر شعرية كان الطفل عبد العزيز يحرص على حضورها والاستماع بشغف إلى القصائد التي كانت تروى » .

(طفولتي لا تعني القارئ في شيء لأنها كانت كأي طفل كويتي أو عربي عاش بين أقرانه يتخللها الشيطنة ، والروح السمحة والطموح منذ الصغر وبعدما كبرت قليلاً بدأت أحضر مجالس الشعر لشقيقي عبد اللطيف الذي كان يأتي بشعراء النبط في فترة الأربعينيات ، ويسجل لهم ما يقولونه وما يروونه عن الآخرين فنمت بذرة الشعر عندي .. وعندما لاحظ والدي - رحمه الله - وشقيقي عبد اللطيف هذه الرغبة في داخلي بدآ يدفعان لي بعض الدواوين الشعرية ، وبعدما صارت لدي حصيلة من المفردات العربية قدمت أول قصيدة بالفصحى بعمر 14 عاما ... ومن ثم بدأ تدفق الشعر في ذهني وبدأت أنميه من خلال قراءاتي) (1) .

يروي لنا عبد العزيز سعود البابطين بدايته البسيطة في الحياة ، وكيف حاول اقتحام صعاب الحياة وتوفير لقمة العيش بشرف وعصامية ، يقول :

«كانت البداية بسيطة جدًا .. فأول وظيفة لي كنت أمينًا لمكتبة ثانوية الشويخ عام 1954 ، في السنة الأولى كنت أصرف من راتبي على أصدقائي في قهوة الكمال في الشارع الجديد ، حيث كانت لدي هواية الدفع عن الناس ، وفي السنة الثانية ، وعندما وجدت أنني لم أوفر شيئًا ، تضايقت وبدأت أفكر بالتوفير ، حيث بدأت أذهب من البيت في المرقاب إلى المدرسة مشيًا على الأقدام ، وتوقفت عن زيارة

(1) في حوار مكتوب مع الشاعر في 17 يونيو 2017.

المقاهي ، وبدأت أتردد على العمارات الموجودة على الشاطئ التي يبيعون عندها المواد الإنشائية وأجلس هناك .. ومعي دفتر أكتب فيه كل ما أشاهده ، وأسماء الأشخاص الذين أتحدث معهم ، وما دار بيني وبينهم من حوارَ مع ذكر حسناته وسيئاته ، وهذه أفادتني في مجالين ، أولاً صقلت موهبتي في الكتابة ، وثانيًا علمتني كيف أدقق في أخلاقيات الناس ، كانت تجربة رائعة ومفيدة ساعدتني على توفير راتبي حيث وجدت في آخر الشهر أن معي 813 روبية .

«في السنة التالية جمعت مبلغًا جيدًا ، واستقلت من المعارف حتى أصبح معي 17 ألف روبية واشتركت مع أحد أقاربي وهو صديقي في الوقت ذاته في ملكية محل تجاري ، وكنت أيضًا استلفت منه 3000 روبية ، وكانت نسبتي 10٪ من قيمة المحل الذي كنا نبيع فيه الأدوات الصحية في شارع تونس ، وبعد مرور 6 أشهر انسحبت بسبب خطأ مني وليس من شريكي مع العلم أننا ربحنا في هذه الفترة 5000 روبية ، كان نصيبي 500 روبية ، وعندما أعطاني الشيك مزقته ، وطلبت منه أن يعيد إلىّ رأس مالي وهو 17 ألفًا ويستعيد سلفتي منه» (1).

نصيحة الوالد

-وبعد ذلك شاركت شخصًا آخر في محل (نوفوتيه) في المباركية نبيع الملابس النسائية وكنت أعلم أن الوالد يرفض هذا النوع من التجارة ، وعندما سألني أخبرته أنني أعمل في تجارة (النوفوتية) وهو لا يعرف معناها فاستوضح مني عنها فقلت له الحقيقة : عندها طلب مني أن أبتعد عن هذا العمل ، فما كان مني إلا الانسحاب .

الميول الثقافية

-كنت محبًّا للشعر وكان حلمي أن أصبح شاعرًا ، ووجودي كأمين مكتبة في

(1) في حوار مكتوب مع الشاعر في 17 يونيو 2017 .

ثانوية الشويخ عزز هذا الحلم حيث كنت أقرأ كل الكتب التي ترد إلى المكتبة حتى أصنفها ، مما أفادني في تكوين مخزون فكري وأدبي وثقافي ، وبعد أن استقررت ماليًّا شعرت عام 1969 أنه لابد من العودة إلى المطالعة فأخذت أقرأ دواوين كبار الشعراء القدامى ، وفي العام 1985 فكرت جديًا في إنشاء (مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري) وشاءت إرادة الله أن تخرج هذه المؤسسة إلى دائرة الواقع في العام 1989 وتبدأ عملها من القاهرة عاصمة الثقافة العربية الكبرى .

الشعراء الذين تأثرت بهم

-لقد تأثرت بجارنا سليمان الجار الله ، وكنا نقوم معًا بمحاولاتنا الأولى في كتابة الشعر ، ثم نقرأ لبعضنا ، ويشجع كل واحد منا الآخر إلى أن أصبح هو من كبار الشعراء .

وفي بوح نادر للشاعر الوجداني عن حكاية إصدار ديوانه الشعري الأول «بوح البوادي» عام 1995 وديوانه الثاني «مسافر في القفار» عام 2004 أجاب ببساطته المعهودة (□):

«لم يدر بخلدي منذ بدأت رحلتي مع الشعر قبل أكثر من أربعين سنة أن أصدر ديوانًا يضم قصائدي ؛ إذ أعتقد بأن تلك هي مشاعري وأحاسيسي وحدي ، فهي من خصوصياتي اللصيقة بي والتي هي ليست بالضرورة نتاج تجربة شخصية ، إلا أن بعض الإخوان والأصدقاء وبعض أعضاء مجلس الأمناء لمؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ألحوا عليّ بأن أصدر هذا الديوان لاعتزازي بالشعر ومحبتي المتدفقة للشعراء ، فاخترت مجموعة طبعت ومجموعة احتفظت به على مرّ السنين . هذا الإصدار سميته (بوح البوادي) ، لأن الكثير من قصائدي قلتها في

(1) في حوار مكتوب مع الشاعر في 17 / 6 / 2003 .

صحارى عربية وأجنبية خلال رحلات الصيد ، وطبع هذا الديوان عام 1995 ، ثم أتبعته بديواني الثاني «مسافر في القفار» الذي طبع عام 2004 م .

وحول صحبته للشعر والشعراء منذ طفولته المبكرة والشعراء الذين أحبهم ، قال [1]:

-أحببت الشعر وعمري16 عامًا وقرأت لأبي القاسم الشابي عشرات المرات، وقلت الشعر النبطي وعمري 11 عامًا ، وأعجبت بالشاعر المصري الراحل على محمود طه ، وكنت أتمنى أن يوفقني الله لأكون قادرًا على تكريم الشعراء ، فقد ابتعدت عنهم منذ دخلت الحياة العملية بنهاية الخمسينيات ولم أرجع لصحبتهم مرة أخرى إلا بعد استقراري التجاري وعن فكرة إنشاء مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري قال : [2] «وبدأنا في نهاية الثمانينيات وبالتحديد عام 1989 في إنشاء مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري »، وبدأنا بتوزيع أول جوائزها في القاهرة في مايو «أيار» 1990 بمشاركة وزير الثقافة المصري فاروق حسني الذي قال عنها «إنني أرى أمامي جائزة تلد واقفة) ثم حدث غزو النظام البعثي في العراق على بلادنا فكادت المؤسسة أن تذهب مع العاصفة ولكن الله تولاها بعنايته فاستطعنا إقامة حفلها الثاني في أكتوبر 1991 بدار الأوبرا في القاهرة وفي تلك السنة ولدت فكرة «معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين » الذي صدرت طبعته الأولى بعد ذلك في ستة مجلدات عام 1995 وطبعته الثانية في سبعة مجلدات عام 2002 .

وفي سؤال عن الدافع من وراء أعماله الخيرية أجاب [3] :

-الله خلق الإنسان ليؤدي في هذه الحياة رسالة ، وإلا لتوقف الكون ولكل

(1) المرجع السابق .

(2) في حوار مكتوب مع الشاعر في 17 يونيو 2007 .

(3) المصدر السابق .

إنسان قدرته على أداء تلك الرسالة فتربية الأولاد التربية الصالحة هي بحد ذاتها رسالة مقدسة ، وأنا مؤمن بكل هذا وبالآية الكريمة ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ والحديث ليس معناه الكلام فقط بل إبراز ما تتحدث ففيه بعمل ملموس تجد عند الله جزاءه إن شاء الله ، وإذا لم أقم بمثل هذه الأعمال الخيرية إذن ما الفرق بيني وبين من لا يملك ؟! ثم إن ما جرى في الكويت من غزو غاشم كاد يدمرنا لولا عناية الله، وهذه العناية بالتأكيد جاءت نتيجة ما يقوم به الكويتيون خاصة والخليجيون عامة من أعمال خيرة أدوا بها رسالتهم خير أداء .

وفي سؤاله عن مغزى بعض الكلمات وماذا تعني عنده جاءت أجوبته لتعكس بعض ملامح من شخصية عبد العزيز سعود البابطين الذاتية والإنسانية .

وهي كلمات بسيطة قالها الشاعر بتلقائية لكنها تحمل معانٍ ودلالات عن أعماق شخصيته وتكوينه الإنساني ، وقد جاءت إجابته على تلك الكلمات بتعبيرات محددة ومباشرة[1] :

كلمات ومعانٍ

الحياة

-فرصة يجب على الإنسان استثمارها لتأدية رسالته .

النقود

-وسيلة .

البحر

-سر الحياة وأجمل ما فيها .

(1) في حوار مكتوب مع الشاعر في 17 يونيه 2007 .

الشعر

-التعبير الوجداني لما وراء النفس البشرية .

وقد عبر الشاعر عن اعتزازه بعروبته وأصالته ونشاته وسط قبيلته في البادية بكل ما تمثله من قيم وأعراف وأخلاق عربية أصيلة في قصيدته «أصالة » (*):

خُلِقْتُ جَوادًا واحْتَوتْني أصَالةٌ ... وجئتُ من الماضِينَ من خيرِ مَنْسَبِ
وجاءَ جُدودي من جُدودِ قبيلةٍ ... لها في الورَى الإكبارُ من كلِّ يعربي
فَهُمْ في بني قحطانَ مجدٌ وعِزَّةٌ ... وقحطانُ في الأمثالِ أجْوَدُ مَضْربِ
فَجَدِّي«عبدُ اللهِ» (1) أفتى بنَجْدِهِ ... ونجدٌ به تاهتْ بعزٍّ ومنصِبِ
وجَدِّي لأمّي (2) طيِّبُ الذِّكرِ ... عليه سلامُ اللهِ في كلِّ مَغْربِ
يُدَوِّنُ في التاريخِ والفقهِ والحِجا ... وأخلاقُهُ تسمو بعلمٍ مُهذَّبِ
أَ «حَمْدُ بنُ لعبون» سُقيتَ برحْمة ... مِن اللهِ مُنسابِ بها كلُّ صَيِّبِ

ولعل وجوده في مدينة عشق أباد بتركستان أثناء نظم هذه القصيدة عام 1992 في تلك الدولة المسلمة قد أثار لديه روح الاعتزاز بعروبته وفخره بأبناء جلدته وقبيلته ، كما أن فيها اعتزازًا بشعره وشاعريته التي سالت أبياتًا مفعمة بالفصاحة والبلاغة والفخار.

فيمضي ليعدد مناقب قبيلته وعشيرته وما يتحلون به من كرم وجود وشجاعة وحسن وفادة ، فضلاً عن عبقريتهم الشعرية وفصاحتهم التي بذوا بها كل منافس

(*) ديوان «أغنيات الفيافي / الكويت 2017 / ص 20 .

(1) عبد الله بن عبد الرحمن البابطين : مفتي الديار النجدية في أواخر القرن الثالث عشر الهجري .

(2) حمد بن لعبون : أمين بيت المال في سدير بمنتصف القرن الثالث عشر الهجري ومؤلف كتاب «تاريخ نجد » وله مؤلفات في الفقه .

واستطالوا بها على العالمين :

فقد جئتَنا من بَعدُ بابنكَ شاعرًا ... له في سباقِ الشِّعرِ أَفْسَحُ ملعبِ
يَصُوغُ المعانِي فَهْيَ سحرُ محمَّدِ ... فَمَن ذا يُبَارِيهِ بأشهرِ مَذهبِ
يُبَاهِي عزيزًا بالقبيلةِ فَرْعُهُ ... وفي «عنزةِ» (1) يعلو الفخارُ ككوكبِ
خُلِقْتَ ومِنْ أُولاءِ كانت أَرومَتي ... وحقَّ لِيَ الفخرُ الجديرُ بِمَنْسَبِي
خُلِقْتُ كريمًا من كرامِ عشيرةٍ ... لهم في قِراعِ الضَّيْمِ أصعَبُ مركبِ
إذا جاءني المذعورُ يشكو مصيبةً ... فَسَحْتُ له في مجلسي خيرَ مَنْصبِ
لِيَحْكِي بما لاقاهُ مِن عَنَتِ الدُّنَي ... ويَنزلَ عندي كلَّ سهلٍ ومرحَبِ
فإنَّ الشجاعَ الحُرَّ مَنْ مَدَّها يدًا ... لمن خانَهُ دهرٌ وشُجَّ بمِضْرَبِ
وقد زادني حُبُّ الفضائلِ رِفْعةً ... وتلك التي كانت حياتي ومَطْلَبي

ينابيع التكوين :

استمد الشاعر عبد العزيز سعود البابطين موهبته الشعرية من ثمار عوامل عديدة كانت هي ينابيع تكوينه الوجداني والأدبي والإنساني ولعل نشأته في البادية بكل ما تمثله من قيم وأعراف وأجواء روحية كانت أبرز ينابيع التكوين عنده وقد اعترف الشاعر نفسه بتأثير البادية والصحراء فيه كإنسان وشاعر وذلك الارتباط العميق بينه وبين الصحراء ، فأصبح يحمل روح الصحراء والبادية في تصرفاته وفي إبداعه الشعري ، ولذلك كان حريصا على أن يسمى ديوانه الأول «بوح البوادي» وديوانه الثاني «مسافر في القفار» وديوانه الثالث «أغنيات الفيافي» لأنه ارتبط نفسيًا ووجدانيًا وشعريًا بالبادية والصحراء بكل ما تمثله من قيم

(1) عنزة : قبيلة عربية عدنانية يعود نسبها إلى عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

وأعراف وخصائص وسمات طبعت حياته بطابعها البسيط التلقائي دون تكلف وتزويق وبعيدا عن تعقيدات المدنية وبنودها .

وقد اعترف شاعرنا بهذه الحقيقة واعتز بانتمائه الروحي لأجواء وقيم البادية والصحراء فقال [1] :

«إن تشبثي بالصحراء والبادية والقفار بتسمية هذا الديوان «مسافر في القفار» والذي سبقه «بوح البوادي» جزء لصيق وهام داخل نفسي وفي حياتي ، فنفسي تنطلق في الصحراء إلى أقصى مداها وتتفتح رؤاي فيها إلى أقصى اتساعها وأعتبرها المكان الطبيعي لروحي ونفسي أستنشق هواءها بملء رئتيّ ، وأرنو إلى فضائها وأفقها البعيد بمدى اتساع بصري ، فأجد فيها كل ما تشتهيه نفسي من راحة وسعادة وهناء .

***

وكانت لنشأة شاعرنا في البادية والصحراء أثر عميق وفعال في حياة الشاعر وشعره ، حيث تشرب روح الصحراء والبادية وسماتها وأخلاقها ، كما استمد من أجوائها العديد من الصور الشعرية التي منحت شعره صدقًا وجمالاً وعذوبة .

(1) مسافر في القفار / ص3 .

الفصل الثاني

شاعر الوجدان العاطفي

أُنَــاجي طيــفَ مَحبُــوبي وَحِيْنَــا
يغيــبُ فــلا أنــالُ بــه المُــرادا
وأركضُ خلفَ طيفِ الطيفِ ركضًا
فَــــأخفقُ لا أرى إلا سَــــوَادا
فأَمْضِــي كالــذَّليلِ وكنــتُ حــرًّا
أبــيّ الــنفس مقــدامًّا جَــوَادا
فكيــفَ أضــيعُ في زمــنٍ بخيــلٍ
بإســعادِ الأحبَّــةِ إذْ تَمَــادى
أحــاولُ ســلوةً بعــدَ التنــائي
وأدعــو للوصــال هــوًّى معَــادا
ولكنــي ســأبقى طــولَ عُمْــري
أُنــادي للهــوى مَــنْ لا ينــادى

عبد العزيز سعود البابطين

تأثر عبد العزيز سعود البابطين منذ فجر شبابه بالحب العذري في الشعر العربي، خاصة جميل بن معمر وقيس بن ذريح وقد كان لجو الصحراء والبادية التي نشأ شاعرنا في ظلالها دور في اتجاهه إلى هذا الاتجاه واستغراقه في ذلك الحب الذي يحول صاحبه إلى قيثارة ترجع ألحان الغزل والتشبيب وأنغام الوجد والحنين المفعمة باللوعة والشجن وقسوة الفراق !

وإذا كان غزل العذريين يختلف عن غزل المتحضرين الذين عاصروهم ، فهو غزل يعبر عن نفوس محرومة قد طهرها الإسلام من كل دنس ، وبرأها من كل غرض جسدي تافه ، لا يراد به إلى تصوير المرأة وإنما يراد به إلى تصوير هذه النفس العاشقة وما تبتئس به وتنعم في عشقها وما تكابده في هذا العشق من ألوان العناء وما تجنيه من ثمرات مرة حلوة إن صح أن تكون هناك ثمرات حلوة مرة في آن واحد (1).

ويرى د. شوقي ضيف أن الإسلام من غير شك هو الذي هيأ لظهور هذا الغزل، فقد صان المرأة وأسبغ عليها غير قليل من الكرامة والإجلال ، وبعث في نفوس هؤلاء البدو مثالية خلقية ، جعلتهم أو جعلت أفئدتهم تصغي إلى تعاليمه ، فإذا هي تخلصهم من أدران الجاهلية وأدران الجسد ، فإذا هذه النفوس قد صفت وصفا معها الحب وتخلص من شوائبه المادية القديمة . ولم تشع بين هؤلاء البدو من العذريين الحضارة ، ولا دخل الترف ، فلم تفسد نفوسهم ولا تحول غزلهم إلى فن من فنون الترف ، بل بقيت له بداوته وسذاجته وبساطته ، وأخذوا يعبرون به عن دخائل نفوسهم إزاء المرأة وقد حاطها الإسلام بهالة من التجلة ، فإذا هي ترق أحاسيسهم وتنبل عواطفهم ومشاعرهم ، وإذا هذا الغزل العفيف الطاهر يصدر عن فطرتهم وسليقتهم صدورًا طبيعيًا كما يصدر الضوء عن الشمس، والشذى عن

(1) د/ شوقي ضيف «الحب العذري عند العرب ،مكتبة الأسرة – القاهرة 2005 ص 25 .

الزهرة [1] .

ونشأ الشاعر عبد العزيز سعود البابطين في ظل البادية العربية وتشرب طبيعتها وصفوها وبساطتها فأخذ يرسل أناشيد الوجد والحب العذري في ليالي الصحراء الطويلة وتحت سمائها الصافية ونجومها اللامعة .

وكان الشاعر في هذه السن المبكرة يستمتع بقراءة شعر جميل بن معمر وكثير عزة والعباس بن الأحنف أقطاب الغزل العذري .

ولكن ما هي ملامح الحب العذري وسماته ؟

هو حبٌّ خالصٌ من شوائب الدَّنس والرِّجس ، وهو حبٌّ طاهر شريف ، لا يعرف مُخزيات المآثم ، ولا مُنديات الأهواء .

وفي هذا الحب يمتري كثيرٌ من الناس ، لأن ظواهر الأحوال تشهد بأنه عاطفة غير طبيعية ، ومن هنا جاز لبعض الباحثين أن يقول : إن هذا الحب لا يصدر إلا عمن حُرموا قوَّة الحياة [2].

وقد حاول د . زكي مبارك أن يعلل سر تلك الظاهرة الوجدانية التي تصل بالعشاق إلى حد التصوف ، ولم تكن لهم في ظواهر الأمر مآرب حسية يطفئون بها، ظمأهم إلى الاستئثار والامتلاك فقال :

«فما تعليل هذه الظاهرة الوجدانية ؟ وما الرأي في هذا الحب الغريب الذي يفرض التضحية بمآرب الشهوات والأهواء ؟

الرأي واضحٌ لمن يعرف ، وهو أن شهوة الحس مطلبٌ بجانب شهوة الروح .

وهل كانت شهوات الشعراء الأكابر شهوات حسية بالمعنى المعروف ؟

(1) المرجع السابق / 26 .

(2) د. زكي مبارك / العشاق الثلاثة / ط المكتبة العصرية بيروت / ص11 .

إن الشاعر لا يسمو ولا يرتفع ولا يُحلِّق في الأجِواء العالية إلا أن خلصت روحه من الأوضار الأرضية ، ونظر إلى الوجود نظرةً أعلى من نظرات المجذوبين إلى الأرض بجواذب المنافع والأغراض .

الشعراء يؤذيهم جوع الأرواح لا جوع البطون .

الشعراء لا ينظرون إلى النجوم نظرة اهتداء كما يصنع السارُون في ضمائر الصحراء ، وإنما ينظرون إلى النجوم نظرات ذوقية وروحية يفرضها عليهم الهُيام بتذوق جمال الملكوت .

والشعراء هم الذين علّموا الناس أن للجمال غاية غير ما أَلِفوا من الغايات .

الشعراء هو الذين فطنوا إلى أن للوجود محاسن تُشْتهي بجوارح غير الحواسّ.

الشعراء هم الذين زينوا للناس أن يتأملوا جمال الشروق والغروب وأن يبحثوا عن غذاء أرواحهم وأذواقهم بالطواف حول أحواض الأزهار والرياحين .

الشعراء هم الذين راضُوا «بني آدم) على الاحتفاظ بما ترك الأولون من آثار، لأنهم توهموا أن لتلك الآثار الهوامد ألسنةٌ تُفصِح وتُبين .

فهل يكون من العجب أن يُخلق الشاعر من معشوقته دُمْيةً روحية يجاذبها أطراف الحديث حول أسرار الوجود (1)؟

ولعل قصيدة شاعرنا عبد العزيز سعود البابطين «تباريح» التي نظمها عام 1988 تفسر لنا قوله شاعر الحب العذري وحرقة وجده في مضارب البادية التي نشأ الشاعر فيها ، والينابيع التي أخذ منها مكنونات شعر الحب والغزل ، ومنها خاله محمد بن لعبون أمير الشعر النبطي في تلك المنطقة :

(1) زكي مبارك / العشاق الثلاثة / ص 13 .

إنَّ مـا بـي مـن تبـاريحِ الهـوَى ... يُلهـمُ الخَنسـاءَ آيـاتِ الحَـزَنْ
ونُفاثـات قصـيد قـد حكَـى ... حَسـرةَ الشَّـوقِ وقوفًـا بالـدِّمَنْ
وجمـيلاً وهـو صـاد يكتـوِى ... أشـعلَتْ أشـواقَهُ نـارُ المحَـنْ
عُـذرةً بـالطُّهرِ في عُشَّـاقِها ... تزدَهـي بـالفَخر فِـي طُـول الـزَّمنْ
بجميـلٍ وبُثَـينٍ والهَـوى ... وبِشـعرٍ يتَغَنَّـى بـالأغنْ
أيـن قـيسٍ وجُنـونٌ مسَّـهُ ... ومُحـبٌّ تبـعَ المجنـونَ جُـنْ
ولهيـبٌ في حريـقٍ جَمـرُهُ ... أحرقَ المحسنَ في عِشقِ الحَسنْ(1)
وأنـينُ الخـالِ قـد أوجَعَـهُ ... بُعـدُ ميٍّ بـين طَلحَـة والحَسـنْ(2)
لَـو جَمَعناهـا أحاسيسـا فَمـا ... عـدلَت حسًّـا بِروُحـي مُـرتَهَنْ
يَتَلـوى مـن سـنينٍ يبتغِـي ... أن يـرى البَـدر مُشـعًّا بالـدَّجَنْ
بليـالٍ عشـتُها ذُقـت بهـا ... مُـرَّعيشٍ أزدريـه أو كَمَـنْ
يتبـعُ الطَّيـفَ ويجـري خلفَـهُ ... فيـرَاه بسـرابٍ قَـد كَمِـنْ
لسـتُ أرجـوُ عودَهـا فهـي التـي ... قَلَبَـت لي يومَهـا ظهـر المِجَـنْ
يـا ليـالي الوَصـل عُـودي فلقَـد ... مـلَّ صَـبري وفـؤادي سـيُجنْ

(1) يشير الشاعر إلى منطقة الحريق بنجد وإلى أميرها الغزلي الشاعر محسن الهزاني .

(2) الخال هو الشاعر محمد بن لعبون أمير الشعر النبطي وهـو خـال الشـاعر ، أمـا طلحـة والحسـن فالشاعر يشير بهما إلى موضع خيام «ميّ» محبوبة ابن لعبون وطلحة الصحابي المشهور والحسـن البصري الزاهد من القرن الثاني الهجري وكلاهما مدفون في تلك المنطقة .

لكن قد يذهب البعض في تفسير ظاهرة الشعراء العذريين بأنهم لم يتغنوا بطهارة الحب إلا بسبب الضعف ، ويزعمون أن عفافهم لم يصدر عن تحليق وإنما صدر عن إسفاف ويرد د. زكي مبارك على هذه المقولة المراوغة بقوله أنه لو فكر أولئك المتفلسفون لعرفوا أن الشاعر يتأّذي من الغايات الوضيعة ، ولا يرضى عن المرأة إلا أن شاركته في السموّ إلى الآفاق الروحية ، وحمَّلته من مكاره الحب ما يملك به القدرة على النُّواح والأنين .

الشاعر يطلب غايةً مجهولة في العالم المجهول ، وهو يكره أن تكون معشوقته إنسانة هينة لينة يملك من سرائر جمالها ما يشاء حين يشاء ، ومن هنا صح ما قيل إن المجنون تناومَ في حضرة ليلاه ليراها في تهاويل الطيف وإنما كان ذلك لأن الصورة النموذجية للمرأة الجميلة لا يمثلها الواقع كما يمثلها الخيال .

وليس من الحتم أن تكون الأحزان هي غاية ما يطلب الشعراء فللشعراء أفراح، ولكنها غير أفراح الناس ، هي أفراح سماوية يرون بها الفردوس من قبل عهد الفردوس .

والشاعر لا يرى المرأة مخلوقة من لحم ودم وأعصاب ، وإنما يراها سبيكة نورانية صاغتها المقادير وفقًا للجوامح من أهوائه الساميات .

الشاعر روحٌ مقتحِم لا تطيب له الغزوات إلا في الآفاق الروحانية وهو يشعر بالذلة حين ينحط إلى المدارج الأرضية .

الشاعر – وعند الله جزاء الشاعر – هو مَلكٌ موَكلٌ بنقل الناس من ضلال إلى هدًي أو من هدى إلى ضلال ، ولن يكون كذلك إلا حين يحدثهم عما لم يكونوا يعرفون ، ويصل بهم إلى آفاق كانت عندهم من المجاهيل ، هو قوةٌ علوية تصوِّر المستحيل فتجعل الباطل حقًا في أحيان وتجعل الحق باطلاً في أحايين .

الشاعر هو الروح الوحيد الذي يستصبح بظلمات الليل والذي يتخذ من خياله سُلمًّا يرقى به إلى معارج السموات الروحانيَّة.

ويمضي زكي مبارك فيصف الشعراء بوصف مثير للخيال (1).

الشاعر كالمجنون في لغة القرآن الشريف ، وإنما كان كذلك لأنه رفع نفسه عن آفاق الناس فلم يعرف ما يعرفون ولم ينكر ما ينكرون .

الشاعر روحٌ ثائر لا يعرف القرار والهدوء والاطمئنان .

هو جذوة من اللهب المقدِّس الذي يضطرم به الوجود .

هو طائرٌ يرى الخوف في آفاق السماء أفضل من الأمان فوق وهاد الأرض .

هم قوم شغلوا أخيلتهم وأوهامهم وأحلامهم بتعقب الصورة الجميلة التي راضتهم على النوح والبكاء ، وما زالوا يطوفون حول هواهم حتى توهموه بابًا من أبواب الجهاد ، وحتى رأوه فرصة من فرص الاستشهاد :

يقولون جاهدْ يا جميل بغزوة وأيُّ جهاد غيرهن أريدُ

لكل حديث عندهن بشاشة وكل قتيل بينهن شهيدُ

وأولئك الفارغون يستحقون العطف ، وقد يستأهلون الإعجاب ، لأن الدنيا كانت تمسى مسارب صِلال ، ومدارج ذئاب ، لو خلت من تلك القوة الروحية ، التي تجعل الحب شريعة من الشرائع ، والتي تجعل من الوجد بالملاح مُروجًا نتفيأ ظلالها حين يلفحنا الهجير في صحراء الوجود .

وما الموجب للرياء ؟

هل في الدنيا رجل عظيم لا يشكو قسوة الظمأ إلى الشعر والموسيقا من حين

(1) المرجع السابق / ص 14 .

إلى حين ؟

وأين الرجل الذي قُدَّ فؤاده من الجلاميد فلا يحسّ أغاريد الحب ولا أهازيج الغناء ؟

أين الرجل الذي لا يروعه دخول أرْمان في قبر مرجريت ؟

أين الرجل الذي لا يهوله ما حدَّث ابن حزم عن العقيلة التي قضت الليل في حضن زوجها الميت لتذوق مرارة الألم لآخر العهد بالوصال !

ليست الدنيا في جميع أحوالها مُضاربات أسواق ، وميادين حروب ، والأمم الشقية هي التي لا ترى الدنيا إلا مضاربات أسواق وميادين حروب .

ثم ماذا ؟

ثم يصل زكي مبارك إلى الغرض الأساسي وهو تعريف الحب العذري وسماته وملامحه وألوانه فماذا يقول ؟(1).

«الشاعر العذريّ يخلق للمرأة شمائل تميِّزها عن سائر بنات حواء ، فهو يخلق منها قوة روحية تسيطر على مسالك ضلاله ومذاهب هداه ، هو يراها أمنع من الظبية العصماء ، وقد يراها أبعد من نجم السماء .

المرأة عند الشاعر العذري مِثالٌ رائع لا تحدّه الأوهام ولا الظنون هي جِنيَّة لبست ثياب المرأة لتخبله وتستبيه بلا ترفق ولا استبقاء .

ومن المؤكد أن الناس يعجبون من الخبال الذي يتمتع به الشعراء العذريون ، وهو في الواقع خبالٌ سخيف لا يرضي عنه إنسان وفي رأسه عقل !

ولكن يظهر أن القلوب لها أحوال غير أحوال العقول ، وإلا فكيف جاز أن

(1) زكي مبارك : العشاق الثلاثة .

يكون العذريون قوةً أدبية وروحية يُشغَل بها الناس من جيل إلى جيل ، وكيف جاز أن تُنصب الموازين لشعرهم في بيئات تنكر اللهو والمزاح ؟

تلك عُقدة نفسية تنتظر الحل ، وتوجب على أهل الرأي أن يختصوها بجانب محلوظ من العناية والاهتمام .

«وأهم ما يجب تقييده هو النص على مذاهب أولئك العذرين في الحياة ، وهم في أغلب أحوالهم لم يكونوا رجال أفعال . **Hommes d,action**

فليس في التاريخ شواهد تدل على أن حَيَواتهم كانت فيها شواغل جدية تصرفهم عن التغني بالصبابة والوجد ، وتجنبهم عواقب ذلك الخبال السخيف .

الحب العذريّ حقيقة من الحقائق ، وليس فرضًا من الفروض ، ولا يرتاب في الحب العذري إلا الذين ضاقت منادح أهوائهم فلم يَجْروا إلا في ميدان الحسن المبذول ، وألئك قومٌ يمشون في دينا الحب مشيَ المقيد في الوحل ، فلا يتعالون إلى فكرة سامية ولا يتسامون إلى مقصد رفيع (1).

ولكن هل يكون الحب العذري وهمًا من الأوهام لأنه يفترض أن يتخلى الإنسان عن طبيعته الإنسانية ويزهد في المتع الحسية ؟

وهل يستطيع شاعر الحب العذري أن يجاهد ليجعل لهذا الحب حظًا من الوجود الوهاج ؟

يرى زكي مبارك أن الحب العذري لا يقوم على الزهد المطلق في المتُعة الحِسيَّة وإنما يقوم على أساس الصّراع بين روحين يغالبان مطامع الأفئدة ومطالب الحواسّ .

الحب العذري هو معركة عنيفة تقع في ميدانين : الأول ميدان الصراع بين

(1) العشاق الثلاثة / ص16 .

الشاعر وهواه ، والميدان الثاني ميدان القتال بين الشاعر ومن يهواه ، وهو في الميدان الثاني لا يطارد فريسة تُنال بأيسر الجهد ، وإنما يطارد ظبية عصماء لا تُنال إلا باقتحام الأهوال فوق قمم الجبال .

والحب العذري حين نتصوره هذا التصور لا يكون إلا رياضة أخلاقية ، وقد كان كذلك بالفعل في أنفس من أقبلوا عليه من أعاظم الشعراء ، وذلك سرّ القوة في النسيب الذي صدر عن أولئك الرجال ، القوة التي قضت بأن تنتقل من أرض إلى أرض ومن جيل إلى جيل وهو في روعته الباقية وجلاله المرموق .

وهل كان يمكن أن يفتخر العذريون بالعفاف وهو في شرعة الفحول من الخيبة لو لم يكن ذلك العفاف علامة قوة عارمة تمثل السيطرة على أهواء النفس ؟

إن أشعار المُجون لم تُقابل في أي أرض ولا في أي جيل بغير الاستخفاف ، فما سبب ذلك ؟

السبب هو أن أشعار المجون شهادة على أصحابها بالضعف والانحلال ، فسيطرة الرجل على المرأة سيطرة حسية ليست من المطالب العالية ، وإنما يشرف الرجل حين يجعل من هواه ميدانًا للصراع بين الرشد والغي ، والهوى والضلال[1] .

هذا هو تفسير د .زكي مبارك (1891 – 1952) للحب العذري واختلافه عن الحب الحسي ؟

فأين شاعرنا عبد العزيز سعود البابطين من الشعر العذري ؟وكيف عبر عن مشاعره وأحاسيسه وعن وجدانه العاطفي نحو محبوباته ؟

إذا طالعنا دواوين الشاعر وجدنا قوة الإفصاح عن سرائره الوجدانية التي تغنى فيها بصوت قلبه العاشق المفتون .

(1) زكي مبارك / العشاق الثلاثة / ص 18 .

فلنقرأ هذه المناجاة الحارة للحبيب الهاجر من قلب أمضّه الشوق والحنين الذي يبيت الليل ترعاه همومه وأشواقه يناجي روحها الظلوم وقد استبد به جمر الظنون وأشواق الحنين (1):

سَلي رُوحي غداة الشّوقُ حَلاْ ... وذَابَت مُهجتي في جمَرِ ظنِّي
أبيتُ اللّيل تَرعانِي هُمُومي ... وأنجمُهُ تُراعيني وحُزني
أناجي الروُّحَ أعذِلُها لكِي لا ... يُمزُّقها اشتياقٌ فيه حَيني
تُبادلُني التَّوَجُّعَ والتأسِّي ... وتحملُ أصعبَ الآلامِ عَنِّي
أخادِعُها لأُشعِرهَا بأنِّي ... يُدَغدِغُني الكَرَى وتَغُطُّ عيني
ولكنَّ السَّعير رَعِي بَجوفِي ... ففضَّ هناءتَي وأشابَ سِنِّي
سلي رُوحي أسَاهِرهُا لِصُبح ... فَهَل أنبئت أوتَدْرين أنِّي
أمضِّي العُمر في ذِكرى ليالٍ ... مَضَت بوِصَالهَا وأتت بِبَينِ
أعيدي مُنيتي وصلاً عَفتهُ ... سُنونٌ مُثقلاتٌ بالتّجَنِّي
لِنَهْنأ يا رَفيقَةُ ملءَ دُنيا ... يُغازلُ حُسنَها زَهرُ التَّمَنِّي

وعندما يستبد الشوق والحنين لا يجد أمامه إلا نجوم السماء في ليله الطويل ليكون رسولا للحبيب النائي الذي حوله إلى قيثارة تعزف أشجى ألوان الحزن والأسى والأنين (2):

يا ربَّةَ الشِّعْرِ والأطيافِ زُورِيني ... فَقَدْ سَئمتُ ندائي يا رُؤى زُوري
تمضي السُّنونُ ثقيلاتٍ كأنَّ بِهِا ... سَلاسلاً رُبطتْ مِنْ عَهد سابُورِ

(1) بوح البوادي / جمر الظنون / ص 38 .
(2) بوح البوادي / وتمضي السنون / ص39 .

تمضـي السُّـنونُ فـلا طعـمً ألـذُّ بِـهِ ... وسـامِرُ الحَـيِّ تبكيـه مزاميـري
سَـلُوا القـوافِي فَقَـد أرقصـتُها طربًـا ... وخِلتُهـا رقَصَـت جَـذْلِي لمَقْهُـورِ
يَـا أيُّهـا الـدَّهرُ والأيَّـام قـاتِلتي ... أمَـا عَطَفـت عـلى وَلهـي ومأسُـورِ
للهِ درُّهُمـا قلبـانِ مـا وهَنَـا ... رغم السِّنينِ وويلاتِ النّوى العُـورِ
يـا ربَّـةَ الشِّـعرِ والإلهـام يـا أمَـلي ... طُوفي بِفِكـري يـا نَجمًـا بـديَجُوري
قد ضقتُ ذرعًـا بناسـي والحيـاة ومـا ... حول الحياةِ لجِرُح فـوق مقـدُوري
أمضـي وتبقـى عُهُـودٌ ذُقـتُ لـذَّتَها ... ما ينقضـي وصـفُ منظُـوم ومنثُـورِ
يـا أنْجـم اللّيـل هـل شـاهَدتُم دنِفًـا ... مـثلي طـواه الأسـى طيًّـا كمسـحور
يـا أنْجـم اللّيـل هـل نـادمتُم قمـرًا ... مِثْلَ الحبيبِ الَّذي يهـوى تعـابيري
تقـولُ لِـي والأسـى يمحـو تبَسُّـمَها ... مـا أبـدعَ الشِّـعرَ إحساسًـا بتعبيـرِ
أمَّـا أنـا فشـعوري حـينَ أذكُـركُم ... يقـولُ للنَّـارِ في أعماقِهـا غُـوري

ويشكو الشاعر من حرارة الهجر وقسوة البين الذي جعله يسهر الليل وحيدًا يناجي خيال حبيبه النائي (1):

أحـبُّ حبيبتـي حتّـى الثَّمالـه ... وأسـكَرُ إذ أراهـا دُونَ خَمـرَهْ
وتحـرِقُ مُهْجَتِـي نِيـرانُ نـأيٍ ... إذا طَـالَ الفِـراقُ وزادَ هَجـرَهْ
وتعصـفُ في فـؤادي ريـحُ شـوقٍ ... يَئـزُّ بِهَـا الحَشَـا وتزيـدُ جَمـرَهْ
فَتَـذرِفُ دَمعَتـي حـرَّي لَعَلِّـى ... أعـالِجُ لَوعـة كالثَّكـل مُـرَّهْ
أذوبُ مشـاعِرًا لأنـيم نـارًا ... رَعَت في القلـبِ تَحرقُ فيـه صَبرهْ

(1) بوح البوادي / طعم البين / ص58 .

رعـــاكَ اللهُ يـــا زَمنًـــا تقَضَّـــى ... فَهَـــل مِـــن عـــودَةٍ لربُـــاكَ مَـــرَّهْ
زمـــانَ الوصـــلِ قـــد ذُبنـــا حنينًـــا ... لِمَغنَـــى حُبِّنـــا رَوض المَسَـــرَّهْ
فألقاهـــــا وتلقـــــانِي بِشَـــــوقٍ ... يَقُـــصُّ مـــن الهَـــوى مـــا قـــد أسَـــرَّهْ
وتنجـــابُ الكآبـــة عـــن وجُـــودي ... ونطـــوى الهَجـــرَ والماضـــي وقَهـــرَهْ
فطَعـــمُ البَـــيْنِ مُـــرٌّ في كيَـــاني ... وويـــلٌ للَّـــذي قَـــد ذاقَ أســـرَهْ
يَصُـــدُّ النَّـــومَ عـــن جَفنـــي مُقيمًـــا ... كـــأنِّي طالِـــب لليـــل فَجـــرَهْ
أمَـــا آن الأوانُ نُعيـــدُ حُبًّـــا ... لنُحيـــي فيـــهِ بالأشـــواقِ عُمـــرَهْ
ونَلهـــو في مغانيـــه انتشـــاءً ... ونجنـــي وَردَهُ ونَشُـــمُّ زَهـــرَهْ
وثالثُنَـــا مـــلاكُ الحُـــبِّ يَرنُـــو ... لطـــيِّ البَـــيْنِ نُخفيـــه وذِكـــرَهْ

وبعد أن يضنيه هجر الحبيب ونأيه لا يجد إلا بدر الليل في البادية يناجيه وينادیه ويسأله متى يوافى حبيب القلب ومتى يحن قلبه على هذا الصب الحزين الظمآن لوصل الحبيب النائي فيناجي بدر الليل بقلب ملتاع قائلاً (1):

يـــا بَـــدرَ اللّيـــل متَـــى يُـــوفى ... محبـــوبُ القَلـــب وأســـعِدُهُ
ومَتَـــى يـــا بَـــدرُ تُدَغْدِغُـــهُ ... ذِكـــرُ الأيَّـــامِ وتُرْشِـــدُهُ
يـــا ويَحِـــي ضـــاعَ ووا أسَـــفِي ... محبـــوبُ الأمـــسِ وموعِـــدُهُ
قـــد نَفِـــدَ الصَّـــبرُ فـــلا أمَـــلٌ ... أن يَحمـــي القَلـــبَ تُجَلِّـــدُهُ
أخشـــى تَنهـــارُ صَـــلابَتُهُ ... ويُـــذيبُ العَـــزمَ تـــرَدُّدُهُ
يـــا لَيْـــل البَـــدرِ أتوصـــلُهُ ... بَحـــرُ الأشـــواقِ وتـــوردُهُ

(1) بوح البوادي / بدر الليل / ص 59 .

وهُـــو الظّمـــآنُ لـــذي مَـــرحِ بِظِـــلالِ الـــدَّارة مقعـــدُهُ
إن ظَـــلَّ البُعـــدُ يُـــؤرقُّنِي فحبيبـــي أُرِّقَ مَرقِـــدُهُ
وحبيبـــي أدنَفَـــهُ بَـــينٌ يســـري بـــالجرح فيُوقـــدُهُ
وفـــؤادي مـــن سَـــيَرقّ لَـــهُ وضِـــرامُ العِشـــق يُهدهِـــدُهُ
ونعـــيمُ الحُـــبِّ يعـــاودُهُ وكِتـــابُ العِشـــق يُخَلِّـــدُهُ
يـــا عشـــقًا هَدَّمَـــهُ بـــينٌ قـــد كـــانَ الوَصـــلُ يُشـــيِّدُهُ
ومُحبًّـــا أســـقَمهُ سُـــهدٌ يَحكـــي الأحـــزان تَنَهُّـــدُهُ
وكِلانـــا أنهكَـــهُ نـــأيٌ قـــد ضَـــلَّ طريقًـــا مُرشـــدُهُ

ويتحسر الشاعر على ضياع الأمل ، وهجر الحبيب فيبكي الأمل الضائع ، ويناجي البدر عله يصل إلى محبوبه ويبلغه سلامه وشوقه ، وهذا غاية التعبير عن المحب القانط الذي يتشبث بالأمل حتى ولو كان وهمًا عسى أن يسمعه الحبيب النائي .

يقول عبد العزيز سعود البابطين مناجيًا البدر في ليالي السهر والسهاد والحنين(1):

أتَـــذْكُرُ إذ سَـــهرنا اللَّيـــل نَـــروي مِـــنَ الـــذِّكرى حكايـــاتٍ طِـــوَالا
ونَجتَـــرُّ الأمـــاني حَالمـــاتٍ وأعمَـــاقِي تُناجِيهَـــا جمـــالا
ونَغـــرَقُ في خِضَـــمِّ اللَّيـــل أنَّـــا فَنَحـــبِسُ في حَناجِرِنـــا المقَـــالا
ويُطربَنـــا سُـــكونُ الليـــل حتَّـــى لَنَحسَـــبُ أنَّ مَـــن فِـــي الكَـــونِ زالا

(1) بوح البوادي / غناء الكون / ص72 .

ونَسمعُ مِن غِنَاءِ الكَونِ لحنًا ... فلا نِدري يمينًا أو شِمالا
سُقينَا المُرَّ فِي زَمَن تنَاءتْ ... منازِلُنا فأبعَدتِ الوْصَالا
شكاتِي حينَ أشكوها لِنَفسي ... تَحِزُّ بِهَا فَتجأرُ كالثُّكالى
وَيعتصِرُ الأسَى قلبي وحِسِّي ... وأعماقِي تُرَدِّدُ ألفَ لاَلاَ
أنَاجِي البَدر علَّ البدر يَرنُو ... لِسَاهِرةٍ نَضَت عَنها الكَلاَلا
لِيُخبِرهَا بأنَّ العَهدَ باقٍ ... بِرَغمِ البينِ لا يَرضى زوالا
أعيدي الصَّفو في نفسي ورُدِّي ... أكاذيبًا وأوهامًا ثِقالا
فإنَّ النَّفس تُحييها الأمَاني ... وإن خَسِرتْ مَعَ الحُبِّ النِّزَالا
أعِيدي الوَهم في قلبي فإني ... أحِنُّ إلى العَذَابِ وَلو خيالا

ولكن قد يتمرد القلب وتثور مشاعره وتأبى كرامته وعزة نفسه على الهوان حين تستبد المحبة وتعبث بمشاعر العاشق الهيمان ، هنا تثور كرامته ويرفض الهوان ويعلنها صريحة أنه لن يعود إلى حماها بعد أن هدمت صرح الهوى وبعد أن أثخنته بنيران الهجر والصدود والهجران . فيعلنها أنه لن يعود مهما استرحمت دقات قلبه المجروح (1):

يا دَعدُ إنِّي قد سَلَوْتُ هَوَاكِ ... ونسيتُ ليلاً ضمَّنا بلقاكِ
وتباعَدَت أيَّامُ حُبٍّ عِشتُها ... كانَ الهناءُ يَلُفُّنَا وبهاكِ
يَومَ الأماني حَولَنَا رَقَصَتْ لَنا ... جَذلِي بحُبٍّ قد سَما بِعُلاكِ
ونَسيمُ نيسَانَ الرَّهيفُ بَليلتِي ... مُتمايلٌ قد أسكَرَتهُ رُؤاكِ

(1) بوح البوادي / لن أعود / ص 73 .

والـوَردُ يَضـحكُ والزُّهُـورُ بِعطِرهـا ... تَهفـو تُنـاجِي بـالأريجِ سَـنَاكِ
وتحُـفُّ بالرَّكـبِ الصَّـغِيرِ لـواعجٌ ... عنـد الـوَداعِ فَترتـوي عَينـاكِ
وبـدأتِ يومًـا تجـرحين حشاشـتي ... وَزَرعـتِ قلبـي جـارحَ الأشـواكِ
وهـدَمتِ صَـرحًا شـادَهُ ربُّ الهَـوى ... أَلَـقُ الشُّـموخِ بِـهِ نَمتـهُ يَـداكِ
وتُعربـدُ العشـرون خلـف سـنيننا ... وتزيـدُ عَشـرًا غـالَهُنَّ نـواكِ
ويضـيعُ عُمـرٌ هَدَهدتـهُ يـدُ المُنـى ... كـانَ المُرفَّـهَ قَبـلَ أن يَلقـاكِ
ورَجعـتِ مُثخَنـةً بجُـرحِ ملـؤُهُ ... مُـرُّ الصَّـبابةِ والهَـوانُ البَـاكِي
لنُعيـدَ مـا كـانَ الزمـانُ بِـهِ شـدا ... مُترنِّمـا بِهَـواكِ في مَغنـاكِ
أنـا لَـن أعـودَ إلى الهَـوى بعـدَ الـذي ... قـد كـانَ مِنـكِ ومـا جَنَـاهُ هـواكِ

وبعد أن يتحطم الحب ويتفرق المحبين يقف الشاعر العاشق على أطلال الحب الضائع يبكي ذكريات الأمس الغابر فيقول (1):

قَضَـيتُ العُمـرَ أشـدو بالتيـاع ... بـأطلالِ الهَـوى أبْكِـي جِراحـا
وكـانَ الحُـبُّ صـرحًا مِـن وفـاءٍ ... تسـامى ذِروةً فعـلا الرياحـا
تهـاوَى لوعَـةً فِـي إثـرِ هَجـرٍ ... فآهـاً للّـذي ولّـى وَرَاحـا
رثيـتُ لمُهجَتـي تَقضـي أنينًـا ... وزفرتُهـا تُناوشـنُي صِـياحا
أأيَّـامِي أمـا تَـدرينَ أنِّـي ... كطيـرٍ صـار مسـلوبًا جَناحَـا
فأسـأل لِيلتِـي هـل يـا تُراهـا ... تعـودُ لوصـلنا وكفـى نُواحـا
أجـابَ الليـلُ هـل يرضـى بعـادٌ ... سـلامًا بعـد أن شـهرَ السِّـلاحا ؟

(1) بوح البوادي / أطلال الحب / ص 75 .

وأوغـــلُ في ظـــلامِ الليـــلِ يأسًـــا أهَدهِـــدُ لـــوعَتي والـــدَّمعُ باحـــا
وتختـــالُ المُنـــى حُلمًـــا بـــأنّي طويـــتُ الحُـــزنَ أرتقَـــبُ الصـــباحا
لتَلتَـــئِمَ الجـــراحُ جـــراحُ عُمـــري ونســـلُو بُعـــدنا فالوصـــلُ لاحـــا
وأحكـــي قصَّـــة الآلامِ ذكـــرى جلاهـــا القَلـــبُ عنِّـــي واســـتراحا
ويكفينـــي قِـــراءَاتُ اللّيـــالي وأبدِلُـــهُ بِأنَّـــاتٍ مِراحـــا
ونرعـــى في مغـــاني الحُـــبِّ صـــفوًا ونُطلـــقُ في مراتِعِـــه سِـــرَاحا
فتـــوقِظني النَّوائِـــبُ ويـــلَ قَلبـــي بـــأطلالِ الهـــوى أبكـــي جِراحـــا

لكن الشاعر العاشق ما فتأ يستعيد طيف الحبيبة في ليالي سهره وعذابه ، فيسعده الخيال ، ويطفئ نيران قلبه المعنى ، فيستعيد الأمل في لقياها بعد أن أضنته لوعة الفراق (1):

إذا لاحَ طَيْفُهـــــا بالـــــدُّجى إخـــالُ الضُّـــحى في الـــدُّجى ســـاريا
ويسْـــكُبُ ربِّـــي مـــنْ نُـــورِهِ عـــلى الكَـــوْنِ مـــا يَسْـــحَرُ الرَّائيـــا
ومـــا كنـــتُ ألمَحُـــهُ بـــالظُّنونِ أراهُ بعيْنَـــــيَّ لي باديـــــا
ويَفْـــرَحُ قَلْبِـــي بمـــا قَـــدْ بَـــدَا مِـــنَ الحُسْـــنِ في أفْقِـــهِ زاهيـــا
فَيْطَغـــي السُّـــرورُ وسَـــرْعانَ مـــا يُـــولِّي وَيترُكُنِـــي شـــاكيا
أضـــيعُ بتِيـــهٍ بَعيـــدِ المَـــدَى إخـــالُ السَّـــرابَ بـــهِ هاديـــا
سَـــئِمْتُ الفِـــراقُ وأشْـــجانَهُ فكـــنْ منـــهُ يـــا طَيْـــفُ لي شـــافيا
فَطَيْـــفُ الحَبيبـــةِ حـــينَ يَهِـــلُّ أرَى السَّـــهْلَ يَخْضَـــرُّ والوادِيـــا

(1) مسافر في القفار / طيف الحبيبة / ص 121 .

ويُعْطِـــي لَـــهُ الشِّـــعْرُ ديوانَـــهُ ... وَأغْـــدو لِديوانِـــهِ راويـــا
كَفـــانِي طَيْـــفَ الحَبيبـــةِ إمّـــا ... بَـــدَا لي ، فَـــأرْنُو لـــهُ راضـــيا
وَيغْمُرنِـــي سِـــحْرُهُ حالَمـــا ... أراهُ فأُسْـــلِمُهُ حالِيـــا
أجيـــرُ بـــهِ القَلْـــبَ مِـــنْ هَجْرِهـــا ... وأشْـــكُو لِسُـــلطانِهِ مـــا بيـــا
نَعِمْـــتُ مَسَـــاءً أيـــا طَيْفَهـــا ... وغَنّـــاكَ صـــوتُ الهَـــوى شـــاديا
فـــلا تَبْـــرَحنَّ خَيـــالِي وكُـــنْ ... ســـميرًا عـــلى خِلِّـــه حانيـــا
وزدني حنينًـــا إلى غـــادةٍ ... يَظَـــلُّ غرامـــي بهـــا وارِيـــا
لقـــدْ آنَ أنْ نَلْتَقِـــي بَعْـــدَمَا ... فَـــأبْقَى لِحبِّـــي وَيبْقَـــى لِيـــا
أُردِّدُ إنْ لَحْـــتِ لي بالـــدُّجى ... إخـالُ الضُّـحَى في الـدُّجَى ساريا

ويسأم شاعرنا من الغربة والاغتراب ويتمرد ويثور عليها لأنها تبعده عن حبيب القلب ، ولا تترك له سبيلا إلا طيفها الساري في خياله يناجيه وينادیه عله يسعد بما لم يجده في الواقع (1):

سَـــئِمتُ اغْترابِـــي وطُـــولَ السَّـــفَرْ ... ولُمْـتُ عـلى الهَجْـرِ مَـنْ قَـدْ صَـبَرْ
وطـــالَ اشـــتِياقِي إلى مَـــنْ أُحِـــبُّ ... مَـلاذيَ مِـنْ كُـلِّ هـذا الضَّـجَرْ
وَأرْنُـــو إلى طَيْفِهـــا كُـــلِّ حـــينٍ ... وفي كـــلِّ حـــينٍ أراهُ ظَهَـــرْ
فَطيـــفُ الحَبيبـــةِ إمَّـــا بَـــدا لي ... هُـوَ الشَّـمْسُ في غُرْبَتِـي والقَمَـرُ
أخِـــفُّ إليْـــهِ لأُغْـــرقَ ذاتي ... بِـــدُنْيَا يَطيـــبُ إليهـــا النَّظَـــرْ
ويـــأمُرنِي طَيْفُهـــا بالوَفـــاءِ ... فـــأذْعِنُ دوْمًـــا لِمَـــا قَـــدْ أمـــرْ

(1) مسافر في القفار / قصيدة اغتراب / ص22 .

يُحـــرِّكُ فِـــيَّ الحَنـــينَ إليْهَـــا ... إلى عـــالَمٍ في سَـــناها انْحصَـــرْ
فَمَـــا هِـــيَ إلا جَمـــالُ الوُجـــودِ ... بمـــا بـــانَ مِـــنْ سِـــحْرِه واسْـــتَتَرْ
إذا مَـــرَّ في خـــاطِري رَسْـــمُها ... أرَى كُـــلَّ مـــا أشْـــتَهى قـــد حَضَـــرْ
تُـــدارُ عَلَـــيّ كـــؤوسُ المُنَـــى ... ويَفْـــرَحُ قَلْبـــي وَيَحْلـــو السَّـــهَرْ
وَتَـــرقُصُ حَـــوْلي صَـــبَايا الجِنـــانِ ... عـــلى نَغـــمٍ مِـــنْ رنـــينِ الـــوَتَرْ
فمِـــنْ ذاتِ لَفْـــظٍ رخـــيمٍ شَـــهِيٍّ ... ومِـــنْ ذاتِ لَحْـــظٍ جَميـــلِ الحُـــوَرْ
وَغيْـــداءِ ســـاحرةِ الـــوَجْنتَينِ ... تَلاقـــي الـــدَّلالُ بهـــا والخَفَـــرْ
وَهَيْفـــاءَ ماسَـــتْ بِقَـــدٍّ مَشـــيقٍ ... فمالـــتْ عليْهـــا غُصـــونُ الشَّـــجَرْ
بَلَـــى طَيْفَهـــا عَـــالَمٌ مِـــنْ جَمـــالِ ... تَوالـــتْ بـــهِ كُـــلُّ هـــذي الصُّـــوَرُ

***

فمـــا بـــيَ شَـــوقٌ لِغَيْـــرِ سَـــناها ... ومـــا لِـــيَ غَيْـــرُ هَواهَـــا وَطَـــرْ
زَمـــانِي تُرفَّـــقْ ولا تُشْـــقِني ... فَمِـــنْ جَنَّـــةِ الحُسْـــنِ بِـــئسَ السَّـــفَرْ
وبـــئسَ الـــدِّيارُ إذا لمْ تَكُـــنْ ... مَقامًـــا لأجْمـــلِ مَـــنْ في البَشَـــرْ
فعُـــدْ بـــي إليهـــا حميمـــاً مَشُـــوقًا ... وزدْنِـــي غَرامًـــا بهـــا يـــا قَـــدَرْ

وتتحول مشاعر العاشق المحب إلى قيثارة تعزف أحلى أنغام الهوى والوصال عند وصولها ، فيبسم الكون وترقص الأطيار ويزهر الليل ، ويمطر غيث الخير عند اللقاء مع محبوبة القلب والفؤاد (1):

تُـــراقَصَ الـــوَرْدُ نَشْـــوانًا بَطلَّتِهـــا ... وأمْطَـــرَ الغَيْـــثُ هتّانًـــا يُناغينـــا

(1) مسافر في القفار / يا حب / ص 24 .

وَدَغْـــدَغَتْنَا نُسَـــيْماتُ بهـــا بَلَـــلُ ... تُبَشِّـــرُ القَلْـــبَ باللُّقيـــا فَتَهْنينـــا

ونَغْمَـــةُ الفَجْـــرِ في أُنـــسٍ تُضَـــمِّخُنا ... وَبُلْبُـــلُ الـــدَّوْحِ صَـــدَّاحٌ يُغَنِّينـــا

ومُهَجْـــةُ الكَـــوْنِ لا تُخْفِـــي مِســـرتُها ... فقدْ أجادتْ طُيـورُ الـرَّوْضِ تَلْحِينـا

وَيَـرْقُصُ اللَّيْـلُ ، والألحـانَ تَسْـكُبُها ... يَدُ الزَّمـانِ ، فصـارَ اللَّحـنُ يُشْـجينا

وَحَـرَّكَ الحُـبُّ في هـذي الـدُّنَا وَتَـرًا ... وأصْـبَحَ الكَـوْنُ بالنَّسْـرينِ يَرْمِينـا

يـا حُـبُّ مـا أنـتَ ؟ لا تُفْنيـكَ غائلَـةً ... مِـنَ الـدُّهورِ ، وتَبْقَـى أنـتَ تُفْنينـا

يا حُبُّ ما أنتَ !؟ ..يَشْكُوكَ الفُـؤادُ إذا ... تَعَسَّـرَ الوصـلُ أو تحْنُـو فَتُـدْنينا

يـا حُـبُّ أبْقَـى حَبيبًـا طُـولَ أزمنتِـي ... رغمَ التَّباعُـدِ ، رغـمَ البَـيْنِ يُضْـنينا

لِمَـــنْ أراهـــا بِقَلْبـــي كُلَّمـــا هَتَفَـــتْ ... وَرْقَـــاءُ في غُصْـــنِها تَشْـــدو أغانينـــا

يـــا شـــعْرُ أنـــتَ أنيســـي في مَتاهَتِنـــا ... وأنـــتَ أنـــتَ الـــذي تُمْـــلي تناجينـــا

وأنتَ يا شِـعْرُ لـولاكَ الـذي مَسَـحَتْ ... أنْغَامُـكَ الـدَّمْعُ مِـنْ أدْنَـى مَآقينـا

لَصِـرْتُ أنْجُـو مَـعَ النَّـاجينَ مِـنْ وَلَـعٍ ... وصِـرْتَ أنـتَ بَعيـدًا عـنْ تَغنِّينـا

يـا شِـعْرُ قُلْهـا وعبِّـرْ عَـنْ مَشـاعِرنا ... فالوَصْلُ بالوهْمِ يُغنِي ، بـلْ يُسـلِّينا

ألمْ تقُـــلْ : إنَّـــهُ في يَـــوْمِ طَلْعتِهَـــا ... سَـــيُمْطِرُ الغيْـــثُ هتَّانًـــا يُناغينـــا

وفي لحظات الوصال الهنيء لا تسع الدنيا فرحة العاشق المضني حيث يرى كل ما حوله يبسم ويغني ويرقص ويتحول حزنه فرحا وأساه بهجة بجانب الحبيبة التي يراها غرة الدنيا وبهجتها (1):

تَمَايـــلَ السِّـــحْرُ جَـــذلانًا ومُنْتَشِـــيًا ... لَمَّـــا أطلَّـــتْ وحَلَّـــتْ فِـــي مَغانينـــا

(1) مسافر في القفار / غرة الدنيا/ ص 62 .

وَهبَّ من عِطْرها الفَواحِ ما عَبِقَتْ ... بهِ رَياحينُها في جَوِّ نادينا
وَدَغْدغَتْنا أمانينا مُؤرَّجَةً ... تَبَشِّرُ القَلْبَ باللُّقيا فتُحْيينا
شَمسٌ مِنَ الحُسْنِ والإشْراقِ باهِرَةٌ ... تُضيءُ أنْوارُها داجي ليالينا
حُضورُها الشِّعْرُ مَنْغومًا بخُطْوَتِها ... ما أرْوَعَ الشِّعْرَ تَنْغِيمًا وتلحينا
قصيدةُ .. نَغمٌ فِي زيِّ فاتِنةٍ ... مِنَ الغَوانِي ، فأنْشدْ يا مُغْنينا
تَمُوجَ السِّحْرُ مَخْمورًا بجَنَّتِها ... وراحَ مِنْ كَأسِها يَحْسُو ويسْقينا
وغَنَّتِ الطَّيْرُ تَشْدُو باسْمِها طربًا ... ورَدَّدتْ في أغانيها أساميناً
مَفَاتنُ الخَلْقِ باتتْ في شَواطِئها ... وفي مرافئها باتتْ مَرَاسينا
كأنَّ ما في ضَمير الكَوْنِ من فِتنٍ ... جُمِّعْنَ فيها ولَيْلَى جُمِّعتْ فينا
كأنَّ دُنيا الهَوَى باحَتْ بما كَتمتْ ... عنَّا طويلاً ، وقالَ الدَّهْرُ : آمينا
أوَّاهُ يا غُرَّةَ الدُّنْيَا وبَهْجَتَها ... دُومي لنا وَبِصَوْتِ الحُبِّ نادينا
ما أطْيبُ العُمْرَ حينَ الحُبُّ يَغْمُرُهُ ... والشَّوكُ في دَرْبِه يَغْدو رَياحينا

ويناجي شاعرنا محبوبه الذي يجد فيه الحب والأمل والنعيم والبهجة وكل شيء جميل في الدنيا :

يا حُبُّ ما أنتَ ؟! يَفْنَى الدهرُ مُنْصَرمًا ... وأنتَ في سِرِّنا تَحْيا وتُغْوينا
فإنْ نأيْتَ قليلاً عن مشاعِرنا ... دَنَتْ بِنَأْيكَ – واشْتَدَّتْ- مآسينا
وإنْ تَعُدْ عادتِ الدنيا لنا أمَلاً ... وعادَ وابلُها يَسْقي دَوالينا
لسوفَ أبْقَى شَغُوفًا بالتي جعلتْ ... مِنَ الصَّحاري بأيَّامي بَساتينا
وسوفَ أبْقي أُمنِّي بالهَوَى وَلِهًا ... في مَعْبَدِ الحُبِّ حينَ الشَّوْقُ يُشقينا

يـا حُـبُّ لـولاكَ مـا فاضـتْ مَشـاعِرُنا ... شِعْرًا وِلَحْنًا ، ولا صـارتْ دواوينـا
وأنتَ يا شِعْرُ ، يـا سِـحْرَ الوُجـودِ ويـا ... سُـلافَةَ الـروحِ يـا أصْـفَى أغانينـا

وفي ذروة نشوته وهيامه يرى أن السر وراء سعادته هو الشعر ذلك الفيض الساحر الذي جمّل الحياة وخضّر الأماني وجعل كل شيء في الوجود جميلاً :

لولاكَ يـا شِـعْرُ مـا مـسَّ الهَـوَى وتَـرًا ... في قلْبِنـا أو شَـدا بالحُـبِّ شـادينا
ولا تـــأَلَّقَ في أجوائنـــا قَمَـــرٌ ... ولا سَـــمِعْنَا خَريـــرًا في سَـــواقينا
يـا شِـعْرُ قُلْهـا وأسْـفِرْ عـن تـدَلُّهِنا ... بمَـنْ إذا خَطَـرتْ تَسْـبي المُحبِّينـا
ألمْ تَقُـلْ إنَّ مـا في الكَـوْنِ مـن فِـتَنٍ ... جُمِّعْنَ فيها ، كما قَـدْ جُمِّعـتْ فينـا

ومن فرط ولوعه بالحبيبة بات يخلع اسمها على كل ما في الخليقة من حسن وجمال لأنها كانت بالنسبة له هي وجه الحياة الباسم المشرق الذي يضيء له الأمل والبهجة في الحياة (1):

وَهَـوى الرَّفيقـةِ يَسْـرِي في دمِـي ... ويـرفُّ في خفقـاتِ قلبـي المُغْـرَمِ
فاسْـمُ الحَبيبـةِ بـتُّ أخْلَعُـه عـلى ... مـا في الخَليقَـةِ مـن جَمـالٍ مُلهِـمِ
يـا مَـنْ إذا اتَّقَـدَ الغَـرامُ رأيتُهـا ... في الشَّمسِ، في قَمَرِ الدُّجَى في الأنْجُمِ
قـد كنـتِ لي في مـا مضـى قَبْـلَ النَّـوى ... وجْـهَ الوُجـودِ المُشْـرِق المُتَبَسِّـمِ
هـاجَ الحَنـينُ إلى مَرابـعِ حُبِّنـا ... وهَفَـا الفـؤادُ ليَوْمِنـا المُتَصَـرِّمِ
والْيَـومَ بـاتَ هَـواكِ ذِكْـرَى نَشْـوةٍ ... جَـذْلي ، ومَبْعـثَ حَسْـرَةٍ وتَـأَلُّمِ
وَلَقَـدْ ذَكَرْتُـكِ والسِّـنينُ رَمَـتْ بنـا ... ذِكـرَ المُتـيَّمِ إذْ صَـبَا لِمُتـيَّمِ

(1) مسافر في القفار / السر/ ص 65 .

مـا زلـتُ أهْـوى فيـكِ كُـلَّ مَلاحَـةٍ لاحـتْ لعَينِـي واسْـتَقرتْ في دَمـي
أَهْـوَى زَمَانِـكِ مَوْسِـمًا يَحْيـا بـه أهْـلُ الهَـوى أنْعِـمْ بِـهِ مِـنْ مَوْسِـمِ

لكن عندما يخلو إلى نفسه في هزيع الليل يعاوده طيف الحبيبة ، فيملأ وحدته بهجة وسعادة ونشوة (1):

كُلَّمـا حاولـتُ أنسَـى طيفَهـا عانـدَ الطَّيـفُ وأنْسـانِي الرُّقـادْ
وأظـلُّ الليـل أشـكو طولَـهُ فَتَمَـلُّ السُّـهدَ عينـي والْوسَـادْ
ويَمَـلُّ السُّـهدَ لَـيلي كلَّـهُ فينـاجي طيفُهـا لُـبَّ الفـؤادْ
ويُنيـرُ الليـلَ قِنـديلُ الهـوى ويَشِـعُ الحـبُّ مـن كـلِّ الوهـادْ
وتُـدوِّي فرحَتـي مُعلنـةَ عـن لقـاءٍ كنـتُ أرجـو أن يُعـادْ
وسَـتَمْلأَ نَشْـوَتِي سـاعتها كـلَّ أجـواءِ السَّـمَا في كـلِّ وادْ
ويعـود الحـب كـالراح إذا عتقـت أعنابـه ينسـى البعـادْ
هـي أحـلام الهـوى يـا ويلنـا عنـدما نصـحو وينسـانا الرقـادْ

لكن قد ينكأ طيف الحبيبة جرحًا قديمًا ، فيثير شجون وأشواق الشاعر بعد أن هدأت وسكنت (2):

يـا طيفَهـا لِـمَ زُرتَنِـي يـا طيفَهـا ونَكـأتَ جُرحًـا أبْرأَتْـهُ سِـنُونُ
وَأَثَرْتَ بـي مَـا كـانَ مخزونًـا مـن الـذْ كْـرَى وشَـجوي ذَلِـكَ المخـزونُ
لِتُعيـدَني قَسْـرًا إلى مـا قـد مضـى مِـن ذِكْرَيَـاتٍ كُلُّهـنَّ شُـجونُ

(1) أغنيات الفيافي (طيف الحبيب) ص 47 .
(2) أغنيات الفيافي / طيف الحسن / ص 181 .

لمَّـــا جنَـــى طَرْفِـــي ربيـــعَ جمالِهـــا ... وأَنَـــا بِلَـــدْنِ قَوامِهـــا مَفْتُـــونُ
ونَهَلْـــتُ مـــن ينبـــوعِ حُسْـــنٍ آسِـــرٍ ... رَفَّـتْ عليـهِ مـن الرِّيـاضِ غُصـونُ
فأتيْـــتَ تُـــوقِظُنِي عـــلى مـــا فـــاتنِي ... في سجنِ عمريِ ، والسِّنونَ سُجونُ
وتُهـيجُ بـي ظَمئـي القـديمَ لِسـحْرِها ... وتُرينِـيَ الأشـواقَ كيـفَ تكـونُ
يـــا قَـــدَّهَا الرَّيَّـــانَ يَلْـــبسُ طَيفُهـــا ... كلَّ المشـاهدِ – مـا عَـداكَ- تَهـونُ
فعـــذابُ قلبـــي ذكريـــاتٌ أُودِعَـــتْ ... عَطْفَـــينِ مِلْؤُهُمَـــا صِـــبَا وفُتُـــونُ
أَفَمَـا مَلَلْـتَ مِـن السُّـرى يـا طيفَهـا ... تُغْنِيـــكَ عنـــه هَـــدْأةٌ وسُـــكُونُ
لا تَشْـــقِني فلقـــدْ نَســـيتُكَ بَعـــدمَا ... أقْصَتْكَ عن نظرِ المُحبِّ حُصُـونُ
لا تُـــوقِظَنَّ هواجسًـــا كَمَنـــتْ وَقَـــدْ ... ولَّـى الزَّمَـانُ ، وأُهْمِـلَ المَكْنـونُ
وَسَـــلوتُ أحـــلامَ الصِّـــبا وشـــؤونه ... لمَّـــا اســـتُجدَّتْ في الحيـاةِ شُـؤونُ
ولقـــدْ شَـــجانِي أنَّ جَفنِـــيَ ســـاهرٌ ... وأنـــا بمنطـــقِ حَاضِـــري مَســـكونُ
وحَرثْـــتَ ذاكـــرةَ الزَّمـــانِ وجئتَنـــي ... فَنكـــأتَ جُرحًـــا أبْرأتُـــهُ سِـــنونُ

ويخاطب عاذله في الهوى بعد أن استبد به الحب وحوَّله إلى طائر حائر يتنقل من فنن إلى فنن لا يكاد يستقر في مكان واحد ، لأن الوجد مستعر دائم الاشتعال في قلبه(1):

تـــأتي وتَـــذْهَبُ لا شَـــوْقًا ولا مَلـــلا ... ولســـتَ تَقْبَـــلُ لَوْمًـــا وَلا عَـــذَلا
كطـــائرٍ بـــاتَ لا يَهْـــدَا عـــلى فـــننٍ ... تَـــراهُ بـــينَ الفَضـــا والغـــابِ مُنْـــتَقِلا
عَـــلا مُحيَّـــاك حُـــزْنٌ أنـــتَ صـــانِعُهُ ... وفي فـــؤادكَ يَبْقَـــى الوَجْـــدُ مُشْـــتَعِلا

(1) مسافر في القفار / يا عاذلي في الهوى/ ص119 .

تَحْيَـا الأسَـى راضـيًا عَمَّـا تُكابِـدُهُ ... كَمَنْ غدا الصَّـابُ في مِعْيـارِهِ عَسَـلا
تُنـادِمُ الطَّيْـفَ حتَّـى بـاتَ مـا نَقَلـوا ... عن عِشْقِكَ الطَّيْفَ، ما بينَ الوَرى مَـثلا
تَشْكُو الحَبيـبَ وقَـد أضْـنَتْكَ سِـيرتُهُ ... لمّـا جَفـاكَ وأمْسَـى عنـكَ مُنْشَـغِلا
هلاَّ تغاضَيْتَ عن نَأْيِ الحَبيبِ ، وقـد ... أبْدَى مِنَ الهَجْرِ ما لا يَبْعَـثُ الأمَـلا

***

يـا عـاذِلِي في الهَـوَى رفْقًـا ومَعْـذِرةً ... لا يَدَّعي العِلْمَ بالأحْوالِ مِـنْ جَهِـلا
لـو كنـتَ صَبًا وعانيْـتَ الفِـراق لمـا ... عَذَلْتَ «قيسًا» على ما في الهوَى احْـتَمَلا
لَـوْ هَيَّمتُـكَ بـدُنْيا الحُسْـنِ عاشِـقَةً ... لَبـتَّ –ياصـاح–مِثْلِي شـاعِرًا غَـزِلا
ورُحْتَ تَسْـهَرُ طـولَ اللَّيـلِ مُحْتَضِـنًا ... خَيالَ منْ قَدْ نَأى مِـنْ بَعْـدما وَصَـلا
حتَّـى إذَا مَـا أطـلَّ الصُّـبحُ مبتسـمًا ... ظَنَنْـتَ أنَّ الـذِي تَهـواهُ قـدْ مَـثلا
وأنَّ في وَجْهِـهِ مـن شَـوْقِه وَهَجَـا ... فَرُحْتَ تُهْديه من وَهَجِ الجَوَى قُـبَلا
فالحُـبُّ يُسْـكِرُ مَـنْ لا خَمْـرَ يَشْـرَبها ... سيّانَ في الحبِّ ما قَـدْ خـفَّ أو ثَقُـلا
إنَّ المُحِـبُّ وإنْ فُضـتْ جَوانِحُـه ... بـاقٍ عـلى الحُـبِّ لا يَبْغـي بِـه بَـدَلا
يَأسَـى ويَفْـرحُ مِـنْ يـأسٍ ومِـنْ أَمَـلِ ... ولَـيْسَ يَقْبَـلُ لا لوْمًـا ولا عـذلاَ

لكن تظل جمرة الوجد مشتعلة في قلب الشاعر العاشق يظل يعذبه هجر الحبيب ودلاله رغم أنه واحة قلبه وبستان هواه الذي يشدو في رياضه (1):

يـا نَجْـمُ اللَّيْـلُ مَتَـى غَـدُهُ ... ومَتَـى يرْتَـاحُ مُسـهَّدُهُ
أيمُـرُّ العُمْـرُ ولا أمَـلٌ ... بلقـاءِ حَبيبـي يُسـعِدُهُ

(1) مسافر في القفار / جمرة الوجد / ص123 .

يُبْعِـدُنِي قَـدْري عـن وَصْـلِ الـْـ ـــمَحْبُوبِ ، وعنِّـي يُبْعِـدُهُ
فأبيْـتُ وقـد أوحـشَ لَيْلِـي ونـأَى مَـنْ قَلْبِـي يَنْشُـدُهُ
أَتَقَلَّـبُ فِيـه عـلى جَمْـرٍ حَـامٍ ، وحنينـي مَوْقِـدُهُ
تَجْتـاحُ الحُرقَـةُ أَيَّـامِي ويُـذيبُ القلْـبَ تَنَهُّـدُهُ
لا يَفْـتَحُ لي أمَلِـي بابًـا إلاَّ والفُرْقـةُ تُوصِـدُهُ
يُرْهِقُنِـي الهَجْـرُ ويُجْهِـدُني وَيَلـوعُ الخِـلَّ ويُجْهِـدُهُ
يسْـتَهْلِكُ أحْـلاَمَ العُشَّـا قِ ، ويُشْـقِي العُمْـرَ ويُفْسِـدُهُ

***

رفقًـا يـا لَيْـلُ بمـنْ لَبِثـتْ نيـرانُ الوَجْـدِ تُهـدِّدُهُ
خِلِّـي ، والبَـدْرَ بِطَلْعتِـهِ أبْهَـى مـن بَـدْرِكَ مَشْـهدُهُ
يَتَمَنَّـى الغُصْـنُ بقامَتِـهِ وَيَشـوقُ القلْـبَ تـأوَدُهُ
تَجْـري الأطْيـابُ بعـودِ الـوَرْ دِ ، إذا مـا مَسَّـتْه يَـدُهُ
هَـو معْنَـى الحُـبِّ وَصَـورَتُهُ وَوَحيـدُ الحُسْـنِ ومُفـرَدُهُ
هُـوَ في صَـحْرائي واحَتُهـا وبِلَيْلِـي الـدَّاجِي فَرْقَـدُهُ
إنْ غَـاب حَبيـبُ القلْـبِ لِمَـنْ يَشْـدُو في الـرَّوْضِ مُغَـرِّدُهُ
وَلِمَـنْ يـتَلألأ بَـدْرُ اللَّيـ ـلِ ، ومَـنْ بـالنُّورِ يُـزوِّدُهُ
وَيَطُـولُ الشَّـوْقُ إلى قَمَـرٍ في وجْـهِ حَبيبـي مَوَّلِـدُهُ
يـا قَلْـبُ مَتَـى يَبْـزَغُ فَجْـري ومَتَـى يَرْتـاحُ مُسَـهَّدُهُ

هكذا عبر شاعر الحب العذري عن مشاعره فأفصح لنا عن خفقات قلبه وهمسات روجه وصور لنا معاناته في الحب بصدق وأمانة وحرارة في حالات الوصال والهجر ولحظات نعيم الحب وعذاب الحب وأشواكه ، وأهوال الصدود والجفاء ، وتمرد القلب عندما يتعارض حبه مع كرامته وعزة نفسه فالشاعر العذري هنا قد استطاع أن يخلق للمرأة شمائل تميزها عن سائر بنات حواء ، فهو يصنع منها قوة روحية تسيطر على مسالك ضلاله ومذاهب هداه ، وهو يراها أمنع من الظبية العصماء ، وأبعد من نجوم السماء ، وهي في نظره مثال رائع لا تحده الأوهام ولا الظنون ، وهي جنية لبست ثياب المرأة لتخبله وتستبيه بلا ترفق ولا استبقاء على حد تعبير الدكاترة زكي مبارك !

***

ومن هذه الصفات التي يتسم بها الشاعر العذري صفة الوفاء للحبيب ، وهي صفة من صفات العربي الأصيل ، وهذا جانب روحي من حياة الشعراء العذريين ، فالوفاء يعبر عن التماسك الروحي في شخصية العاشق ، وهو من مكارم الأخلاق ، وهو لا يتأتى إلا لكبار القلوب الخفاقة بأسمى المعاني وأكرم السجايا وما أكرم الوفاء في شخصية العاشق .

وعبد العزيز سعود البابطين يعترف أنه لم يخبر الوفاء فحسب بل عاش فيه لأنه سر حياته العاطفية ووجوده (1):

اسْألوا الشَّمْسَ .. هَلْ رأَتْ مِثْلَ عِشْقي ... مَذْ أُنيرتْ ، أوْ عاشقًا عاش مِثْلِي
عاشَ يَسْقِي منَابعَ الحُبِّ حَتَّى ... صارَ رَمْزًا للحُبِّ في كُلِّ نُزْلِ
يَمْلأ الحُبُّ قَلْبَهُ .. يَتَغَنَّى ... بِنَشِيدِ الحياةِ ، غَنَّى كَطِفلِ

(1) مسافر في القفار / قصيدة رمز الحب / ص 26 .

يُمْطِـرُ الغَيْـثُ مِـنْ سَـمَاهَا ودِادًا ... فَتَضُـوع الأزْهـارُ في كُـلِّ سَـهْلِ
قَـدْ مَنَحْـتُ الحَيـاة دفْقَـةَ عِطْـرٍ ... ضَمَّخَتْ بالأريجِ مَـنْ كـانَ حَـوْلِي
والبَعيـدُ البَعيـدُ يَرْعـاهُ حُبِّـي ... عـلَّ روحـي تَطالُـهُ أو لعَلِّـي
أنـا أهْـوَى الجَمَـالَ في طَبْـعِ «سَـلْمَى» ... فَأحُـبَّ الجَمـالَ قَلْبِـي وعَقْلِـي
وَلَبِسْـتُ الوَفَـاءَ ، بَـلْ عِشْـتُ فيـهِ ... فَقَهَـرْتُ السِّـنينَ ، لا .. لَـمْ أمَـلِّ
لَـن يُحِـبَّ الجَميـعَ قَلْـبٌ كقلبـي ... أوْ يَـوَدُّ الجَميـعَ أكثَـرَ قَبْلِـي
أنـا يـا شَـمْسُ إنْ وَدِدْتُ الأناسـي ... فَلأنِّي عَشِقْتُ –يـا شَـمْسُ –خَلِّـي
اسـألوا الشَّـمسَ لم تُشَـاهِدُ حبيبًـا ... مُـذْ أُنيـرَتْ أو عاشـقًا عـاشَ مِثْلِـي

وهو مخلص للحب وللحبيب مهما تقلبت بهما الظروف حتى لو صدت أو هجرت ، لأنه يؤمن بأن الحب سيبقى أبد الدهر معنى خالدًا في قلوب الناس وحياتهم ويصبح أنشودة للوفاء، يقول البابطين (1):

قفًـا نَـذْكُرُ الأيَّـامَ والوَصـل صـافيًا ... ووُدًا عفـاهُ الـدَّهرُ أبعـدَ نائيـا
وحُبًّـا قَهرنَـا الـدَّهرَ حتَّـى صَـفَا لنـا ... فصـغْنَا عبيـرَ الزَّهـرِ منـهُ الأمانيـا
وطرنـا سـويًا نعـتلي الـنَّجمَ والسُّـها ... ونُنشـدُ في الآفـاق مِنـا التنَّاجِيـا
ونمـرحُ في رَحـبِ الفَضـاءِ تَهُـزُّهُ ... مَسَـرَّاتُنا فانحـاز لـلأرضِ لاهيـا
وسـارَت قـوافي الشِّـعرِ خَلـف رِكابنـا ... لتحـدو بنـا حتَّـى عشـقِنا القوافيـا
وكـانَ قـرينَ الرَّكـبِ عمـروٌ وعـزَّةٌ ... وقـيسٌ ولـيلى ينشـدِونَ الأغانيـا
يزفُّـونَ عُرسًـا قـد سَـمَا يعروسِـهِ ... بمغنَـى السُّـها بـزَّت رُؤاهُ المغانيـا

(1) بوح البوادي / وفاء / ص 37 .

خلـــيليَّ رفقًـــا فالحيـــاةُ قصـــيرةً ذراني فلـــن أقضـــي حيـــاتي باكيـــا
مُغردّتِـــي بالغُصـــن هـــيضَ جَناحُهـــا يمينًـــا ســـأبقى راعيًـــا ثُـــم حَانيـــا
فـــإن عقَّنِـــي حَبَّـــى وشُـــرِّد طـــائري فلســـتُ إلى طيـــفِ ســـواها مُواتيـــا
ســـأبقى ويبقـــى الحـــبُّ بعـــدي خالـــدًا بشدوِ طُيـــور الكـــونِ تحكـــي وفائيـــا

وإذا كان قيس بن ذريح مجنون ليلي قد ذكر نوح الحمام :

ألا يـــا حمامـــات اللـــوى عـــدن عـــودة فـــــإني إلى أصـــــواتكن حـــــزين
فعـــدن فلمـــا عـــدن كـــدن يمتننـــي وكـــدت بأشـــجاني لهـــن أبـــين
فلـــم تـــر عينـــي مـــثلهن بواكيـــا بكـــين ولم تـــذرف لهـــن عيـــون

فإن عبد العزيز سعود البابطين شاعر الحب العذري يسعده غناء حمامة الأيك التي تنزل على قلبه بلسما شافيًا فالشوق يلهمها الشجون وتلهمه وتعلله بوصل الحبيبة النائية (1):

حمامـةَ الأيْـكِ غَنَّـي الحـبَّ سـاجِعَةُ إنَّ الغِنـــاءَ لِقَلْبِـــي بَلْسَـــمُ الشَّـــجَنِ
هيَـــا بنـــا نَتَنـــاجى في مَرابِعنـــا فالشَّـوْقُ يُلْهِمُـكِ النَّجْـوَى ويُلْهُمني
شَكْواكِ شَكْواي والأشْجَانُ واحِـدةٌ فَـــرَدِّدي في مَـــداها مـــا يُعلِّلُنـــي
إنِّـي لأدْرِي بمـا تِشْـكِينَ مِـنْ وَلَـهٍ مِثْلِـي فَمَـا ولّـه الوِرْقَـاءَ وَلَّهَنـي
غنّي وإنْ كان نَوْحًـا مـا شَـدوْتِ بِـهِ يَحْيَـا غَرامِـي إذا مـا الشَّـوْقُ ذَوْبَنـي
ما أعجبَ الحُبِّ يُشـقيني ويُسـعِدُني وأعْجَبَ الشَّـدْو يُشْـجيني ويُفْرِحُنـي

(1) مسافر في القفار / غناء حمامة/ ص 20 .

إنْ نَكْـتُمِ الحُـبَّ لم تُكْـتَمْ دَلائِلُـهُ ... فَـنَحْنُ أسْـراهُ في سِـرٌّ وفي عَلَـنِ
أصْـبُو وأنْغامُـكِ الرَّوْعـاءُ تحْمِلُنِـي ... إلى زَمـان مَضـى بالـذِّكْرياتِ غَنِـي
في شَدْوِك الآن صَوْتٌ كنـتُ أسـمَعُهُ ... في صَـمْتِ فـاتِنَتِي «لَـيْلى» فيُسْـكِرُنِي
بـاللهِ مَـنْ عَلّـم الوَرْقـاءَ مـا عَلِمـتْ ... مِنْ حـالِ صَـبٍّ لأمْـر الحُـبِّ مُـرتَهَنِ
حَتَّـى تَمَكَّنْـتِ مـن إنشَـادِ سـيرتِهِ ... بِصَـوْتِكِ العَـذْبِ صَـدَاحًا عـلى فَـنَن
يُطـأَطِئُّ الغُصْـنُ للإنْشَـاد هامَتَـهُ ... وَيرَفَـعُ الزَّهْـرُ أنْظـارًا إلى الغُصـنِ
كأنَّمـا الـرَّوضُ إذْ يُصْـغِي لسـاجِعَةٍ ... خَمائـلٌ كَسـتِ الفِـرْدوْسَ في عَـدَنِ

***

حَمَامَةَ الأيْكِ زيديني هَـوًى وَجَـوًى ... فـإنَّ شَـدْوَكِ في عُرفِـي مِـنَ المِـنَنِ
حُبًـا لِلَيْلَـى التـي أحْيَـا بعالَمِهـا ... وقدْ غَـدَا طيْـفُ لَيْلَـى وَحْـدَهُ وطنِي
غِنـاؤكِ العّـذبُ مِـنْ مَاضِـيَّ قَرَّبنـي ... وعنْ أسَى حاضري المَلْهُوفِ أبْعَـدني
فَفِيـه مِـنْ كُـلِّ أوْتـارِ الهَـوَى نَغـمٌ ... قـدْ حَـرَّك الشَّـوْقَ في قلبـي وَدَلْهَنِـي
لأنـتِ الغُصْـنُ ميّـادًا بقامتِـه الـ ... ـهَيْفاءِ دُنْيـا لِسِـحْرِ العـينِ والأُذنِ
في مـا شَـدَوْتِ وفيـه مـا يُـذَكِّرُنِي ... ببعضِ مـا مَلكَـتْ «لَـيْلايّ» مِـنْ فِـتَنِ
جُودي بما تَمْلِكُ الوْرقاءُ مِنْ حَسَـنٍ ... يا طيبَ مـن جـاد يـا وَرْقـاءُ بالحَسَـنِ
وَرَدِّدِي نغمًـا قـدْ كنـتُ آلَفُـهُ ... إنَّ الغِنـاءَ لِقَلْبِـي بَلْسَـمُ الشِّـجَنِ

لكن الشاعر المحب يعود ليؤكد لملهمته أنها ستظل أغلى ذكرياته وكل آماله

وذاته لأن حبها ما زال يسري في عروقه ويناشدها ألا تلتفت لأقوال الوشاة والعذال الكائدين الذين يريدون فرقة المحبين وهدم صرح هناءهم لكنه يود أن يظل حالما بهناء الحب في سبات بهيج لا يود أن يفيق منه خاصة من هؤلاء العذال مفرقين الأحباب والخلان (1):

أنتِ أغلى ذكرياتي ... أنتِ أحلى أُمنياتِي
أنتِ يا كلَّ حياتِي ... كلُّ آمالِي وذاتِي
هِمْتُ فيكِ يا شَبابي ... ومَشِيبِي وحَياتِي
لم يزَلْ حُبُّكِ يسري ... بِعُروقي كالحياةِ
أنتِ يا أشهى حبيبٍ ... عَاهديني للمَماتِ
حبُّنَا يبقَى عزيزًا ... رغم كيدِ العَادياتِ
لا تُبَالي بِعَذولٍ ... لامنَا حتَّى الممَاتِ
يا عَذُولِي كُفَّ عنِّي ... وَلْتدَعْنِي لِسُبَاتِي
أنَا لا أرغبُ صَحْوًا ... لا يُوافيني بآتِ
فيهِ تحقيقُ الأمانِي ... فوقَ كلِّ المُعضِلاتِ
ابتعدَ عنِّي عذولي ... حينَ تَلقاني فَتاتِي
واقتربْ منِّي إذا ما ... آذَنَت دعوى الشَّتَاتِ
إنَّ لومَا منك يجلو ... كلَّ همِّي وأسَاتِي

(1) أغنيات الفيافي / الذكريات الغالية / ص 34 .

لا تُصـــــــــدِّقنِي عـــــــــذُولي فَغْنَـــــــــائي وصـــــــــلاتِي
لِحَبيبـــــــي فَهـــــــو يَـــــــدْري إنَّـــــــه كـــــــلُّ حيـــــــاتي

ويناشد محبوبته ألا تصدق ذلك العذول الذي يسعى إلى فرقة المحبين رغم أنه يعرف جيدًا مدى حبه لمحبوبته وأنها كل حياته رغم أنف الكائدين والعزل . !

وعندما يسمع تغريدة يمامة يسمونها في «الكويت» «أم سالم » و «الورقاء» يمضي الشاعر يبثها هواجس نفسه وأشواق روحه وآهات قلبه لمحبوبه البعيد النائي علَّها تحمل ما يعانيه من أشواق وحنين إلى الحبيب البعيد (1) :

يـــا امَّ ســـالم يـــا تغريـــدةً سَـــجَعتْ مِـــن الفـــؤادِ تُعـــاني مـــا أُعانيـــهِ
ذكَّرتِنِـــي بحبيـــبٍ نـــاح وارتَسَـــمَتْ عـــلى مَحيَّـــاه أحـــزانُ أغانيـــهِ
يَلويـــهِ بُعْـــدٌ وتَنْـــأى عنـــهُ بســـمتُهُ ويـــذكرُ الحـــبَّ عرسًـــا في مغانيـــهِ

***

يـــا جـــارةً أشَـــبَابي أفتديـــهِ لهـــا؟ أم جُـــرحُ قلبـــي فـــداءَ بـــل عَسَـــانيهِ
العاشـــقون عـــلى الأشـــجار قـــد نحتُـــوا ذكـــرى هـــواهُم بصـــرحٍ في مبانيـــهِ
أمَّـــا هوانَـــا فَتغريـــدٌ يُخلِّـــدُهُ مِـــن «أمّ ســـالمَ» تشـــدو مـــن معانيـــهِ

***

يـــا «أمَّ ســـالمَ» نُـــوحي غيـــرَ آبهـــةٍ بمَـــن هَبَـــاءٌ غـــدَتْ أغـــلى أمانيـــهِ
نوحِي شجَى فبِجُرحِـي دمعـةً وقفـتْ مـــع الزمـــانِ ذهـــولاً مِـــن تفانيـــهِ
نـــوحي فقلبـــي غـــدا أشـــلاءَ يَجْمَعُهـــا نـــوْحُ الطُّيـــورِ ليزجِيهـــا تهانيـــهِ

(1) أغنيات الفيافي / أم سالم / ص 183 .

نوحِي مـدى العمـرِ والأزمـانِ قائلَـة: هّذا حُطامُ الهـوى ، بـل ذي أوانيـه

وحين تقبل المحبوبة تهل الأنوار ويترنم القيثار وتغرد الطيور وتبسم الدنيا لفرحة قلب العاشق المدنف الذى يسعده وصال ملهمته (1):

جـاء الحبيـب فشَـعَّتِ الأنـوارُ وترنَّمـتْ بمجيئـهِ القِيثـارُ

وتَفَتَّحـتْ مَزهـوَّةً بقدومِـهِ زَهـرُ الـورود ، وهَلَّـتِ الأمطـارُ

وتـلألأتْ في خـافقي بشـرى المُنَـى فَتَلاشـتِ الأحـزانُ والأكـدارُ

رفَّ الحَمـامُ مُغنِّيًـا بهديلِـهِ فَتَراقَصَـتْ بِرَفِيفِـه الأطيـارُ

يـا فرحـةَ القلـبِ الكَلـيمِ وسـعدهُ فَلْتَمْـرَحِ الأشـعارُ والأوتَـارُ

ويُصَـفِّقِ الـرَّوضُ الجميـلُ ووردُه وتَـرِفَّ أجنحـةُ الفَـراشِ تَغـارُ

فَاهْنـأ بعُرسِـكَ يـا عزيـزًا رحَّبَـتْ بعروسِـكَ الأيَّـامُ والأقمـارُ

وفي لحظات الصفاء يرى أن أيام وصال الحبيب لـن تنسـى وأنـه سـيظل عـلى العهد محبًا وفيًا ، لأن قلبه سيظل يذكرهم وستظل نار الشوق متوقدة لا تهدأ مهمـا بعد المطال لأنها هي حبه الباقي على الزمان (2):

أَأيَّـامَ حُبِّـي هـل مَواضِـيكِ عُـوَّدُ وهل لِوصَالٍ تـاهَ بالغيـبِ مُرشِـدُ ؟

وهـلْ لِالْتيـاع القلـبِ فيـكِ مـودةٌ وهل لانشغالِ الفكـرِ منـكِ تـودُّدُ؟

وإنِـي وإنْ فارقـتُ دهـرًا أحبَّتـي فَنـارُ هـواهمْ في ضُـلوعيَ تُوقَـدُ

فَلَـمْ تَطْمـسِ الأيَّـامُ فيَّ محبـةً ومهما يمرُّ الدَّهرُ .. تبقـى .. تُؤكِّـدُ

(1) أغنيات الفيافي / وشعت الأنوار / ص 85 .

(2) أغنيات الفيافي / الوصال التائه/ ص 56 .

وإنْ بَاعـدتُ بينـي وبـين وصـالِها ... ثقـالُ الليـالي والنَّـوى .. فالتَّجلُّـدُ!

يظـلُّ بـذكراها فـؤاديَ مُولعَـا ... وإنَّ هَوانـا بالزمَّـان مُخَلَّـدُ!

وإنِّـي لتَعـرُوني الهـواجسُ كلَّمـا ... تَـذكَّرتُ وعـدًا قـد طَـواهُ التَّشـرُّدُ

وأذكُرُهَـا والقلـبُ فيـه تـألُّمُ ... وأذْكُرُهـا والـرُّوحُ تَشْـقى وتَصْـمُدُ

وأذكُـرُ فيهـا النُّبْـلَ والـودَّ والوفـا ... وعفَّـة عِـرْضٍ طـاهِرٍ تتجسَّـدُ

إذا ذُكِـرَ الإخـلاصُ هاجـتْ صَـبابتي ... وإنْ تبـاريحَ الهـوى تتجـدَّدُ

لأنهمـا صِـنْوانِ مَـذْ خُلقـا معًـا ... رفيقـةُ دربـي والوفـاءُ المُجـرَّدُ

فهـل تُرجـع الأيـامُ مـا كـان عـامرًا ... وهـل لوصـالٍ تـاهَ بالغيـب مُرِشـدُ

ويبقى شعر عبد العزيز سعود البابطين الوجداني شاهدًا على صدق تجربته وحرارة مشاعره دون تكلف أو مداراة .

وهي تؤكد لنا روح البادية التي ظهرت في كل شعره من حيث علاقتها بالحب العذري والوفاء والتعبير بصدق عن كل ما يجيش في قلبه من مشاعر وأحاسيس وصدق الناقد د. مصطفى ناصف حين قال أن البادية تعصر العاشق فالعاشق لا يكون ابنا بارًا للبادية إلا إذا سعى إلى الكي بالنار ثم اغتسل بغيمة الصبح والعشق في شريعة الديوان تهذيب واستئناس لروح الزمان لأنه ابن البادية .

فالعشق ابن البادية القاسية ، ليتعلم أهلها مزيدًا من البين والجلد .

تقترن البادية بالبطولة ، والعاطفة الجياشة ، والمغامرة الساذجة ، والروح الحرة . هذا الانطلاق في أفق خال لا تحده حدود ، وجفوة الذوب في المجتمع ، وما يشبه الاستعلاء على الذات ، والتحدي ، والاستبطان العميق ، ثم التطهر من

أدران الحاضرة وصناعتها .

هذه مشغلة الديوان : روح البادية من حيث علاقتها بالصبابة . البادية شباب . البادية تعين على نشاط الروح الغامضة ومعاناتها ، تتمثل البادية في صورة امرأة عظيمة لا تتاح إلا في خيال شاعر عظيم ، تتطلع المرأة في سر وخفرهما روح البادية (1).

(1) دراسات نقدية في ديوان بوح البوادي – مركز الدلتا للطباعة – الإسكندرية 1996، ص47.

الفصل الثالث

عبد العزيز سعود البابطين
شاعرًا رومانسيًا

اذكريني كلما غنى طروب ... ينفث اللوعة في صوت حزين

ورنين العود قد أشجى القلوب ... فغدت تبكي على وقع الرنين

اذكريني

اذكريني كلما ثار القطا ... يملأ الأفق صياحًا ونحيب

يذرع الكون وقد حث الخطى ... تائهًا يبحث عن مغنى الحبيب

اذكريني

عبد العزيز سعود البابطين

اتسمت الرومانسية بالمذهب الإنساني بما تحتويه من خيال وعواطف جارفة وحب الطبيعة والخيال والتعلق بكل القيم النبيلة السامية ، وعشق الحب والجمال ومنذ شبابه المبكر جنح عبد العزيز سعود البابطين للتأمل وحب الطبيعة والتمسك بقيم وأعراف البادية والصحراء التي تتفق مع مبادئ الرومانسية المجنحة .

كما أن شاعرنا أحب حبًا عفيفًا ساميًا وكان لا يرى في الوجود أمرا غير محبوبته التي خلع عليها من خياله واستلهم منه ديوانا كاملاً هو «بوح البوادي » لأنه كان من الموحدين في الحب ، لأنه نشأ في بيئة مفطورة على إيثار التوحيد واختلف عن المشركين في الحب الذين كانوا يرون أن كل مليحة بمذاق ! وقد ألهمت ملهمته شاعرنا بقصائد عديدة تراوحت أنغامها ودرجاتها وموسيقاها بتراوح الوصال والهجر والرضا والعتاب والقرب والبعد والفرح والحزن ، وكان يرسل في كل موقف وفي كل مرحلة أغاريد الحب وأهازيج الغناء ليعبر عن خفقات قلبه وهمسات روحه نحو الحبيبة التي ضن باسمها وسرها للآخرين حتى يرتل في معبدها أغاريد الحب والنجوى وقد كتب شاعرنا قصائد حبه للملهمة الموحية منذ سبعينيات القرن العشرين وطواها عن النشر ضنًا بها عن عيون الآخرين لكنه بعد سنوات طوال وافق على طبع ديوانه «بوح البوادي» عام 1995 ليكون سجلاً لقصة حبه للملهمة الموحية .

وقصيدته «رياح الشوق» يتمنى أن تهب رياح الشوق وتبرق سحب الهجر وتمطر شوكا ليهدأ قلبه الحزين من هجر محبوبته ونأيها (1):

يا رِياحَ الشَّوقِ هُبِّي ... مَزِّقِي أشرُعَ حُبِّي

أغرقي الدُّنيا بنأيٍ ... مثلما أغرقتِ قلبي

(1) بوح البوادي / رياح الشوق / ص25 .

أبرقـــي يـــا سُـــحب هجـــري أرعـــــدي رُعبًـــا برُعـــــبِ
أمطـــــري سُـــــمًا وشـــــوكًا وازرعـــــي الأرضَ بِجَـــــدَبِ
وامنعـــــي الزهـــــرةَ تنمـــــو أو أرى البـــــذرةَ تُربـــــى
فلقَـــــد مـــــلَّ فـــــؤادي هَجْرأحبَـــــابِي وصَـــــحبي
ولَقَـــــد مَلَّـــــت جُفـــــوني سَـــــهَرَ اللَّيـــــل وكربـــــي
أمتطـــــي الآمَـــــالَ حينًـــــا فيُجـــــافِيني رُكْبـــــي
وهـــــيَ حينـــــا تتنَـــــامى بَـــــينَ أعمـــــاقي وصُـــــلبي

***

يـــا زمـــانَ الوصـــل عُـــد لي وأعـــد خفقًـــا بجنبـــي
ودع الزَّهـــــرة تحيـــــا لأرى البـــــذرة تُنبـــــي
وانثُـــــر الحُســـــنَ ربيعًـــــا يَزدَهـــــي الكـــــونَ بِخَصـــــبِ
وامـــــلأ الـــــدُّنيا عبيـــــرًا وغِنـــــاءً عبـــــر دَربـــــي
فلـــــك الشَّـــــوق يُنـــــادي ولـــــكَ الحُـــــبُّ يُلبْـــــي
لا تَـــــدعني يـــــا زمَـــــانٍ رهـــــن إعصـــــاري ونحبـــــي
قيـــــد خـــــوف يَنتَهـــــبُ العُمـــــ ـــــر ويُلقينـــــي لشَـــــيبي
قبـــــل لُقيـــــاكَ لِتمحُـــــو راحمًـــــا غُربَـــــةَ قَلبـــــي

ويدفعه الشوق والحنين إلى الملهمة النائية لأن يؤكد لها أنه لا ينساها ،

ويدعوها إلى الوصال لينعما بجنة الحب وروعة الوصال قبل أن تتصرم الأيام وتمر أحلى سنوات العمر (1) !! :

تقولُ شوقًا ، فهلَّ لا زلتَ تَذكُرُنا ... أم هل نسيت تناجينا وذِكرانا

وهل أبادَت سُنون البُعد حبُكم ... وأطفئت شمعةً فِي دَربِ مسرانا

وباتَ قلبُكَ من قلبي بمُظلمةٍ ... أم قد تجمَّدَ إحساسٌ لتنسانا

أجَبتُ لا والّذي يرعى محبَّتنا ... لم أنسَ يومًا تناجينا ولُقيانا

فمرُّ أعوامُ بينٍ عَشرةٍ سَلَفت ... لم يمحُ ذِكراكُمُ روحًا وريحانا

لكنَّ نفسي ولذعُ البَينِ فرَّقها ... أودت بَصَفوى وهذا الشَّيبُ قد بانا

شواهد كُلّها ضدي وقد نَطَقَت ... تُحَذِّر الآن من بُعدٍ وتنهانا

تخشى فِراقًا لعينًا قد يحلُّ بِنا ... فَينَزفُ الجُرحُ يأسًا مثلما كانا

***

فَلنغتنم ليلنا فالصُّبحُ فاضحُنا ... ولنَس بُعدًا فإنَّ البُعد ينَسانا

ولنهَنأ الآن فالدُّنيا بنا رَقَصَت ... مُنذُ التقينا ونجم الحُبِّ يرعانا

لم يبقَ بالعُمر إلاَّ ما تجودُ بِهِ ... ليلاتُ وَصلٍ ولُقيانا ونجوانا

وأغنياتٌ بسمع الحُبِّ نُنشدُهَا ... يَغُصُّ واشٍ بها أو عاذِلٌ خانا

مَراقِصُ الحُبِّ تدعونا لحلبتها ... فلنَمرحِ اليومَ إنَّ العُرس قد حانا

ولكن تعاوده أحزان الوحدة والبعاد بعد أن عز اللقاء وطال الهجر والنأى لكن قلبه لم ينسها ولم يتبدل أو يتحول عنها ، بل أنه يتمنى أن تمر الأيام ويلتقيا لتعويض

(1) بوح البوادي / لم أنس / ص 24 .

ما فات من فراق وعذاب [1]:

كـأنَّ فـؤادي وهـو ظمـآن يرتجـي ... وصالاً مِنَ الأحبابِ ولَّتْ مرابعُـهْ
ولقيـا يَطُـوفُ القَلـبُ ولَهـانَ حَولهـا ... فَتَنقضُّ مِنْ فَرِطِ الحنين مَضـاجِعُهْ
ونجـوى كتغريـدِ الطُّيـورِ حسـبتُها ... لِقَلبـي شـفاءٌ لـن تَجـفَّ مَنَابِعُـهْ
ولكـنَّ نجواهـا تقـادم عهـدُها ... فأمسـت كتِمثـال تـداعَت روائعُـهْ

***

كـأنَّ فـؤادي طِفـلٌ ريـمٍ وقَـد غـدا ... وحيدًا مِن الخِـلاَّنِ ضَـاقَتْ ذرائعُـهْ
ألا ليـتَ شِـعري هـل تعـودنَّ ليلـةٌ ... ثملنـا بهـا وَصـلاً ووُدًّا نُشـايعهْ
شـربنا كُـؤوس الحُـبِّ ريَّانـة المُنـى ... فغنَّـى نـديمُ الليـلِ شـوقًا يُنازِعُـهُ
خليليَّ لـن أنسـى عـلى الـدهّر ودَّهـا ... وجُـرحَ فـؤادِ أحزَنتهـا مَواجِعُـهُ
وَلاَ نـأىَ مـن هـام الفـؤادُ بِحُبِّهـا ... وهاجـتْ بـذكراها حنينًـا مَدامعُـهُ
سـقى اللهُ أيـام الوصـال بِمُزنـةٍ ... هطـولِ فتحيـا بعـد جـدبٍ مراتعُـهُ
فتُزهـرُ نـوارًا وتنبـتُ بُرعمًـا ... وتحيـي لنـا حبًـا أبيـدت مواضِـعهُ
وننسـى عـذولاً أنهـكَ الـودُّ سـعيَهُ ... ونُبعـدُ شـيطانًا غَزَتنَـا نوازِعُـهْ
ويجلـو كلانـا هَـمَّ دهـرٍ فقـد دنَـا ... سُـرورٌ فقـدناهُ فبانـت طلائِعـهُ

ولكن يظهر في أفق حياتهما العذول والواشي الذين ينغصون دائمًا حياة العشاق، فيضطر أن يظل في وحدته يطوي قلبه على هم الفراق والبعد على رغم

(1) بوح البوادي / أيام الوصال / ص 26.

شوقه الجارف على لقيا حبيب العمر ووصاله [1]:

يَهُــزُّني الشــوقُ والآهــاتُ تَنفَجــرُ ... وتحتــويني همــومٌ يــومَ ذِكــراكِ
وتعصِــرُ القَلــبَ آلام مُبَرِّحَــةٌ ... يزيــدُها اليــأسُ إيلامًــا كأشــواكِ
وينــزوي الصَّــبْرُ مَشــدوهًا بِزاويــةٍ ... مِــنَ الفُــؤادِ دَهتَــهُ أنَّــةُ الشَّــاكِي
يَلقــى أنينــي ســميعًا كُــلَّ جارِحــةٍ ... مِــنَ الأنَــامِ وغيــرِ الإنــسِ إلاَكِ
وكلَّمــا هَتَفــت فِــي اللَّيــل ســاجِعَةً ... يحُــثُّ شــوقِي خطــاهُ حيــثُ ألقــاكِ
أطرتِ فكري شُعاعًا والنُّهى شَرَدت ... فهــل تُعيــدُ الحجــا أحــلام نَجــواكِ
هِــيَ الحيــاةُ شــديداتٌ مضَــايقُها ... وذِروةُ الهــمِّ لا أحظــى بلُقيَــاكِ
شَــددتُ رِحــلي لكــي أســدي مُبارَكَــةُ ... لِمَنــزلٍ ودُعــائي فيــه يَهنــاكِ
مَــررتُ والــنَّفسُ تــدعوني كعادِتِهــا ... لوقَفَــةٍ قُــربكم تهنــا برؤيــاكِ
لكــن صَــددتُ عــنِ اللُّقيــا يُنــازِعُني ... شوقِي إليكِ وخوفُ العاذِلِ الحاكِي
أخشــى عليــكِ نُسـيماتٍ مُداجيــةٌ ... مِــنَ الوُشــاةِ تُعــادِي صــفوَ دُنيــاكِ
وأقنــعُ الــنَّفسَ أن تنــأى مجانبــةً ... حُلــو اللقــاءِ فــلا تَسـعى لمغنَــاكِ
أثــوي وحيــدًا وأحســو الهــمّ مُنهزمًــا ... وأرتَضــيهِ دواءً يــومَ ذكــراكِ

ولكن يطول الليل ويمتد وهو يناجي الليل والنجوم والطيور بعد أن عز اللقاء وبعد الحبيب [2]:

ظــلامُ اللَّيــل أدركــهُ التَّمَنِــي ... فأخفــاهُ وغابــت فيــهِ عينــي

(1) بوح البوادي ،شكوى / ص 27 .
(2) بوح البوادي / حديث أمسى / ص 28 .

حَبَسَتُ الرَّوحَ في صدري لكي لا ... تُناجي بالهُمومِ رؤى كوتني
وبُطء الليلِ أرهَقَني وأفنى ... تناهيدي ووجدي ليس يُغني
ألوكُ الهَمَّ في أعماقِ نَفسي ... فيُضني واللَّواعِجُ أحرَقتني
وأجتَرُّ الحَديثَ حديثَ أمسي ... وقد حجَبَ الزَّمانُ صَداهُ عنّي
فلا أجِدُ الحبيبَ دَنا لقُربي ... ولا سَكرَ الهَوى يومَا بِلحني
ولم أسمعَ مِنَ الأطيَارِ شَدوًا ... تُرجِّعُهُ على أوتارِ فنِّي
وما خفقَ القَطا يبكي هَوانا ... ولا نبضَ الحيا بِرواءِ غُصنِي
وزَهَرُ الرَّوض كفَّ عن التناجي ... بَفَوحِ العِطر يِسكُبُهُ بدني
ومَوْجُ البَحر ألجُمَهُ سُكونٌ ... فغابَ بِمَوجِهِ فكِري وظنِّي
وهذا البَدرُ أنكرَ أن رآنا ... وقد شَهدَ الهَوى عينًا بعينِ
وذاك الليل أنكَرني جِراحًا ... يُداويها وقد قاربتُ حيني
كأنَّ الليل لم يشهد عُهودًا ... تُوثَّقها تباريحي وحُزني
وهذا الفجرُ لم يسمعَ شكاةً ... يضجُّ أنينها في كلِّ أذنِ
لماذا لا يُواسيني عَذُولي ... وقد أنَّ العذابُ وصارَ يُضني
شبابي قد ذوى مُذ جفَّ نبعي ... وأهدِرَ ماؤه يومَ التَّجَنِّي
فمن ذا يرَحمُ القلب المُعنَّى ... بِحُبٍّ خلتُهُ جَناتِ عدنِ
فَشَبَّت نارهُ ترعى بِروحِ ... تُنُوء بأسرها في ليلِ سجنِ
ليالي الشَوقِ كُفِّي عن نِدائي ... فلن ألقاك حتَّى بالتَّمنِي
ظلامً الليل غابَ فلا ظَلامٌ ... يُؤرقِّني ويشقى فيه جَفني

ويظل العاشق المدنف يشكو مرارة الهجر وقسوة البعاد ولا يجد إلا طيفها ليناجيه ويبثه أحزان قلبه الوامق ، وهمسات روحه المشوقة إلى ليالي الوصال الهنية وكم تستبد به الأحزان وهو يرى الشيب يغزو مفرقه ، فمتى يحين اللقاء لنستمتع بزهر الشباب الغض ؟(1)

سلَي فُؤادي إذا ذِكراكُمُ خَطَرت ... ولاحَ في هاجسي طيفٌ يُناجيني
وحلَّ ليلٌ أعاني البُعدَ أوَّلهُ ... وبالأواخِرِ وهمُ الوصَل يُضنيني
وصار يُبعدني ليلُ الأسَى بِأسىً ... وقد ظننتُ دوامَ اللَّيل يُدنيني
وعانَقَتْ رُوحي السَّكرى على شَغَف ... مشارِفَ الغيبِ ترجُوهَا لتنبيني
ماذا جرى لحبيبٍ آده وَلهٌ ... يَشُبُّهُ البَينُ في عُمقِ الشِّراينِ
يَجتّرُّ ماضيه يَرجو أن يكون غدًا ... هيهاتَ يرجعُ ما قد كان يُحييني
وهل يكفُّ الندى عن زهرة عطشًا ... أو قطرُ أمسٍ على الأوهامِ يرويني

***

يا مرَبَع الحُبِّ والإخلاص أين هُما؟ ... وأينَ منَىّ الأماني إذ تُمنيني
سلي فؤادي فَقهُر البين عَذبهُ ... وسالَ جُرحٌ يُبكِّيهِ فيشُقيني
ملَّ اصطبارٌ وصارَ العُمرُ يَهزأ بي ... إذ لاحَ في مفرقي شيبٌ يُعزِّيني
يا خافقي أسنينَ الوصل تطلبُهُا ... أم تلك أمنيةٌ عنها تُواسيني
لك الخُلودُ ويكفينا تألُمُنا ... فالنَّارُ قد أحرقت عمري ويكفيني

ولا يملك العاشق إلا أن يناجيها وتطول المناجاة على البعد ، لأنه لا يستطيع

(1) بوح البوادي / بيروت 1995 / وهم الوصل / ص36.

ان ينساها لأنها تخايله دومًا في صحوه ومنامه في نهاره وليله ، ويناشدها أن تظل تذكره في بالها كما يذكرها ويتمثلها في كل لحظة من لحظات حياته [1]:

كَيفَ أمسَيتِ ؟ بماذا تحلُمين ؟ أَلحُبِّ الأمسِ ما زالَ الحَنين؟
ام تُراها ذكرياتٍ عصَفتْ فَبَدا قلبُك تَذرُوه السُّنونْ
إذ ترامى البُعدُ فينا شاسعًا بِفَيافي العُمرِ طُولَ الأربعينْ
ورمَاني ويحَهُ في كبدِي ورمَاكِ البُعدُ فازدادَ الأنينُ
كيف أمسيتِ وقد طالَ الأسى وسِهرت اللَّيلَ ليلَ العاشقين
وصُروفُ الدهرِ عاثَتْ بالمُنى عَربَدتْ عَربَدَةَ المُستكبرينْ
غيَّرتْ فيكِ تصاريفُ الهَوى بَهجَةٌ كانتْ تسُرُّ النَّاظرينْ
فغَدتْ بسمتُكِ الولهى شجى وغَدا لحني كالنّاي الحزينْ
وافتقدناهُ وقد غادَرَنا وصلُنا التّائهُ من غيرٍ مُعينْ
فصَبرنا وصَبرنا ومضى عُمرنُا يَجري وبتنا صَابرينْ
وكفانا عِشقُنا خلّدنا فَمَشيناها دُرُوبَ الخالدينْ
كيفَ أمسيتِ وقد لوَّعني شَوقِي القاتِلُ والحبُّ الدَّفينْ
أتُراها تعتريكُم مثلَنا لَوعةُ القلبِ شجَتهُ كُلَّ حينْ
فإذا ذقتُم عذابًا مسنًّا وطغى الوَجدُ مِنَ البَينِ اللعينْ
فاذكُرونا مِثلما نَذكُركُم ربُّ ذِكرى أغدقت لِلظامئينْ

وهو كشاعر رومانسي ينشد الحب في ظلال الطبيعة يجد في نخلة زارها في «نيس» بفرنسا الملجأ والسلوى والملجأ بعيدًا عن عيون الرقباء والعذال حتى

(1) بوح البوادي / مناجاة / ص74.

وهو في الغربة لكنه وهو يفارق نخلته المحبوبة يأمل أن يعود إلى ظلالها مع الحبيب الغالي(1) :

يا نَخلةً في «نيس» حان فِراقُنا ... هل نَلتَقي يا نَخلَتِي وأعُودُ
أجترُّ ماضي ذكرياتي في الهوى ... ويضجُّ في نفسي الأسى ويسُودُ
وتُصيخ أحلامي وكلّ مشاعري ... لك يا نُخيلَةُ ما عساه جديدُ
وتردِّدين نصيحةً لكِ ما خَبَت: ... اصبر فما للصَّبرِ منكَ حُدودُ
فيؤوبُ إحساسي بخَيبةِ آملٍ ... صِفر اليَدين وحظَّهُ مَنْكُودُ
وأظلُّ أسألُ كيفَ مرَّت أشهُرٌ ... بعدي عليك وهل أتتك وُفُود؟
فَتُجيبُ بسمتُكِ الخجولُ : لقد ثوى ... عِندي هواك وسِرُّهُ المعهودُ
ويثورُ بي شكٌّ يواكِبهُ اللَّظى ... والقَلبُ شاكٍ غُربةً ووحيدُ
هَل ذاعَ سرِّي للوفودِ فأسرعُوا ... يروي الحديث قريبهُم وبعيدُ
وهُمومُ نفسي بالهوى قد أُعلنت ... والدَّمعُ منِّي قد رَوَاهُ قصيدُ
أنا لا أعاتبُ يا نُخيلَةُ خائفًا ... قول العذول يَحُفُّه التهديدُ
أغفيتُ عنهُ مدى السِّنين فلم أُعِر ... سمعًا لمن لم يُعيه التَّرديدُ
بل كنتُ أخشى أنْ سرِّي بالهَوى ... إن ذاعَ ردّ به الحبيبَ صدُودُ

وهناك لحظات ألم في حياة الشاعر العاشق بعد أن عانى من صدود الحبيب وملامه الذي أرهق نفسه وجعله يسهر الليل وحيدًا يحاول السلو والبعد لكن دون جدوى رغم هجر الحبيب وصدوده فيناشدها أن تكف الملام بعد أن عذبه الهجر!

(1) بوح البوادي / 1995 / ص10 .

دعـي المـلامَ فـإنَّ اللَّـوم أزهَقَنـي ... وأرهـقَ الـنَّفسَ تعلـيلي وتَسـهيدي
وهَزَّنِـي ألمٌ في القلـبِ أوجعنـي ... يزيـدُهُ اللَّـومُ مـا يُضـني أناشـيدي
سكبتُ روحي بكأسي كي أنـال بهـا ... حُبًّـا بِحُـبٍّ وإمعانًـا بتَوحيـدِ
فراعنَـي أنَّ أعـوامي وقَـد مُزجَـت ... بـالمُرَّ والبَـينِ تمضـي بالتَّناهيـدِ
واضـيعة العُمـرِ والمحبـوُبُ تُبعِـدُهُ ... سُودُ اللّيالي وذِكرى مـن بهـا عيـدي
حاولـتُ أسـلو فـلا السُّـلون أرجعَهَـا ... ليـاليَ الوصَـل أو حُلـوَ التَّغاريـد
دعـي المـلامَ فقـد ولَـى لَنَـا زَمـنٌ ... يـأتي المَشـيبُ عَلَيـهِ بالتَّجاعيـدِ
فـأينَ أنـتِ زمـانَ الحُـبِّ يـا حُلُمـي ... وكُنـتِ لحنًـا شَـجيًا في أغاريـدي
لم يبقَ من حُلُمِ الماضي سِـوى شَـجَنٍ ... أسـمعتُ شـكوايَ منـهُ للجلاميـدِ
سَددَتِ سَمعكِ عـن نجـوى مشـاعِرنا ... والآن تُبدينَ شوقًا من جـوى الغِيـدِ
دعي المَـلامَ فأنـتِ الجُـرحُ في كبـدي ... فكيف أنت التي جاءتَ لتَضـميدي
لا تعـذلُي فزمـان الوصَـل مزَّقـه ... هجرٌ ظلومٌ شجاني في ضُحى العيـدِ
كُفِّـي المَـلامَ فـلا قلبـي أحمّلـهُ ... ثِقل السِّنين ولا أرضي بِمـوؤودِ(1)

ويستبد الوجد المشبوب بقلب الشاعر بعد أن ذاق حلاوة اللقيا والوصال وتمتع بنعيم الحب وأفراحه ، لكنه يمني نفسه بعود الوصال المرتجى مع صاحبة «الجمال الناعس» ليجدد أفراح القلب الظامئ (2):

هـاجَنِي الوَجـدُ لأزمـانٍ خلـت ... كزمـانِ الوصَـل بالأنـدلُسِ
وظُنـوني أوغلـت تنتـابُني ... ويـلُ قلبـي مـن عـذابِ الـتَّعسِ

(1) بوح البوادي / عمر ينطوي / ص62.
(2) بوح البوادي / الجمال الناعس / ص 31 .

يـــا نـــداماي بنفســـي لهفَـــةٌ ... تتمّنـى لـو شَـفَاها مـن نَسـي
بوصـــالٍ جَدّدَتـــهُ مُنيتَـــي ... وأنـارَتْ قلـبَ ليـلٍ دامـسِ
أرشُـفُ الخَمـرةَ مـن عـذبِ اللّمـى ... وتُنـاغيني عُيـونُ النَّـرجسِ
وفُـــؤادي نـــارهُ تحرقنـــي ... ولظَاهَـا مِـن لَهيـبِ الـنّفسِ
يـا نـديميْ غَـزَلِي أيـنَ التَّـي ... صَـنعتْ أنسـي ألا مـن مُـؤنسِ؟
بعـد أن كُنـا حليفـي صَـبوةٍ ... وَسُـكونٍ ضَـمَّنا لم ينـبِسِ
وبليـغ الصَّـمت قـد أمتعَنـا ... بعـد همسٍ أو حـديثٍ سَـلسِ
قـد ذوى ذَاك زمـانٌ تعِـسٌ ... يَرقُـبُ الوصـلَ بَقَلـبٍ شَـرسِ
يـا نـداماي فِـداءٌ لكُمـا ... كـلُّ غـالٍ لـو أعيـدت خُلسـي
علِّـلاني بوصـالٍ مُرتجـى ... بعـد نـأيٍ شـتّ منـهُ هاجسـي
ذِكريـاتي غَربَّـت عنِّـي فَلـم ... يبـق منهـا غيـر رِسـمٍ دارسِ
غيـرُ عِطـرٍ فـاحَ بالـدَّرب الـذي ... مـرَّ فيـه ذو الجمـالِ النَّـاعِسِ

وفي ليالي سهاده يتذكر الملهمة النائية فيعلل نفسه بالربيع الضاحك (1):

بَـدَت شمسـي وقـد أرخـتَ جُفونًـا ... كـأنَّ شُـعاعها يرنُـو لأمسـي
بعـينٍ كـادَ يُثقِلُهـا سُـهادٌ ... أقـضَّ مَضـاجعَ الـذكرى بِهَمـس
أأيَـامِي ويـا فجـري بعـدنا ... أمـا مـن عـودةٍ لرفيـقِ نفسـي
فقـد ضَـاقت بِروحـي أمسـيَاتِي ... ولَـيلي بـاعَ احلامـي بِـبَخسِ

(1) بوح البوادي / عمر ينطوي / ص 62 .

وعُمـــري ينطـــوي والثُّقـــل فيـــه ... وقَـد حَمَلـت سُـنوهُ جِبَـال بُـؤسٍ
وكـــادت وحـــدتِي تمســـي عـــذابا ... تُعـــاني بالزَّمـــانِ هُمـــومُ نَحـــسِ
ولكـــنَّ الرَّبيـــع أتـــى ضَـــحوكًا ... تُعَانقُـــهُ الـــوروُد عِنـــاق عُـــرسِ
وتعبـــقُ مـــن ثَنايـــاهُ عُطـــورٌ ... تُهدهِـــدُ خـــافقي وتُثيـــر حســـيّ
وشمســـي أشـــرقت إشـــراقَ نـــورٍ ... تعيـــدُ البهجَـــةَ الأولى لِشمســـي
فَهَـــذا القلـــبُ حـــررَّهُ اصـــطبارٌ ... وأطلـــقَ قَيـــدهُ عَـــزمُ التَّأســـيِّ
وهـــذا الصُّـــبحُ ردَّدهـــا اقتـــدارًا : ... سُـــنو عُمـــري سأمضـــيها بـــأنسِ

هكذا تتراوح مشاعر العاشق المدنف بين لحظات هجر ووصال وفرح وحزن وسعادة وأسى في قصة حب للملهمة التي أسعدت قلبه رغم أيام الصدود والفراق .

ويستعيد الشاعر لحظات الوصال والهناء في وادي الحب الذي تشهد كل زهرة فيه وكل نجم أضاء فوقهما على لحظات السعادة والنعيم التي عاشها مع ملهمته ومحبوبة قلبه (1):

سـل وادي الحُـبِّ واسـأل وَردةً فيـه ... عـن اللقـاءِ الـذي لـو عـاد يَرويـهِ
تخضـــر أرضٌ ويزهـــوُ في جوانبـــهِ ... شـيحٌ وينمـو الخُزامـى في روابيـهِ
لُقيـا تحـدَّث عنهـا الـنَّجم ردَّدهـا ... للقادمـات مـن الأيـامِ في تيـهِ
ذكرتُهـا مـن صـميم القلـبِ أذكُرُهـا ... والحـبُّ تـأبى يـدُ الأزمـانِ تسـفيهِ
يـا عُـودُ دنـدنْ فقلبـي والـهٌ دَنـفٌ ... يـا شـوقُ أقبـل فإحساسـي يُناجيـهِ

(1) بوح البوادي / حنين / ص 15 .

سـلْ وادي الحُـبِّ يـا عـوَّادُ يُنبـئكم ... أنَّ السُّـــرورَ تنـــادى في حواشـــيهِ
فاصـدح بِلحنـكَ يـا عـوَّادُ مُنتشـيًا ... ودعْ لُقانـا عـلى الـذكرى نناغيـهِ
يـومُ اللِّقـاء الـذي قـد كـان يرقبـهُ ... عُشـاق عُـذرةَ في الماضـي ونحييـهِ
وفي الزوايـا بقايـا مـن تنادُمنـا ... وفي الـدُّروبِ لحـونٌ مـن أغانيـهِ
وفي الخبايـا حُطـامٌ مـن تأوهنـا ... خوف الفـراق وأوجـاعُ النَّـوى فيـه
يحـنُّ قلبـي إلى ذاكَ اللقـاء ففـي ... تـذكاره الحُـبُّ يسـمو في معانيـهِ
كـم ذا وَددِتُ لهمـسِ الـرُّوح تحفظُـهُ ... لأسـتعيدُ صـدى أمسـي وأبقيـهِ

ويؤكد شاعرنا على الوفاء الذي يتحلى به كعادة الرومانسيين ، فهو في أثناء رحلات الصيد والقنص يحاول أن ينسى جراح الحب وهجر الحبيب رغـم مـا يعانيـه مـن ألم الفراق لحبيبه البعيد، فيسأل الصقر عندما يطلقه: هل يعود الحبيب؟(1)

قُلتهـا في كـلِّ شِـعري يـا صـديقي ... وسـابقى قـائلاً حتّـى المآبـا
عشـتُ للحُـبِّ وفـاءً خالـدًا ... ردَّد الآهَ فـؤادي والعتابـا
ونشـيدي لـيس يخبـو طربًـا ... يُـرقص العُشَّـاقَ طُـرًّا والكِعَابـا
يـا صـديقي حـين أبغـي قنصًـا ... أطـردُ الظّبـي وصَـقري والـذِّئابا
فلأنسـى جُـرحَ قلبـي والنّـوى ... وهُمـوم العِشـق تكـويني اغترابـا
فأنـا في البـرِّ نفسـي حُـرَّةٌ ... أُبعـدُ الغُربـة عنـي والعـذابا
أطلـقُ الصَّـقر وقلبـي خلفـهُ ... طـائرًا يفـتحُ لي بـالأفقِ بابـا
أبحـثُ اليـوم وأمسـي وغـدًا ... عـن حبيـبٍ تـاهَ عـن عينـي وغابـا

(1) بوح البوادي / الوفاء الخالد / ص30.

أخـــذَ اللُّـــبَّ ورُوحـــي واختفـــى ... هـــل يُعيـــد الآن روحـــي واللّبابـــا؟
بعـــد عُمـــر قـــد تَقَضّـــى وانقضـــى ... أهـــرقُ الحِـــسَّ بنفســـي والشَّـــبابا
أُطلـــقُ الصَّـــقرَ وفكـــري شـــاردٌ ... أســـألُ الصَّـــقر : تُـــرى حبَّـــي آبـــا؟
ويقينـــي أنَّ مـــا فـــات انقضـــى ... وهوانـــا صـــارَ حُلمـــا وسَـــرَابا
وســـنبقى بعـــدنا ذكـــرى الهـــوى ... يســـطُرُ التـــاريخُ بالعِشـــق كتابـــا
قُلتُهـــا أُســـمعُ كـــوني والـــدُّنى ... وســـأبقى قـــائلاً حتّـــى المآبـــا

ويناجي شاعرنا «شقيق الروح» الذي حل بقلبه سنينا ، محبوب لا تبرح ذكـراه قلبه لأنه يحيا في كيانه ، وقد ملك القلـب والـروح وسـكن وجدانـه مهمـا كانـت الخطوب (1):

يـا شَـقيقَ الـرُّوح يـا عَـذب اللّمـى ... يـا عزيـزًا حـلّ في القلـب كـريمْ
حـــلَّ في القلـــب ســـنينا يحتســـي ... مـــن حُمَّيـــاهُ ودادي والنَّعـــيمْ
حـــلَّ عشـــقًا في الســـويداء وقـــد ... صـار جُـزءًا مـن فـؤداي بالصَّـميمْ

***

يـــا شـــقيق الـــرُّوح لا تبـــرح دمـــي ... فعروقـــي تشـــتهي فيهـــا تُقـــيمْ
أنـــت تحيـــا في كيـــاني والهـــوى ... فيـــه أحيـــا كيـــف أســـلو أو ألـــومْ
فيـــهِ عُمـــري وشـــبابي والمُنـــى ... ومغـــاني الشِّـــعر في الرُّؤيـــا تهـــيمْ
يـــا شـــقيق الـــرُّوحِ فاســـتوص بِـــهِ ... قـــد ملكـــت القلـــب ذيَّـــاك الكلـــيمْ

(1) بوح البوادي / شقيق الروح/ ص18 .

كُـــــن ودودًا مثلمـــــا ودَّوكُـــــن ... كُـن رحيمًـا مثلمـا كـان الـرَّحيمْ
لا تفارقـــــه فـــــويلي إن جـــــرى ... ذلـك البعـدُ سـيُلقى في جحـيمْ
يـــا شـــقيق الـــرُّوحِ إني ضـــيفُهُ ... ذلِـكَ القلـبُ ويهنـاهُ المقـيمْ
فلقـــد ملكتُـــهُ حُبـــي الـــذي ... عـاشَ فيـه زمـن العشـق الحميمْ
إنـــــهُ سُـــــكناكَ لا زال كمـــــا ... كنـتَ فيـهِ مـذ عشـقنا مـن قـديمْ
فترفَّـــــق بحنايـــــاهُ وكُـــــن ... في خوافيـــهِ لطيفًـــا كالنَّســـيمْ
يـا شـقيق الـرُّوحِ لا تـذر الهَـوى ... بريـاح النـأي يغـدو كالهشـيمْ
فنِـــدائي رغـــم حُـــزني صـــادحٌ ... يـا عزيـزًا حـلَّ في القلـبِ كـريمْ

ويشجى شاعرنا صوت الناى الحزين فيسأله هل تبكي الزمان الذي ولى وكان مفعمًا بنعيم الحب ، وتهزه نغمة الناي الحزينة الشجية التي تذكره بأيام الهوى والغرام التي سلفت (1):

يا نـايُ مالـكَ تبكـي الوصـل متْشـحًا ... بـالحزنِ والشـوقِ والآهـات والألمِ
تبكـي الزمـان الـذي ولّـى .. وتـذكره ... في كـل آه بأشـكالِ مـن السـقم
فـبّحُّ صـوتك مـن مـرِّ السـنين، وقـد ... شاخ الزمـان بلحـنٍ فيـك منسـجم
يـا نـاى هـدّئ .. وسـلني لا تنـاوحني ... سلني عن النوح والألحـان والـنغم
إذ جذوة الشوق في نفسي قد اشـتعلت ... منذ الزمان الذي شـطت بـه قـدمي
فنبـرة النـوح تُشـجي .. بـل تُـذكرني ... أحبابُ أمس مضوا في عُتْمـةِ الظُّلـمِ
يقطـع القلـب صـوتُ النـاي يأخـذني ... إلى الـوراء سـنينًا عاشـها حُلمـي

(1) بوح البوادي / ص76 .

لا النوح يجـدي ، ولا الأنغـام تُرجعـه ولا البكاء على الأطلال مـن شـيمي
فالصـبر عنـدي يبنيـه التجلّـد بـي والحـزن يبقـى ويبقـى فيّ للعـدم

ويحاول أن يتوحد مع الناي ويتناغم مع نغمته الشجية ، فيسائله : هل أنت حزين مثلي في الهوى الضائع ؟

لكنه يظل يعاني الشوق لحبيبه النائي :

أأنـت مـثلي يـا نـاي الهـوى حَزنًـا أم تطـربُ الحـيّ في مزمـاركَ الهـرِم
نُح ما تشـاء فلـن يجـديك نوحـك يـا رفيـق دربـي فـالمكلوم لم يُلَـمِ
فأنـت مشـتاقُ لا ريـبٌ بـذاك ، ولا شكٌ بشوقك يا نـايٌ .. فأنـت ظَمِـي
لكننـي – والهـوى الغـالي ! يبرَّحنـي مسٌّ من الحب فاق الحزن وسط دمي
أنـا الـذي يتقضـى عمـرهُ هزئًـا بالحزن والشوق –مهمـا زاد – والألم

***

هكذا يرسل عبد العزيز سعود البابطين مشاعره الرومانسية المرهفة التي تتراوح بين الحب والبهجة وحلاوة الوصال ومرارة الهجر والصدود ، ولحظات النجوى ولحظات الأسى لتؤكد شفافية نفسه المتلهفة دومًا للحب الصافي الجميل البعيد عن شوائب الزمان ، وعيون المتطفلين ، وقسوة العذال والرقباء !

شعر البابطين الرومانسي رمز ما ضاع أو ما لا ينبغي أن يضيع ، رمز التفريق بين القشور واللباب ، بين الصحة والمرض ، بين الأصالة والطلاء ، بين الوجدان الرخيص والفقد العظيم ، توثيق البساطة والشجاعة والغناء . كأنما يبحث الشاعر عن ميلاد كامن في عمق بعض النفوس . يتصور أحيانًا بصورة «الطيف» الذي يتردد في القصائد . هذا الطيف ينافس بعض المنافسة صاحبه أو صاحبته ، الطيف

الذي استيأس منه الشعر لأنه استيأس من الماضي . لكن الشاعر يبحث عن مكبرًا له إكبارًا يتجلى في تقليب الكلمة في اشتقاقاتها المتنوعة ، واستعمال كلمات أخرى بدائل تنوب عنه ، وترمز إليه من مثل كلمة الفجر والهمسات ، هذه الكلمات تتواشج للتعبير عن السر الذي لا يعيش الشاعر دونه . السر الذي يحفظه من التبذل وعدوان الإفصاح والتزيين . الطيف روح الزمان . أو روح العربية . الطيف ليس تابعًا من توابع الحب فحسب . الطيف هو الحقيقة التي لم تتكشف بعد ، ومن حقها علينا أن تحتفظ بمكانها من النفوس ، الطيف مجمع الماضي والحاضر ، الطيف أمام نفوسنا إذا غرقت فيما ترى وما تسمع على حد تعبير د. مصطفى ناصف [1].

(1) دراسات نقدية : 76.

الفصل الرابع

شاعر الوجدان القومي

سـيروا إلى المجـد والعليـاء يـا عـرب
يحـدوكم العلـم والأخـلاق والأدب
لكـم بتـاريخكم مـا تفخـرون بـه
ومـا تباهـت بـه الأجيـال والحقـب
أبـاؤكم مـن معـين المكرمـات ومـن
نبـع المـروءات والأفضـال قـد شـربوا
كـانوا مشـاعل نـور في الـورى وهـدى
أعظـم بمـا منحـوا الـدنيا ومـا وهبـوا

عبد العزيز سعود البابطين

وطنية البابطين

من أبرز الملامح الرئيسية في شعر عبد العزيز سعود البابطين نجد ارتباطه بوطنه الكويت وبوطنه العربي وبأفقه الإنساني الواسع .

كان ارتباط الشاعر بوطنه الكويت وحبه لأرضه واعتزازه بالكويت والزود عنها في لحظات عزتها ولحظات المحنة دفاعًا مستميتًا لمشاعر مواطن يحب وطنه ويعشق أرضه وينافح عن كل ذرة رمل على أرض هذا الوطن الغالي على قلبه

وقد عبر عن كل مشاعره وأحاسيسه في كافة المراحل التي مرت بها الكويت في العصر الحديث .

يؤمن الشاعر أن الكويت هي بلد المحبة ومهد الشرف والوفاء ، يقول من قصيدة كتبها في شتاء عام 1988 : (1)

دُرَّةَ العـــربِ ومهـــدَ الشَّـــرفِ ... يـا «كويـت» العـزَّ أمسـى وغـدِي

أنـــتِ للعـــين ضـــياءٌ مُبصـــرٌ ... فيـــه للعليـــاءِ دومًـــا نَهتـــدي

فَلَـــكِ الحـــبُّ مَضـــيءٌ فَاسْـــلمي ... قـــد عَـــلا نجمُـــكِ نجـــمَ الفَرْقَـــدِ

قَـــلْ لمـــنْ غَـــالَى بحقـــدِ إنَّنَـــا ... مِـــن كبـــار لصـــغارٍ نَفْتَـــدِي

بلـــدَ الحـــبِّ فَـــذِي أرواحُنَـــا ... وبنونَـــا للـــولاءِ السَّـــرمدِي

عِشْـــتِ للمجـــدِ فَـــإنَّي مُغْـــرَمٌ ... إذْ أرى راياتِنَـــا تَعْلـــو الجَـــدي

(1) أغنيات الفيافي/ كويت المحبة ص60 .

ثم يخاطب الشاعر أمير البلاد وسمو ولي العهد معاهدًا على السير وراء رايته لتحقيق كل الخير والازدهار لكويت المجد :

يـا أميـرًا سـرْ بنـا نحـوَ العُـلا ... فَلَـك الحـبُّ وفـاءَ يَرْتَـدِي
يـا وليَّ العهـدِ يبقـى عهـدُنا ... للصَّـباحِ الغُـرِّ أقـوى سَـنَدِ
قـدْ كفانـا دينُنَـا نَحْفَظُـهُ ... وَكَفانـا أنَّنـا مِـنْ «أحمـدِ»

وعندما مرت الكويت بمحنة غزو النظام البعثي في العراق في أغسطس 1990م ، يصاب الشاعر بصدمة مروعة تفقده توازنه وتثير فيه كل مشاعر الألم والأسى لهذا الغزو الغاشم الذي جاء من نظام عربي كان يفترض أن يكون السند والجار الطيب لكن وجد الغدر والخيانة ، فأطلق هذه الصرخة الحزينة الغاضبة التي سماها «الكارثة» والتي عبر فيها عن مشاعره ومشاعر أهل الكويت ومشاعر كل عربي أصيل تألم لهذا العدوان الغادر على أرض الكويت الشقيقة التي كانت دومًا سندًا لكل عربي وكانت داعمة لقضايا العرب فجاءت قصيدة عبد العزيز سعود البابطين معبرة عن مدى الجرح الذي أحس به كل كويتي وكل عربي شريف تجاه هذه الكارثة الفاجعة الكبرى ؛ وقد نظمها في الأشهر الأولى لذلك الغزو الغادر في الثاني من أغسطس عام 1990 ، وقال فيها : (1)

مِـن جديـد!!.. هـل غزانـا التَّتَـرُ ... أمْ غَزَانـا إخْـوةٌ قـد كفـروا؟
إنَّهـم أخْوتُنَـا مَـن وَلَغُـوا ... في دمانـا فاستشَـاطَ القـدرُ
فَعَلـوا فِعلـتَهُمْ؟؟.. يـا ويْحَهُـمْ ... وهُـمُ لمْ يَخجلـوا بـل مَكَـروا
لا التَّتَـارُ الصُّـفْر مَـرُّوا مِـن هنـا ... لا ولا صـهيونُ هـم مَـن أَمَـرُوا
إنَّـهُ العِلْـجُ الـذي خـانَ الوفـا ... ضـيَّعَ العهـدَ فَضَـاعَ الأثـرُ

(1) أغنيات الفيافي / الكويت 2017 / ص83 .

أيــــن عهــــدٌ صــــاغَهُ مَــــنْطِقُكُمْ ... يــا دُعــاةَ الشــرِّ .. يــا مَــن غــدروا
نحــــنُ لا نرضَــــى بمَــــنْ مَزَّقَنَــــا ... وأضــاعَ الــدَّرْبَ بالتِّيــهِ سَــروا
قــدْ دعونــاكَ فَيَــا «جابرَنــا»(1) ... عــالِجِ الجُــرح ومــا قــد كَسَــرُوا

ومن هول صدمته من غـزو الكويـت مـن جـارة عربيـة يحـاول أن يسـتوعب الموقف فيستند إلى تاريخ الكويت وعروبتها وفضائلها فيكتـب في الأسـبوع الأول من ذلك الغزو الغاشم ، مشيدًا بالكويت «بنت العروبة» وأم الفضائل : (2)

اللهُ أكبــــرُ يــــا «كويــــتُ» ... يــا بنــتَ أكْــرَم مــا فَــدَيتْ
يــا بنــتَ أشــرفِ مــن قَصَــدْ ... تُ مــن الخَليقَــةِ أو كَنَيــتْ
بنــــتَ الطَّهــــارةِ والنَّــــدَى ... مُتَمَثِّلَــــيْنِ بمــــن عَنَيْــــت
مــــاذا عنيــــتُ ســــوى العُــــرُو ... بَــةِ ، إنْ صَــمَتُ وإنْ حَكَيــتْ
أمُّ الفضــــــائل والمَكَــــــا ... رِمِ ، إنْ رضــــيتُ ، وإن أبَيَــــتْ
هِــــيَ للمُــــروءةِ والمحَبْــــ ... ــــبَةِ والإبــاءِ حِمًــى وبيْــت
هــــيَ موئِــــلٌ للثَّائريْــــ ... ــــنَ عــلى النَّقــائصِ لــو دَريــت
سُــــقِيتَ بمــــاء الخيــــر ، يــــا ... ربَّــــاه بــــاركْ مــــا سَــــقَيْت
بنــــتُ العروبــــةِ أنــــتِ يــــا ... أرضَ المحبَّــــةِ يــــا «كويــــتْ»
أنــــتِ الضَّــــمِيرُ إذا الضَّمِيْــــ ... ــــرُ شَــكا وقــال : أنــا انتهيــتْ
كُوِّنــــتِ مــــن طــــينِ الوَفــــا ... وعــــلى هُــــداكِ أنــــا مَشــــيتْ

(1) سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح (رحمه الله) .
(2) أغنيات الفيافي / بنت العروبة / ص31.

لـــكِ يـــا «كويـــتُ» وفي سَبَيْـــ ـــلِكِ مـــا نشـــرتُ ومـــا طويـــتْ
ولِعـــــزِّ رايتِـــــكِ المَنيْـــــ ـــعَةِ والحبيبـــةِ كـــم ســـعيتْ
وعَنَيـــــتُ قَولَـــــكِ للعِـــــدا: أنـــا للمحبَّـــة قـــد أويـــت

ثم يلتفت إلى الغزاة الغاصبين فيطالبهم بترك العداوة والبغضاء والعمل من أجل السلام والرخاء كما كانت الكويت تبني وتعمر وتدعو للمحبة والسلام : (1)

فَـــدَعُوا العـــداوةَ والقِلَـــى وابْنـــوا السَّـــلامَ كمـــا بَنَيْـــتْ
لَكـــنَّكُمْ يـــا طُغْمَـــةَ الْـــ ـــفجَّارِ شـــئتم مـــا اتَّقيـــتْ
فَنَبَـــا بِعـــدلٍ عـــنكُم ربُّ السَّـــما وبـــه احْتميـــتْ
تبقَـــى وتسْـــلَم جنَّتـــي يـــا بنـــتَ أكـــرم مَـــن فَـــدَيتْ

لكن عندما تحررت الكويت وعادت البسمة إلى الوجوه الحزينة وعم الفرح قلوب أهل الكويت وكل أحباب الكويت من الأخوة العرب ، تهلل الشاعر لبشائر الفرحة والنصر ، ومظاهر البهجة وعرس النصر فقال منشدًا يحيي وطنه الكويت وأمير الكويت والقادة العرب الذين ساندوا الكويت في محنتها حتى تحررت وزالت آثار العدوان الغاشم عن ربوع الكويت في 26 فبراير 1991 ، فقال معبرًا عن فرحته الغامرة ، وفرحة كل كويتي وعربي أصيل : (2)

عُـرْسُ الزَّمـان بمـوطني مُـزْدانُ تزهُـو بـه الأشـكالُ والألـوانُ
عُـرسٌ بـه في كـلِّ بيـتِ مُنشـدٌ طربًـا ، وفيـه شـاعرٌ فنَّـانُ
والنَّـاسُ ، كـلُّ النَّـاسِ في أعمـاقهم تتغـازلُ الأشـعارُ والألحـانُ

(1) أغنيات الفيافي / ص33 .
(2) أغنيات الفيافي / العرس الخالد/ ص176 .

وطني وقد حلَّ السَّلامُ بأرضِهِ ... والرُّعب زال وأورقَ الرَّيحانُ
يا فرحةَ الأهلِ الميامينِ الأُلَى ... لا الطَّعنُ أرهَبَهُمْ ولا الطَّعانُ
ورثوا الشَّجاعةَ كابرًا عن كابرٍ ... فجميعهُم ـ في حقِّهم ـ شجعانُ
في السِّلمِ لا طاغٍ ولا مُتَجبِّرٌ ... فيهمْ ، وفي يوم الوغَى ما هانُوا
عاشوا بحبِّ الآخرين ، وعذرهُمْ ... ـ في حبِّهِمْ ـ أنَّ الورى إخوانُ
يفدُونَ مَن حطَّتْ به الأيَّامُ أو ... جارتْ عليه وعضَّهُ الحَدْثَانُ
ويُصَارعون المعتدي دَفعًا لهُ ... إمَّا بدا من غاشمٍ عدوانُ
عرسٌ هو الدُّنيا تُزيَّنُ وجْهَها ... والحُسن في أعطافِها ريَّانُ
تتراقصُ الآمالُ فيه مُسرةً ... بهزيمةِ الطَّاغُوتِ وهو مُهانُ
لا لومَ إن فَرِحَ الأُلى عشقوا السَّلا ... مَ ، وهلَّلوا لمَّا هَوى الطُّغيانُ
ما فيهِمُ في جنَّةِ الأحرارِ إلْـ ... ـلا مُشرقٌ مُستبشرٌ جَذْلانُ
هذي «الكويتُ» وما نما في رَبعِها ... المعطاءِ إلا البرُّ والإحسانُ
غرَّاءُ لا يشكو النَّزيلُ بأرضها ... ضِيقًا ، ولا يَتَظلَّمُ الضِّيفَانُ
هيَ للمحبَّةِ والسَّلامِ خَميلةٌ ... غنَّاءُ تسقي نبتَها الغُدْرانُ

ثم يعود فيتغنى بالكويت المحررة أرض المحبة والتسامح في ظل آل الصباح بعد أن تعطرت أجواؤه وسماؤه بعبير الحب والمودة والتسامح :

وطنٌ غدَا «آلُ الصباح» رُعاتهُ ... يحمي الرَّسُول حِماهُ والرَّحمنُ
يا حبَّذَا عرسُ الحياةِ بموطنٍ ... عن أرضهِ قد زالت الأدرانُ

فتعطَّـــرِتْ أجـــواؤُه وســـماؤُه بشـــذا المـــودَّةِ والزَّمـــانُ أمـــانُ
عـــادتْ إليـــه طباعُـــهُ ، وطباعُـــه حـــبٌّ تَسَـــامى غايـــةً ، وحنـــانُ
لمَّـا هَـوَى صـرحُ العَـداوةِ والأذى وعـــلى العـــدو تَهـــدَّمَ البنيـــانُ
وغـدا يُبَصْـبِصُ باحثًـا عـن رأسـهِ بـــين الخرائـــب ذلـــك الثُّعبـــان
حُصِّنْتَ يا وطني عنِ الصَّـدَّام والـ ـــهدَّامِ واسْـتقْوَى بـك الإنسـانُ
وطنـــي ســـتبقَى رايـــةً خفَّاقـــةً تزهـــو بـــك الأشـــكالُ والألـــوانُ

والجدير بالذكر أنه قد أبدع هذه القصيدة في منطقة الرقعى شعيب الباطن بالمملكة العربية السعودية في السادس عشر من مارس عام 1998 .

وعندما عاد الصفاء للكويت ، وعادت لتقوم بدورها الثقافي والحضاري كما كانت واختيرت عام 2001 عاصمة للثقافة العربية ، يؤكد البابطين على دور الكويت التنويري وإشعاعها الثقافي ويباهي بأنها واحة العرب ، فيقول : (1)

(كُوَيْـتُ) يـا جنَّـةً في سَـاحةِ العـربِ ويا (عكـاظ) النُّهـي والشِّـعر والأدبِ
يـا واحـةً لَبِسَـتْ مـن نَسْـجِ خالِقِهـا غلائلاً مـن ضِـياءِ الشمسِ والشُّـهُبِ
ونَجْوَةً في الصَّحاري البيدِ قـد وَصَـلَتْ مَهْدَ «النبـيَّ» بمَـوْجِ الشَّـاطئِ الـذَّهَبي
بـالعلمِ والحُـبِّ والإيمـانِ قـد مَلِئَـتْ أيامُـكِ الغـرُّ دومًـا عـن أبٍ فَـأبِ
والشِّعْرُ في أرْضِكِ المِعْطـاءِ مـا نَضَـبَتْ يوْمًـا يَنابيعُـهُ عـن مائهـا العَـذِبِ
شِـعْرُ المَحبَّـةِ والإنْسـانُ مِحْـورُهُ خُطَّـتْ دَواوينُـهُ في هـذه الكُتُـبِ

ويؤكد البابطين أن إبداعات الكويت فـن مختلـف الآداب والفنـون والعلـوم

(1) مسافر في القفار / ص116 .

ومنها ديوانه «بوح البوادي» إنما يعد شعاعا من إشعاعات الكويت الثقافية والحضارية وقبس من نور العلم والمعرفة التي اتسمت بها الكويت : (1)

(بوحُ البوادي) شعاعٌ من أشعتهِ ... ونغْمةٌ رُدِّدت في جوِّها الرَّحِبِ
يا رَبْعَنا في ديار العُربِ هلْ سمعتْ ... آذانكمْ ما وَعَاهُ مِسْمَعُ الحِقَبِ
صَوْتٌ من الشِّعر أمْلاَهُ «فَرَزْدَقُنا» ... على «جَريرٍ» فثارَ الشِّعْرُ بالكُتُبِ
في أَرْضِ (كاظِمَةٍ) ألقَى قَصائدَهُ ... فَراحَ تَرْدَادُها يسري على الهُدب
شمسُ البدايات من آفاقنا سَطَعَتْ ... في العالمين بنورٍ غيرِ مَنْحَجِبِ
على غُصونِ الحضارات التي وَرَفَتْ ... بلابلٌ من طيور الشَّاطيءِ العَربي
(كُوَيْتُ) يا بلدًا للجود يسكنُه ... عزمٌ على الخير لا ينفكُّ في دأبِ
قولي لمن قال نارُ العلم واريةٌ ... وقودُ نيران هذا العلم من حَطَبي
إذا صمتُّ قليلاً في الزحام وفي ... بحر الضَّجيج وموجِ الهرْجِ والصَّخبِ
مهلاً فأبْرعُ من غنوا ومن طربوا ... قد يصمتُون عن الإنشاد والطَّرب
حتَّى يحينَ زمان يكشفون به ... عمَّا لديهم ، لهذا الصَّمتِ ، من سببِ
رِمالنا في البَوادي ذوبُ أزْمنةٍ ... أنجبنَ من عزَّ من آبائنا النُّجب
بما أشاعوه عبْر الفتح من قيمٍ ... في الشَّرق والغربِ جاءوا النَّاس بالعجبِ
إذْ نوَّروا الشَّرق بالأنوار وانتزعُوا ... عن ناظِرِ الغرب ما غطّاه من حُجُبِ
كم طوَّعوا من خُيول الريح جامحةً ... تَجْري بهم لجَليلِ القَصْدِ والأرَبِ

ويسرد الشاعر مصادر الثقافة الكويتية وألوانها وفنونها فيذكر أنها أنشأت بين

(1) مسافر في القفار / ص117 .

الرمال وأمواج البحر فاتسمت بالوسطية والتسامح والحب : (1)

وفي صَباحِ الوَرى كانت ثقافتهُمْ أُنشودةً للهُدى في لحنها العَرَبي
ثقافةً نشأت بين الرِّمال ومَوْ جِ البحر، واعْتَدَلَتْ في الوهْدِ والهِضَبِ
ومدَّها العزمُ حتَّى طارَ طائرُها مُغرِّدًا سابحًا في ملعبِ السُّحبِ
فألَّفت من بني الإنسانِ عائلةً توحَّدت بالهَوى والمَيْل والنَّسبِ
دُنيا من الحبِّ والأخلاقِ سافرةٌ عمّا طوَى من حنانٍ قلبُ كلِّ أبِ
دُومي كما أنتِ يا أرْضَ العروبةِ يا (كويتنا) عن سماها النُّور لم يغِبِ
(ما أجْمَلَ الدِّينَ والدُّنيَا إذا اجْتَمَعَا) في دوْلةِ الحُبِّ والإيمانِ والأدبِ

***

هكذا عبر عبد العزيز سعود البابطين عن وطنه الكويت في السلم والحرب ، واعتزازه بدورها الثقافي العربي ، وتمسكها بقيمها وثوابتها ، وهكذا عبر شعره الوطني عن وطنه وأرضه وفخره بها ، ويحسب له أنه من شعراء الوطنية الكويتية في الشعر المعاصر ، والملاحظة الجديرة بالذكر أن وطنيته وطنية سمحة ليس فيها تعصبًا أو تشددًا بل وطنية سمحة تعرف للكويت دورها العربي وإشعاعها الثقافي والأدبي الذي تضطلع به عن رضا وسماحة.

(1) مسافر في القفار / ص118 .

البابطين شاعرًا عروبيا

وبجانب انتماء الشاعر لوطنه الكويت ودفاعه عنه ووقوفه منافحا عن الكويت في السلم والحرب معليًا من شأنها فإنه لا ينسى وطنه العربي الكبير في انتصاراته وانكساراته أيضا ، في بطولاته ومواقفه المشرف دفاعًا عن العرب والعروبة .

فعندما تحتفل لبنان بالانتصار على العدو الصهيوني وطرده من جنوب لبنان تستثار العزة العربية عند الشاعر ويهتز طربا بهذا النصر المبين على العدو ويباهى بعروبته وبالمقاومة العربية ضد العدو الغاصب ، فيقول مهنئا العرب وأباة الضيم في لبنان بنصرهم المظفر : (1)

زيِّني يا أمّة العُرب العواصمْ ... فلقد ردَّ الأذى عنكِ المُقاومْ

بطلٌ ما حدَّثوا عن مثلهِ ... في ميادين الوغَى حيث الملاحمِ

كان مرصودًا ليومِ النَّصرِ في ... زمنٍ كم كثرت فيه الهزائمْ

يا أباةَ الضَّيم في (لبنان) يا ... من قهرتهم كلَّ غدَّارٍ وغاشم

من مغانيكم جعلتم حرمًا ... عزمكم فيه قِبابٌ ودعائمْ

في زمانٍ قد رأى أبناؤُه ... من صنُوف الظُّلمِ ما أوْهَى العزائمْ

أدبر الليل على أيديكمُ ... يعدمَا طالَ ونورُ الصَّبحِ قادمْ

أنتمُ في جنَّةِ الشَّرقِ وفي ... جوِّها في حالةِ السِّلمِ حمائمْ

(1) مسافر في القفار / قصيدة لبنان النصر / 106 .

ويســـاحاتِ الـــوَغَى إن جـــاءكم معتـــدٍ بـــاغ ، أســـودٌ وضـــياغِمْ
سِـيَرُ الأبطـال مـنكم قـد غَـدَتْ لمعـاني الفخـرِ والمجـدِ معـاجمْ
بـات هـذا الشِّـرقُ مـن فرحتـه نـاثرًا في مَـدحِ مسْـعاكم ونـاظمْ
نُجْعَـةَ الرائـدِ (لبنـانُ) غـدا وَغَـدتْ (بيروتُـهُ) أمَّ العَواصِـمْ
رايـةُ النَّصِـرِ التـي قـد خَفَقَـتْ في فضـاءٍ كـان حتَـى الأمْـسِ غـائمْ
صـنعتَها ثـم علَّتْهـا عـلى راحَتَيْهـا كِبريـاءٌ لا تُسـاوِمْ
في صِـراع الخيـر والشـرِّ وقـد هُـزم الشـرُّ وكـان الخيـر هـازمْ
نِعـم يـوم كـان في تاريخنـا رجـمَ الشـيطانَ فيـه ألـف راجـم
وتعـرَّى الجُـبنُ في جلبابـهِ واكْتسـى الإقـدامُ أكنـاف القسـائمْ
علَّمـوا الغاشـم في اسـتعْلائِهِ كيفَ يَنْبُـو السَّـيفُ في قبضـةِ غاشـمْ
وعـلى هامـاتِهم كـم أُلبِسُـوا مـن نَسـيج الحَـزْمِ والعـزمِ عمـائمِ
مَعشـرٌ إن سـالمُوا أو حـاربوا مـا بَغَـوْا إلا الكرامـاتِ غنـائمْ

وقد نظم البابطين قصيدة لبنان النصر في غرة نوفمبر عام 2000م ، وألقاها في دورة الشاعر أبو فراس الحمداني في العاصمة الجزائرية تفاعلاً مع أنباء النصر على العدو الصهيوني واعتزازًا بموقف لبنان البطولي.

وعندما يستشهد الطفل محمد الدرة في بدايات انتفاضة الأقصى المباركة ينتفض قلم عبد العزيز سعود البابطين مشيدًا ببطولة فتيان فلسطين ضد العدو الصهيوني الغاضب ويباهى بجيل الشهادة البطل وهؤلاء الأشبال الذين ردعوا العدو الصهيوني ؛ وقد أبدعها في نوفمبر عام 2000 (1):

(1) مسافر في القفار / قصيدة محمد رمزهم / ص112 .

مَسـيرةُ الشَّـرق للتحريـر والظَّفـرِ ... قدْ خطَّهـا فِتيـةٌ في صـفحةِ القـدرِ
عـلى سَـنَاهُمْ مشَـى تـاريخُ أمَّتِنـا ... إلى المُكـارم مـن ليـلٍ إلى سـحرِ
أعظِـم بفتيـانِ صـدقٍ جـلَّ مـأرَبهمْ ... يقـاومونَ بنـي صـهيون بـالحجرِ
وللحِجـارة في أيـديهم لغـةٌ ... تُزْرى فَصَّاحَةً اهلِ الجُبنِ والخَوَرِ
مَضَوْا إلى السَّاحِ لا خوفٌ ولا حـذرٌ ... والحُـرُّ يَهْـزَأُ في المَيْـدانِ بالحَـذَرِ
في عـالمٍ مـا لـهُ قلـبٌ يحركُـه ... ومـا لـهُ بـدرُوب الخيـرِ مـن أثـرِ
يُحاصرُ الوحْشُ فيه الخلْقَ مُفتخِـرًا ... بمـا لديـهِ مـن الأنيـابِ والظُّفُـرِ
يَعْتُو على مَـنْ زَكَّـتْ بـالخيرِ سيرَتُهُ ... جورًا ، ويفترسُ الأطفالَ في السُّرُرِ
فَمِـنْ ريـاءٍ لـدفْعِ الحيْـفِ مُنعقـدٍ ... ومـن نفـاقٍ لنشـرْ العـدْلِ مُـؤتَمِرِ
تَمْحُو الوقائعُ ما خطُّـوه مـن دَجَـلٍ ... والرِّيحُ تمضي بما قالوه من هَـذَرِ

***

فَتَى الحجارة يـا سـيف الكرامـةِ في ... دارٍ توالَـتْ عليهـا أوجُـهُ الخطـرِ
سَـخِرت مـن ظـالمٍ يزهُـو بآلتـهِ ... ومـن رصـاصٍ عـلى جِنْبَيْـكَ مَنْهَمِـرِ
وهِمَّـةٍ فـوقَ أرضِ الأنبيَـاءِ نَمَـتْ ... كأنَّهـا صـحْوةٌ في غفـوةِ القـدرِ
أعَـدْتَ سـيرَةَ آبـاءٍ لنـا انتصـرُوا ... على الطَّواغيتِ ، في ما كان من عُصرِ
أخزيـتَ أوْبـاشَ قـومٍ عـمَّ ظُلْمهُـم ... تكـاثرُوا زُمـرًا تَرْبُـو عـلى زُمـرِ
للغَدْرِ والمَكْـرِ كانـتْ كُـلُّ هِمَّـتِهمْ ... وللمسـاوئِ والعُـدوانِ والضَّـرَرِ

فَاقْرَأْ بما جاء في الإنجيل لَعْنَتَهُمْ واقرأْ بما جاء في القُرآن من سُورِ

ثم يجدها فرصة سانحة للإشادة بجيل الشهادة والفداء من أشبال فلسطين الذين ملأوا الدنيا بشجاعتهم النادرة وجادوا بأرواحهم فداء لوطنهم وسعيًا لتحرير أرضهم السليبة :

جيلُ الشَّهادةِ جيلٌ لا يُروَّعُهُ سلاحُ مُستكبرٍ بالبَغيِ مشتهرِ
أشبالنًا ملؤوا الدُّنيا بسيرتهمْ وسوفَ يبقُون مِلْءِ السَّمعِ والنَّظرِ
جادوا بأرواحِهِمْ بذلاً وليس لهمْ إلا الأمانِ ورَفعُ الضَّيمِ من وطرٍ
لا تعرفُ الأرضُ أنقَى من سرائرهمْ عن مِثلهمْ ما رَوَى التاريخُ من خبرِ

***

يا شرقُ قبَّل ثَرَى الأحْرار من وهبوُا لك الحياة بزهقِ الرُّوحِ والعُمرِ
فما شهيدُكِ يا أرضَ الأباةِ سِوَى شهيدِ من ظُلموا في عالمٍ عَكِرِ
يُصاولُ الموتَ من أجل الولادةِ في دُنيا تخلص من فيها من الكَدَرِ
كالشمسِ في اللَّيل تَهْوى عنك غاربةً لكي تعُودَ معَ الأضْواء في السَّحرِ

هكذا تفاعل عبد العزيز سعود البابطين مع قضايا وطنه العربي الكبير وساندها في معارك الحرب والسلام لأنه آمن بالعروبة لأنه جزء أصيل منها نشأ في بيئتها الصحراوية وترعرع تحت سمائها الساطعة ورضع من لبان الشمم والإباء العربي، وتنسم نسائم الحرية والعزة والكرامة في بيئته منذ صغره ، فلم يكن غريبا انتفاضته لكل ما يسمى كرامة وحرية واستقلال أي جزء من الوطن العربي والإشادة والفخر ومساندة كل انتصار عربي يعيد للأمة العربية اعتزازها بذاتها وتمسكها

بحريتها واستقلال إرادتها وحفاظها على وجهها العروبي الإسلامي الأصيل ، فاستطاع أن يعبر شاعرنا عن الوجدان القومي العربي بكل صدق وأصالة واقتدار ، لأنه في النهاية شاعر عروبي أصيل قد تجاوز كل الحدود المصطنعة وكل الدعوات الإقليمية الضيقة ليعبر عن الضمير القومي العربي الصادق .

ولعل كلماته التي انطلقت من القلب تعبر عن هذا الحس القومي العربي الذي يرفض العنصرية والتفرقة بين عناصر الأمة ونبذ الفتنة والفرقة ، لتحقيق العدل والسلام على الأرض العربية حتى يعم الرخاء والازدهار والأمان إذا طبقنا جوهر ديننا الإسلامي الصحيح بعيدًا عن خزعبلات المتنطعين وأصحاب الفكر المتعصب الضيق ، هكذا عبر عبد العزيز سعود البابطين عن آماله في وجود أمه عربية تعيش في سلام وأمان وازدهار لإظهار الروح الحقيقية للإسلام وللقيم العربية الأصيلة ، وهكذا عبر في ملحمة العرب التي أبدعها في شهر سبتمبر (أيلول) عام 2015 ، والتي يقول فيها : (1)

آمنَ العُربُ جميعاً ... بنداء الأنبياءْ
أكْبَرُوا دينَ النَّصارى ... ورسالاتِ السَّماءْ
فَلَقد قال تعالى ... رسُلُ اللهِ سَوَاءْ
دينُنَا دينُ التَّسَامي ... وعناوينُ الإخاءْ
نَنْبِذُ الفِتنةَ .. والإرْ ... هَابُ دينُ الجُبناءْ
واعلمُوا أنّا ـ ودينِ الْـ ... ـحقِّ ـ منهمْ بُرءاءْ
يا بني الإنسان ندعو ... كُم ، فلبُّونا النِّداءْ

(1) أغنيات الفيافي / ملحمة العرب / ص9 .

إنَّكُـــــمْ طُـــــرًّا خلقـــــتُمْ مِـــنْ تُـــراب فيـــه مـــاءْ
انبـــــذُوا الحقـــــدَ وقـــــتْلا وولُوغَـــــا بالـــــدِّماءْ
فجميعًـــا نحـــن خلـــق الـــ ـــــلَّهِ نحـــنُ العُقـــلاءْ
املـــــؤوا الأرضَ ســـــلامًا وزهـــــورًا وسَـــــنَاءْ
وانْهَجُـــــوا نهـــــجَ وئـــــامٍ وارتَـــــدُوهُ كَـــــرِداءْ
لِتَعيشُـــــــوا بأمـــــــانِ ورخـــــــاءٍ .. وإخـــــــاءُ

كما أن عبد العزيز سعود البابطين بمشاركاته الثقافية في جميع الفعاليات التي تقيمها مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين في المجال الثقافي والتعليمي والإنساني يؤكد بجدارة عن إيمانه بدوره العربي والإسلامي والإنساني في خدمة الثقافة الإنسانية .

الفصل الخامس

عبد العزيز سعود البابطين
شاعرًا غنائيًا

يا نـاي مالـك تبكـي الوصـل متشـحًا
بـــالحزن والشـــوق والآهـــات والألم
تبكـــي الزمـــان الـــذي ولّـــى وتـــذكره
في كـــل آهٍ بأشـــكال مـــن الســـقم
فـبُحّ صـوتك مـن مـرّ السـنين وقـد
شـاخ الزمـان بلحـن فيـك منسـجم
يـا نـاي هـدئ وسـلني لا تنـاوحني
سلني عـن النـوح والألحـان والـنغم

عبد العزيز سعود البابطين

اتسم شعر عبد العزيز سعود البابطين بتوهج النغم في شعره ، وتلك الموسيقى الخلابة التي تجعل من قصائده مغناة دون موسيقى تصويرية ، وهذا ليس غريبا إذا بحثنا عن ينابيع تكوين الشاعر حيث كان أحب الشعراء إلى قلبه : عل محمود طه وأبو القاسم الشابي والشاعران يمتلكان قسطًا وافرا من النغم ، فأصبحت موسيقى الشاعر في قصائد البابطين خاصية في شعره يمتلكها الشاعر بتلقائية وتتجلى في شعره بصورة ظاهرة ملموسة .

ولعل التناغم الصوتي في شعره وإحساسه بالحروف والكلمات إحساسا مرهفا دفعه لحسن استخدام الحروف والكلمات في موضعها ، فيبرز الجرس المنغم الذي يأسر القلب ويشجي الأذن ويرقص الوجدان ، فيبعث النشوة في نفوس ووجدان مستمعيه .

ولذلك لم يكن غريبًا أن يتغنى بعض أهل الطرب بقصائده المنغمة الموسيقية فتحدث تأثيرا قويا في الوجدان .

ومن قصائده التي تغنت بها المطربة اللبنانية المبدعة غادة شبير قصيدة «عند البحيرة» والتي غنتها المطربة في الحفل الغنائي الذي أقيم في الدورة العاشرة لمؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية «دورة شوقي ولا مارتين» في العاصمة الفرنسية باريس في قصر اليونسكو الذي أقيم في الثالث من نوفمبر عام 2006 ، وهي قصيدة غنائية رقيقة فيها استعادة لذكريات العاشق مع محبوبته على ضفاف البحيرة ، والتي استوحاها في ربوع لبنان ، صيف عام 2006 ، والتي يقول فيها[1] :

هل تّذكُرين لقاءَنَا بعدَ الذي قد كان من عملِ البِعادِ المُوجعِ؟

(1) ديوان أغنيات الفيافي / قصيدة عند البحيرة / إصدار مؤسسة البابطين / الكويت 2017/ ص113 .

إذا أشرَقتْ عيناك في نجوى الهوى ... شوقًا لِصبٍّ والِهٍ مُتلوِّعِ
حولَ البحيرةِ والطُّيورُ سواجعٌ ... تشدو بأنغام النَّجيِّ المُبدِعِ
قَلْنا لها في سرِّنا : لا تَصمُتي ... غنِّي هوانا ـ يا طيورُ ـ ورجِّعِي
وتأمَّلتْ عيناكِ فيَّ ، وقالتَا : ... زادَ الفِراقُ تَلَهُّفِي ـــ وتَطَلُّعي
أشكو كما تشكو كآباتِ الهوَى ... فلقدْ شَرِبْنَاها بكأسٍ مُتْرَعِ
فَأَجابَ قلبي ؛ والنَّواظرُ قد رَنَتْ ... لجمالِ وجهٍ بالرُّواءِ مُشَعْشِعِ
أوَما ذَكَرْتِ وداعَنَا يومَ افْترقْـ ... ـنَا بعد عهدٍ من وصالٍ مُمْتِعِ
منذُ افْتَرَقْنَا لم أذقْ طعمَ الكَرَى ... وجرى على خَدِّ اللَّيالي مَدْمَعي
كم رحتُ أحْلُمُ باللِّقاءِ مَمَنِّيًا ... نفسي بمتعةٍ ناظريَّ ومَسْمَعِي
عجبًا لحالي في الهوى أشكو الجَفَا ... من غادةٍ هيفاءَ تسكنُ أضلُعِي

ويلتفت الشاعر حوله فلا يجد أمامه إلا ذكريات حبه البعيد فيناجي طيفها الذي يغمره بعطرها وشبابها المتجدد فيمضي يعدد لها لواعج قلبه العاشق وهواجس نفسه المحرومة من وصالها ، فيقول(1):

ما غابَ طيفُكِ عن خيالي ناشرًا ... حَوْلِي نَوافحَ عطْرِه المُتضَوِّعِ
طيفٌ يُعيدُ إليَّ من قد فاتني ... أنْ ألْتَقِيها ، والبِعادُ مُروِّعي
غيداءُ باهرةُ المفاتنِ غضَّةٌ ... تختالُ في مرحِ الشَّبابِ الأروَعِ

كما تغنت الفنانة غادة شبير بقصيدة «إباء عاشق» في الحفل الغنائي الذي أقيم في الدورة الثانية عشرة لمؤسسة عبد العزيز سعود البابطين «دورة خليل مطران

(1) أغنيات الفيافي / ص114 .

وماك دزدار» في سراييفو عاصمة البوسنة في 19 أكتوبر 2010 ، والتي يناجي فيها طيف ملهمته ليلى التي لا يستطيع نسيانها فيناشد طيفها علها تلبي نداء قلبه العاشق المستهام : (1)

لَحَاكَ اللهُ هل أنَا مَن يُضَامُ؟ وهْل مِثلي يُعذَّبُ أو يُسامُ؟
وهل أنا من يُساقُ إلى الرَّزايا وأحلامي يُبَعثِرُها الغَرامُ؟
فأيَّامي مَضتْ كالومضِ حتَّى كأنَّ الومضَ يُخفيهِ الظَّلامُ
رأيتُ الحُبَّ يَقْتُلُني بطيئًا فهل عَيشِي بلا حُبٍّ يُدامُ؟
ذَرَعْتُ الأرضَ شرقِيها وغربًا أُناشِدُ مَنْ أُحِبُّ ... ولا أُلامُ
أناشد بل أُلاحق طَيفَ خِلِّي عساها تَهْتَدِي فَهْيَ المَرَامُ
لأبقَى غارقًا في حبِّ «ليلى» وحتَّى لو دَنَا منِّي الحِمَامُ
فَلَمْ أرَ أنَّ عيشِي دونَ حُبٍّ سيُبقي العُمْرَ عُمْرًا يُسْتَدامُ

كما تغنى الفنان صالح الحربي بقصيدة «يمين الله» والتي أذاعتها إذاعة الكويت عام 1979 والتي تعبر عن مشاعر الشاعر العاشق لمحبوبته يستحلفها فيها البقاء على العهد بأن يظلا عاشقين مهما نأت بهما الديار ومهما مرت الأيام ، فيعاهدها على الوفاء وصيانة الحب ، وأن تظل مقيمة في قلبه ووجدانه (2):

يمينُ اللهِ والذِّكرى ووعدي ولُقيانا الأخيرُ وليلُ سُهْدِي
ووعدٌ لي قَطَعْتِيهِ بحزمٍ بأنَّكِ لي ـ ولا لِسِوايَ ـ وَحْدي
وأنات أقدسها ترامت إلى قلبي فنامت بين وجدي

(1) أغنيات الفيافي / الكويت 2017 / ص154 .
(2) أغنيات الفيافي / ص64 .

وبالحـبِّ المُقـيم بِقلـبِ صـبٍّ يُـذَكِّرُهُ الحنـينُ ليـومِ عهْـدِ
فَلـنْ أنسـاكِ يـا حبَّـي وقلبـي يُـردِّدُ نبضـةَ دَقَّـتْ بمهـدي
ولـن أنسَـى ليـالي الوصـلِ حتَّـى يُنَسِّـيني مَشِـيبي كـلَّ رُشْـدي
ومـا أدري سَـلَوتُمْ يـا حبيبـي أمِ الـذِّكرى تُـذكِّرُكُمْ بْـوِّدِي
بِكلْتَـا الحـالتَيْنِ أصـونُ حُبِّـي ولـن أنسـى هـواكُمْ بـلْ سـأفدي

إن أغنيات عبد العزيز سعود البابطين الموسقة تذكرنا بغنائيات شاعر الجندول علي محمود طه (1901 ـ 1949) التي تغنى الموسيقار محمد عبد الوهاب بقصائده «الجندول) عام 1939 و «ليالي كليوباترا» عام 1941 وقصيدة فلسطين «أخي جاوز الظالمون المدى» عام 1948 والتي أسهمت كلمات قصائده الموسقة مع ألحان الموسيقار الخالد لتصبح أحلى روائع القصائد الغنائية في النصف الأول من القرن العشرين .

وفي ديوان شاعرنا عبد العزيز سعود البابطين «بوح البوادي» و «مسافر في القفار» و«أغنيات الفيافي» العديد من القصائد الغنائية الموسقة التي لو قيض لها موسيقار قدير لخرجت لنا روائع من القصائد الغنائية في هذا الزمان الذي ندرت فيه غناء القصائد وسارت فيها الأغنيات باللهجات الدارجة بل والأغنيات الخفيفة التي تفتقر إلى روعة الكلمات وعذوبة الموسيقى التي سادت قبل ذلك ، ولعل قصائد شاعرنا الغنائية تؤكد أن شاعرنا كالماسك على الجمر في هذا الزمن وإصراره على أن يواصل إبداع قصائده بالكلمة الرفيعة ، بما تحمله من قسط وافر من الموسيقى يعد أحد أبرز فرسان القصيدة الغنائية العربية المعاصرة .

ليت أهل الموسيقى والطرب يلتفتون إلى ما في دواوين عبد العزيز سعود البابطين من قصائد غنائية لا تحتاج جهدًا كبيرًا لتلحينها لأنها تحتوي على قسط

وافر من الجرس الممسوق وسيؤدي ذلك إلى رفع مستوى الغناء في الساحة الغنائية العربية التي تحتاج بالفعل إلى مثل هذه النوعية من الغناء .

وأرشح نموذجا واحدا للتدليل على صلاحيتها للغناء والطرب مثل قصيدة «اذكريني» في ديوان بوح البوادي التي أبدعها عام 1978 تقول كلماتها الشجية الممسوقة التي تعبر عن مناجاة عاشق لمحبوبته النائية لتذكر ليالي الحب والوصال والوفاء كلما حن الفؤاد وكلما شدا طير وكلما هبت ريح الصبا وكلما تفتح الزهر اليانع وكلما جاء الربيع البسام بوروده وأزهاره وكلما بزغ الفجر ، وفي كل حين وفي كل همسة يقول الشاعر لملهمته النائية (1):

اذكريني كلّما حنَّ الفؤاد ... وَبَدَت بالأفق ذكراي تطُوفْ
وإذا ما أتعَب القلب البِعاد ... وتوارى قَمَري عندَ الخَسُوف
اذكُريني

اذكُريني عِندما تبدُو الغيُومُ ... في سمائي وبها الطَّائرُ غَرّدْ
لينُاجي خلهُ فوقَ النّجُوم ... مَستثارًا هائمًا لِلحُبِّ أنشدْ
اذكُريني

اذكُريني كلَما هبّت صَبَّا ... وسَرَت في ركبِها رُوحي تَطِيرْ
لمِغانٍ حيثُ حُبّي والصِّبا ... قد قَضينا وطرًا مِنهُ يَسيرْ
اذكُريني

اذكريني كلّما الطيرُ شَدَا ... نائِحًا يبكي حبيبًا فَقَدَهْ
وإذا ما لامَسَ الوردَ النَّدى ... فجر يومٍ ناعِسٍ يبغي غَدَهْ

(1) بوح البوادي / الكويت 1995/ ص11 .

اذكُريني

اذكُريني كلّما الوَردُ تَفَتَّحْ بِرياضٍ كل ما فيها جميل
وإذا ما عطرُهُ يَسري وينفَحْ بمكانٍ ضمَّنا عِند الأصيلْ

اذكُريني

اذكُريني كُلَّما جاء الربيعْ ناثرًا عِطر زُهورٍ بالفَضاءْ
يَجتلي الرُّوحَ طَهُورًا كالرَّضيعْ يَتَغَنَّى بِترانِيم السَّماءْ

اذكُريني

اذكريني كُلَّما غنَّى طَروبْ ينفُثُ اللوعةَ في صَوتٍ حزينْ
وَرَنينُ العُودِ قد أشجَى القُلُوبْ فَغَدَتْ تبكي على وَقع الرَّنينْ

اذكُريني

ثم تتابع مناجاته الحميمة لملهمته ونداء قلبه الوامق وهمسات روحه العاشق لتتذكره دائما كلما بزغ فجر أو أطل ربيع وكلما تفتحت زهرة أو أسدل الليل ستوره ؛ ولا تنساه مدى العمر ، فإن حبها سيظل خالدا خلود الروح :

اذكريني كُلّما ثارَ القَطَا يملأُ الأُفق صِياحًا ونحيبْ
يَذرعُ الكون وقد حثَّ الخُطى تائهًا يبْحثُ عَن مغنى الحَبيبْ

اذكُريني

اذكُريني كُلّما الفَجرُ تَنَفَّسْ ومُحِبٌّ لم يَذُقْ طعم الرُّقادْ
وإذا ما اللّيل أغفى حينَ عَسْعَسْ وجَثَتْ رُوحُكِ تَسقِيني الوِدادْ

فاذكُريني

اذكريني كُلّمَا العُمرُ تَصَرَّمْ وسنُوني رحلتْ خلفَ السِّنينْ

وشـــبابي بعـــد عـــزٍّ قـــد تَهَـــدَّمْ وضـــياع بـــينَ شَـــوقٍ وحَنـــينْ
اذكُريني

اذكُريـنـــي كُلَّمـــا صِـــرتِ وحيـــده يعصُـــرُ البُعـــدُ فُـــؤاداً مُســـتهامْ
وإذا مـــا شَـــفَّكِ الوجـــدُ فَريـــدَه فتعـــالى نَشـــرَبُ الـــدَّمعَ مُـــدامْ
واذكُريني

اذكُريـنـــي يـــا حيَـــاتي مُـــدنفا في هـــواكِ في صَـــباحِ ومسَـــاءْ
كلمـــا أشـــرقَ صُـــبحٌ أو غَفَـــا في لَيـالي السُّـهدِ مِصـباحُ السَّـماءْ
اذكُريني

اذكُريـنـــي كُلَّمـــا نجـــواي شـــابتْ وقضـــى القَلْـبُ علـيلاً يرتجيـكْ
وغِنـــائِي نغمـــةٌ في الكـــون ذابَـــتْ وفـــؤادي يـــا حَيـــاتي يَفتَـــديكْ
اذكريني

اذكريـنـــي إذْ مَـــدَى العُمـــرُ انقَضَـــى وثوينـــا بَـــينَ أســـداف اللُّحـــودْ
اذكُـــري أنَّ زمانًـــا قـــد مضَـــى فيـــهِ رُوحانـــا إلى الحـــبِّ تَعُـــودْ
واذكُريني

***

شاعرنا الوجداني العاطفي عبد العزيز سعود البابطين يملك رصيدًا كبيـرًا مـن القصائد الغنائية التي لو لحنت وغنيت من ملحن قدير ومطرب جيد لأثـرت هـذه الغنائيات مكتبة الغناء العربي المعاصر لتنضم إلى بقية الروائـع الغنائيـة في التـراث الغنائي الموسيقي الخالد .

الفصل السادس

شاعر البوادي الخضر
في مرآة النقد

يقولـــون عمـــن أخـــذت القـــريض
ومـمـــــن تعلمـــــت نظـــم الـــــدرر
فقلـــت أخـــذت القـــريض صـــبيا
مـــن الطيـــر وهـــي تغنـــي الســـحر
وعـــن خطـــرات عليـــل النســـيم
يمـــــر فيشـــــفى عليـــــل البشـــــر

عبد العزيز سعود البابطين

أصدر عبد العزيز سعود البابطين عبر مسيرته الشعرية ثلاثة دواوين هي :

1ـ بوح البوادي (عام 1995) .

2ـ مسافر في القفار (عام 2004) .

3ـ أغنيات الفيافي (عام 2017) .

والملاحظة الجديدة بالذكر هي حرص الشاعر أن تحمل عناوين دواوينه كل ما يتصل بمعنى البوادي والصحاري والقفار لارتباطه الوثيق بتلك الأجواء التي نشأ في ظلالها وتشرب من سماتها ، وعبر عن روح الصحارى والبوادي من معاني العزة والشرف والإباء والشمم فضلا عن اتجاهه للشعر العذري الذي يحمل روح الصحراء العربية عبر تاريخ الشعر العربي .

وقد تناول النقاد والباحثون شعر عبد العزيز سعود البابطين بالنقد والتحليل سواء في كتب أو ودراسات نقدية أو رسائل جامعية أو مؤلفات وكلها تتناول ملامح شعره وسماته وخصائصه لكن حظي ديوانه الأول «بوح البوادي» بنسبة كبيرة من التناول البحثي والنقدي لأنه الدفقة الأولى للشاعر بعد طول غياب والذي نشر فيه حصاد رحلته من الشعر منذ بدأ يكتب حتى صدور هذا الديوان عام 1995 ، بعد إلحاح محبيه عليه ليظهر للقراء ما عبر عنه في شعره من مشاعر وأحاسيس وعواطف مختلفة ، كما عبرت قصائد الديوان عن أعماق الشاعر الوجدانية ، وأظهرت ملامحه العاطفية والوطنية والإنسانية، كما اشتمل على قصائده التي أنشدها في رحلات الصيد في الصحاري والبوادي العربية والأجنبية .

أنماط الصور الشعرية عند البابطين

تناول الباحث غسان بن عباس السعودي(1) في دراسته المتخصصة «شعر عبد العزيز سعود البابطين : دراسة أسلوبية »، ونال عنها درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة الإسكندرية لقسم اللغة العربية عام 2016 تحت إشراف د. فوزي عيسى ود. محمد مصطفى أبو شوارب عضوا ود. أسماء شمس الدين عضوا ، حيث كون الثلاثة لجنة المناقشة للباحث .

وتقع الرسالة في ثلاثة فصول تناول فيها الباحث بالدرس والتحليل :

1ـ الأساليب الخبرية .

2ـ مفهوم الصورة الشعرية .

3ـ أسلوبية الإيقاع .

حيث قدم الباحث في بحثه السمات الأسلوبية واللغوية لخطابه الشعري حيث توصل إلى ما يلي :

(1) غسان عباس السعدي : شعر عبد العزيز سعود البابطين: دراسة أسلوبية/ الكويت 2017 / ص156 .

1ـ يعد الشاعر امتدادًا لشعراء الهوى العذري في بادية نجد ، كجميل بثينة وكثير عزة ومثل بنتاجه علاقة حب عذري ، رسم جداوله منذ صباه ، مترجما ذلك بأساليب بلاغية ساحرة مصيرا معظمها لخدمة حبه المفقود .

2ـ تناول الباحث الأساليب الخبرية في شعره .

3ـ تمثل المرأة جوهر قصائده ومحوره الأساس ، فلها ومنها تنبثق قصائده ، ليعبر عما يمر به من غرام الوجد .

ـ تطرق الشاعر إلى الأساليب الإنشائية البارزة في شعره .

ـ امتازت صورته الشعرية بالحداثوية والتجديد .

ـ تألق الشاعر في مجال الموسيقى وتوظيف الأوزان بطريقة حداثوية .

ـ اتكأ الشاعر على الموسيقى الداخلية كثيرا .

إلى غير ذلك من النقاط الأسلوبية المتخصصة ، وسنلتقي هنا بإيراد حديثه عن الصورة الكلية ضمن تناوله لأنماط الصور الشعرية بما تحويه من صورة واسعة تضم جزئيات كبيرة .

ويهدف البحث إلى دراسة أسلوبية في شعر البابطين قائمة على الأسلوبيتين (التحليلية والإحصائية) لتبيان معجمه الشعري ، الذي امتاز بحيوية أسلوبه الواقعي المتدفق ، وأنساقه الحداثوية ، وإيقاعه الشعري ، الذي يعتمد على تشكيل اللقطة الشعرية في جسد القصيدة وفضائها التكويني الخاص ، للوقوف في نهاية الأمر عند بعض الملامح الأسلوبية لبناء القصيدة لديه.

الصورة الكلية
في شعر البابطين[1]

هي الصورة التي تمثل لوحة كبيرة تضم داخلها صورًا صغيرة لا تستقل بنفسها ، ولكنها تكون جزيئات هذه اللوحة الكبرى وتتحد داخلها اتحادًا عضويًا ، ومن هذه الصورة المتشابكة والمتلاحقة تنتج الصورة الكلية التي هي في أيسر تعاريفها «مجموعة من الصور الجزئية المترابطة من حيث الرؤى والأفكار» ، فالصورة بذلك هي «وحدة عضوية تعبر عن تجربة الأديب في نقل أفكاره ومشاعره ورؤاه في كل متكامل من مجموع صور جزئية تنمو وتتكامل حتى تبلغ الذروة في إيصال فكرة معينة إلى المتلقى والتأثير فيه ، بمعنى أن تتحول الصورة الجزئية إلى جزء من صورة كلية تعبر عن معنى ومضمون مشترك أسهمت كل صورة من الصور في تكوين الصورة الكلية ورسم ملامح هذا المعنى الذي لم تستطع اللغة المباشرة أن تعبر عنه ليكون بذلك التصوير صنو اللغة» ، وعليه تكون الصورة الكلية «هي التجربة الشعرية التي يجسد من خلالها فكرة القصيدة العامة بما تحمل في داخلها من أفكار وعواطف» ، فيجب أن تؤدي «كل صورة وظيفتها في داخل التجربة الشعرية التي تكون هي الصورة الكلية ، وذلك لن تكون الصورة الجزئية مسايرة

(1) شعر عبد العزيز سعود البابطين ، دراسة أسلوبية : د. غسان عباس السعدي / ص156 .

للفكرة العامة أو الشعور العام» . وتتشكل الصورة الكلية بمجموعها من صور جزئية متناسقة متماسكة لترسم لنا صورة تدل عل معنى كلي قصده الأديب وسعى إليه حتى لا يمكن الاستغناء عن إحداها فيه فتتضافر بعضها مع بعض من أجل رسم اللوحة الفنية ، لذا تُعدّ من التقنيات الأسلوبية المهمة لأنَّها المهمة لأنَّها تعتمد الإجراء الكلي بدلاً من الجزئية .

ونستطيع القول بأن الصورة الكلية في شعر عبد العزيز سعود البابطين كانت تمثل صورة مرتبطة مع سواها ارتباطًا تسلسليًا ، أو تتابعيًا ، أثناء تصويره الصحراء أو البادية أو الليل أو الهضاب أو الطير أو القنص .... ، لأنها مجموعة من الصور الجزئية جاءت متوافقة ومنسجمة فيما بينها مكونة باتحادها الصورة الكلية ؛ أي إنَّ تلك الجزيئات المكونة للصورة الكلية يربطها ، إمّا تغلل الشخصية الفكرية والنظرة الفلسفية للشاعر ، وإما حالة نفسية معينة في القصيدة ، أو في تلك الصورة الكلية ، وإما سيطرة عاطفة على نحو ما سنرى ....؛ إذ أسهب الشاعر بشكل واضح في هذه الموضوعات فصوَّر مشاهدها المختلفة معبرًا عنها بطرائق كثيرة كان أبرزها الطبيعة ، لذا تحظى البيئة الطبيعية بمجالٍ واسع في شعره ، فهي تلهمه العديد من الصور التي تمثلت في سمائها وما تحويه من شمس وقمر ونجوم ومطر على أرضها وما يحيط بها من عناصر متحركة وساكنة ، ومن تلك الصور ما كان يستلهم في رسمه لصفات محبوبته .

كقوله :

وزَهرُ الرَّوض كفَّ عن التَّناجي ... بفوحِ العطرِ يسكبُه بدنِّي

وموجُ البحرِ ألجَمَهُ سكونٌ ... فَغَابَ بموجِهِ فِكري وظنِّي

وهذا البَدرُ أنكرَ أن رآنا ... وقد شهدَ الهوى عينًا بعينِ

وذاكَ الليـــلُ أنكـــرني جراحًـــا يُـــداويها وقـــد قاربـــتُ حينـــي
كـــأنَّ الْليـــلَ لم يشـــهد عهُـــودًا تُوثِّقُهـــا تبـــاريحي وحُـــزني
وهـــذا الفجـــرُ لم يســـمَعْ شـــكاةً يضـــجُّ أنينُهـــا في كـــلِّ أذنِ

فيتضح في هذه الأبيات ثراء المعطيات التي يؤسسها الشاعر عبد العزيز البابطين ؛ إذ يعطي لمحبوبته صورة من صور الطبيعة بآفاقها المختلفة ، ولعل ما تصوره الأبيات في هذه اللوحة من (الروض ، والبحر ، والبدر ، والليل ، والفجر) يدور في معنى الامتداد لمعاناة المحبوب التي لا تنتهي ، لذلك كانت الفكرة التي تجمع الأبيات تمثل علاقة ذلك بالوصف للشوق والذي يقتضي امتداد الشوق الذي لا ينقضي أبدًا ، فاللوحة كونت الصورة الكلية باتحاد تلك الأجزاء ، فيمثل هذا التشبيه الانعكاس النفسي لإحساس الشاعر وما عاناه من ألم الفراق وهجير البُعد .

ويجسد الشاعر في موضع آخر ، صورة الطبيعة فيقول :

يـــا بـــدر الليـــل متـــى يُـــوفي مَحْبـــوبُ القلـــبِ وأُســـعدُهُ
ومتـــى يـــا بـــدرُ تُدَغْدِغُـــهُ ذِكَـــرُ الأيَّـــامِ وتُرشـــدهُ

لقد ارتسمت صورة القمر في معرض مقام المحبوب والشوق إليه ، ليقرن ذلك بصفة الإشراق والحضور التي يتمتع بها محبوب القلب فهو كالبدر الذي يطل ، وهذا الإطلال يكون مرغوبًا فيه ومطلوبًا حتى إنَّ العيونَ لا تحيد عنه ولا تمل النظر فيه لشدة أخذها به وتوقها إليه . وقد حظيت محبوبة الشاعر بصور رائعة وجميلة استلهم فيها ما يحيط به من صور الطبيعة ، الجامدة والمتحركة ، الصورة التي تغزل فيها بمشيتها وخطاها وجسدها وبياضها ، فهو يرسم في الجانب الآخر صورًا تقترن بها محبوبته بطبيعته .

ويقول :

يمـــرُّ الليـــلُ يتبعـــه نهـــارُ وتتبـعُ يـومي الـذَّاوي فصـولُ
وتمضـي خلفهـا الأعـوامُ حسـرَى ويمضـي العمـرُ يَعقبُـهُ الرَّحيـلُ
وينطفـيءُ التَّـوهجُ حـين تُمسـي حيـاةُ النّـاسِ يأسـرها الأفـولُ
ويبقَـى المـرءُ للـذَّكرَى قُرونًـا إذا مـا زانَـهُ العمـلُ الجَميـلُ

ونرى الشاعر في هذه الأبيات يتحدث عن مشهد الليل بعد ذكر محبوبته وحزنه على فراقها ورغبته في عودة الوصال ، ويقول إنه قد هام بها وهامت به ، ولكن بلا جدوى ، فالليل والنهار يمران ، ولكن يتركان بدل التداني الهجر والفراق.

يظهر البابطين في هذه اللوحة شدة تحمله ابتداءً من احتمال الشوق للمحبوبة ، إلى احتمال طول الليل ؛ إذ أنَّ الأعوام تحولت من زمن لآخر ، ويظهر أن هذا التحول كان سلبيًا (من الحسن إلى السيء) لكن التحول على هذه الطريقة يخدم الشاعر الذي يرغب في بيان معاناته وألمه من خلال تلك الصورة ، من هنا نلحظ الاتساع في هذه اللوحة كان مصدره الأكبر امتدادَ التصوير للوحتي (الليل والنهار) المتعاقبتين ، واللتين تنذران بمضي الأعوام حسرى ونفاد العمر الذي يأذن بالرحيل ، والجامع في كل ذلك في سياق الوصف هو إظهار معاناة الشاعر ليصل بعد أن يختم بأبيات اللوحة الكلية في صورة الذكرى للفكرة نفسها التي حملت معنى عذابات الشاعر .

وتحتل «صورة الطير والقنص مكانًا أثيرًا في مخيلة الشاعر ؛ إذ تمثل امتداداً نفسيًا وشعوريًا لتجربته ، فغناء الطيور تعبير عن الحب في حالاته المختلفة ، وشدوها مرادف لشدوه ، وكثيرًا ما يدعوها إلى مشاركته همومه ، وتتردد صورة

الطير المهيض الجناح أو المشرَّد كدوال للهجر والانكسار» .

يقول :

مُغـرَّدتي بالغُصـنِ هـيضَ جَناحهـا يمينًـا سـأبقى راعيًـا ثـمَّ حانيَـا
فـإن عقَّنـي حبِّـي وشُـرِّد طـائري فلَسـتُ إلى طيـفٍ سـواها مُواتيـا
سأبقى ويبقى الحـبُّ بَعـديَ خالـدًا بشَدْوِ طُيورِ الكَوْنِ تَحْكِـي وفائِيـا

نلاحظ أن الشاعر قد يستدعي صورة الطير في إطـار دلالي عـام ، ولا يعمـد إلى التخصيص إلا في مواضع قليلة تتردد فيهـا ثـلاث صـور ، هـي : (صـورة القطـا ، وصورة الحمامة أو الورقاء ، وصورة الصقر) وتنفصل صورة القطـا عـن التجربـة الوجدانية ، كقوله :

وكلَّمـا هَتَفَـتْ في الَّليـلِ سـاجعةٌ يحثُّ شوقي خطـاهُ حيـثُ ألقـاكِ
أطرتِ فكري شعاعًا والنُّهَى شَرَدَتْ فهلْ تُعيدُ الحِجـا أحْـلامُ نجـواكِ

ويتقدم البابطين هنا بصورة بالغة الروعة حيث يقول :

يُمطـرُ الغيـثُ مـن سـماها مـدادًا فتضـوعُ الأزهـارُ في كـلِّ سـهلِ
قـد منحـتُ الحيـاةَ دفقـةَ عطْـرٍ ضمَّختْ بالأريجِ مَـنْ كـانَ حَـوْلي

استقى الشاعر أجمل صور الطبيعة في أروع ساعاتها ليوسم بها الحبيبة ، فقد برع في رسم هذه الصورة التي تدل على تمكن الشاعر وإبداعه في فنـه ، فيلـتقط صـورةً المطر الذي يأتي بعد جدب وانتظار ، ليقارنها بعلاقته مع محبوبتـه التـي تـأتي بعـد جفاء ، فكلاهما يأتي بعد جهد وعناء وطول انتظار ، وهو لا يروي الظمأ الشديد .

ولم تخل الصحراء بمختلف صورها الثابتة والمتحركة والتي لا يمكن حصرها في هذا المجال الضيق من وقفة للبابطين على رمضائها ؛ إذ مزج فيها الحالة النفسية

بحركة الطبيعة وتقلبها ، والذي يعكس الحزن الذي يكابده تجاه رحيل المحبوبة ، فلا يجد ما يعبر به عنه إلا أن يراقب حركة النجوم في السماء حتى تصل إلى نهاية مسارها ، مازجًا معاناته بليل الصحراء البهيم ، وهذا لا يصفه إلاّ من جفاه النوم ، يقول :

لم يبــقَ بالــدَّرب إلانــا نهــيم بهــا صــحراءُ لَيْــلٍ بهــيمٍ في ثنايانــا
فمزِّقــي كــلَّ أســتارٍ محجَّبــةٍ ولترتشــفْ روحُ روحينَــا حُميَّانــا

يصل بعد ذلك إلى الدلالة التي انبثقت منها الصورة الكلية لليل الصحراء وجامع أطراف الفكرة كان المعنى المتمثل في شدة الهيام ، ونوع دلائل الفراق ليجعلها طريقًا لا يخشاه ، فيما إذا كانت نهايته اللقاء بمن يحب أو حتى القرب منه ، ليمتد مكان الصورة داخل السياق العام للقصيدة كلها لبيان ما يتّبعه من وصف الشوق ، وهو الذي يمثل خطًّا عريضًا لمعاناته ، فقد جاءت لوحة ليل الصحراء في النص ممثلة لها وجامعةً لأطرافه على مستوى السياق كله .

وكثيرا ما تمتزج الطبيعة في شعر البابطين بموضوعات الشعر الأخرى ولا سيما المديح ، إذ يتحقق الانصهار بين الطبيعة والممدوح فينقل أوصافها إليه فيقول في قصيدته (عباءة النّور) :

قد شعَّ نورِك في أرضِ (الكويتِ) كما تشعُّ شمسُ الضُحى أو زهرةُ الشُّهبِ
دَعَوْتِ للعلمِ ـ نور العَصرِ ـ فِتْيَتَنَا فعبُّ فِتْيَتُنَا من نَبْعِهِ العذِبِ
كشفت للمجدِ أسبابًا معمَّقةً وما هنالكَ أمجادٌ بلا سببِ
إذ شِدْتِ دارًا بشمسِ العلمِ مُشرقةً إن غابتِ الشَّمسُ عنها فهيَ لم تغِبِ

تميز الشاعر بنظرته الجديدة للطبيعة ، فهو لم يقف عند حد الشغف بها والهيام بجمالها بل تجاوز ذلك ؛ إذ انطلق في تجربته من تشبيهات بالغة الروعة ؛ إذ تنشطر

الذات بين السرور والارتياح ، مشبهًا نور ممدوحته بنور الشمس والشهب ، وكذلك نور العلم ونور العصر ، مشيدةً بالوقت نفسه دارًا مشرقة بنور العلم والمعرفة لا تأفل أبدًا وإن غابت الشمس . يجعلُ الشاعرُ الطبيعة في هذه الأبيات ممثلاً لدائرة واسعة تجمع داخلها أمورًا مختلفة ابتداءً من تحقيق التذكّر والاشتياق والتبجيل لمن يمدح ، وصولاً للبوح بثمار العلم والمعرفة التي حان قطافها على يد ممدوحته (د.فايزة) ، ساعيا لرسم ما جادت به يراعها من خلال صور الطبيعة ، فتأتي الصورة الكلية داخلها حين أعاد الحديث عنها ممثلة بتكرار مفردة الشمس ، تعدُّ بذلك المحور الذي تدور فيه أبيات هذه الصورة .

يقول الشاعر في قصيدته : «مناجاة» :

كيف أمسَيتِ وقد طال الأَسَى ... وسَهِرْتِ اللَّيلَ ليلَ العاشَقين

وصُروفُ الدَّهرِ عاثَتْ بالمنى ... عرْبَدَتْ عَرْبَدَةَ المستكبرينْ

غيَّرت فيك تصاريفُ الهوى ... بهجةً كانت تسرُّ النّاظرين

فغدت بسْمَتُكِ الوَلْهَى شجًا ... وغدا لَحْنِيَ كالنَّاي الحزينْ

يغرق الشاعر في هذه الأبيات في ذكر حبيبته والشوق إليها ، ويسأل : كيف أمسيت ؟ لا سيما قد طال الأسى وبلغ السيل الزبي ، وصروف الدهر عاثت بالأماني وما رسمته خارطة العاشقين ، ويسأل أغيَّرت فيكِ تصاريف الهوى ؟ أكانت تكتوي المحبوبة كما يكتوي بنار فراقها أو لا ؟ وتراه يصوَّر كيف ينظر إلى لقياها متشوقًا ، وكيف إنه طالما يتذكرها فهي أحدوثة النفس ؟ حتى إن بسمتها البارقة أصبحت شجنًا ، وأصبح لحن الحبيب كالنّاي الحزين بعد أن شغله حبها ، وإن الموانع هي التي منعته منها وكتبت الفراق له .

صدى البوح
في الخطاب النقدي

يرى الباحث أن الشاعر عبد العزيز سعود «البابطين» واحد من الشعراء المحلقين في ميدان التشكيل اللغوي ، إذ جاءت لغة شعره في (البوح) ذات ملامح فنية متنوعة ، منها :

الصحة الصياغية :

بنى البابطين شعره بناء لغويا سليما في هندسته ، إذ جاءت لبناته المكونة له صحيحة في مادتها الصوتية والمعجمية ، وفي هيئتها الصرفية والنحوية والبلاغية ، فخلا شعره مما ينفر أو يقلق ، من تنافر في الحروف ، أو الكلمات ومن ضعف في التأليف ، ومن خروج على ثوابت النحاة ، فجاء فصيحا صحيحا .

وكل ما في هذا الشعر من خروج أبيات معدودة لا تمثل تمردا على ثوابت اللغة، بل بعضها مقبول كإدخال البابطين «أل» على لفظ «كل» في قوله :

هجـــع الكـــل ونـــام النـــوم وصـحا القلـب وغابـت أنجـم(*)

ومثل هذه المظاهر اللغوية الخارجة تعود إلى ضرائر شعرية مقبولـة وردت في الشعر العربي منذ جاهليته الماضية حتى حداثته الحاليـة ، ولا تنـال مـن شـاعرية البابطين ، بل هي دالة على شجاعته وطبعه ، فهو ليس مـن هـؤلاء الشـعراء الـذين ينقحون ويحكون أشعارهم بحثا عن السلامة اللغوية على حساب السلامة النفسية والإبداعية .

وثم يتناول الباحث في دراسته دور التجربة الشعرية في لغة الشاعر لفظا وتركيبا فيرى أن قوة التجربة: قد تدفع بالشاعر إلى استخدام بعض الألفاظ والتراكيب دون وعي كامل منه بموافقتها للقواعـد أو عـدم موافقتهـا لـذلك ، لأنـه يـرى في هـذه الألفاظ أو التراكيب بريقا خاصا يعتقد أنه يضيء الطريق أمام ما يريغ إليه ووضوح المعني في رؤية الشاعر الخاصة لا يجعله مع انفعاله بمعناه يحفل بوضع الكلمات ولا الروابط المنطقية المنظمة . وهذا مـا جعـل الـدكتور إبـراهيم أنـيس يقـرر أن الشاعر يفر من كل ما هو مألوف معهود محلقا في سـماء الخيـال ، لا يكـاد يشـعر بالألفاظ كما يشعر بالمعاني وهذا هو ما يسمى بانفعالية لغة الشعر أو تلقائيتها .

و«البابطين» شاعر موهوب حساس مفرط الحساسية ، منفعل كل الانفعـال في شعره ، ومن ثم ظهر ذلك جليا في مفرداته وتراكيبه التي جاءت صادمة لكل ما هـو ثابت متوقع كما في قوله :

بـوح البـوادي أهديـه لمـن عشـقت صـباكواه النـوى في أمسـنا وغـد

فالانفعال ذو أثر واضح في شعر البوح ، كما دلت على ذلك الأشعار المحللة ، وغيرها من أشعار البابطين في هذا الديوان ، تلك التي لا يمكـن وضـعها في ميـزان

(*) د. صبري فوزي عبد الله أبو حسين / العذرية في بوح عبد العزيز سعود البابطين .

اللغة الصارم ، ولا أمام معايير النحو الجافة ، بل يجب النظر إلى هذه الأشعار على أنها ذات لغة حية حياتية ، عاطفية ، مرنة متطورة ، لا تستقر ، ولا ينبغي لها أن تستقر ، لارتباطها بعاطفة الشاعر الحارة القلقة الجياشة في صدق وقوة واستمرارية ، وتنوع غالبًا .

النفسية الإيقاعية

في بحث مستفيض متخصص يتناول د. محمد مصطفى أبو شوارب[1] «البنية الإيقاعية في شعر عبد العزيز سعود البابطين : قراءة في موسيقى الإطار» يرى الباحث في البداية أننا إذا نظرنا إلى موقف البابطين من البقاء الزمني في مجال البحور التي يختارها إطارا صوتيا لقصائده ، اعتمادا على عدد الأبيات (نسبة النفس) ـ فإننا لن نجد اختلافا بين نسب اتجاه الشاعر إلى البحور ونسب بقائه فيها سوى في تقدم الرمل على الوافر داخل المرتبة الأولى ، وإن ظل كليهما في هذه المرتبة دون غيرهما من البحور الأخرى التي ظلت محافظة على ترتيبها داخل المراتب الثلاث التالية وإن طرأ عليها تغير طفيف لا يذكر .

ولقد كشفت لنا مقارنة نسب البحور السابقة لمثيلاتها في الشعر العربي عن مكان عبد العزيز سعود البابطين بين أضرابه من شعراء العربية ، فهو شاعر يدور في فلك الإطار التقليدي للشعر العربي بمحافظته على النسب القديمة إلى حد ما في

(1) د. مصطفى أبو شوارب / البنية الإيقاعية في شعر عبد العزيز سعود البابطين / دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1997/ ص56 .

استخدام : البسيط والخفيف والمتدارك ، وإن كانت النزعة إلى كسر جمود هذه النسب والانفلات من ربقتها قد غلبت في صعوده بنسبة الوافر والرمل ونزوله بنسبة الطويل والكامل .

ـ ولعبد العزيز سعود البابطين أسلوبه الخاص في انتقاء بحوره الشعرية الذي يميزه عن غيره من سائر الشعراء العرب ، فهو وإن ربطته بالشعراء العذريين وشائج العاطفة وجمعت بينه وبينهم مواجد التجربة ومعجم التعبير عنها على مستوى اللفظ والصورة معا ، إلا انه استطاع أن يميز البنية الإيقاعية في قصائده عن مقابلها في شعر العذريين ، فاستخدم بحرين لم تظهر لأيهما نسبة عند شعراء الغزل العاطفي وهما الرمل والمتدارك ، وارتفعت نسبة الوافر والبسيط عنده ارتفاعا كبيرا، بينما ارتفعت نسبة الخفيف ارتفاعا طفيفا ، وكان انخفاض نسبة الطويل انخفاضا لا مثيل له ، وانخفضت نسبة الكامل انخفاضا لا يذكر .

ـ وكما تميز البابطين في انتقاء بحوره الشعرية عن رفاق التجربة المشتركة من العذريين ، تميز أيضا عن رفاق الهم المشترك من الشعراء المعاصرين ، إذا ارتفعت نسبة الوافر والرمل والبسيط في شعره ارتفاعا كبيرا ، وانخفضت نسبة الطويل والخفيف والكامل عنده انخفاضا كبيرا كذلك ، وكانت نسبة المتدارك في «بوح البوادي»مساوية لنسبته في الشعر الحديث .

والقصيدة في «بوح البوادي»متوسطة الطول (معدل أبيات القصيدة الواحدة خمسة عشر بيتا) وقد ربط أيمن ميدان توسط طول القصيدة بتوافر عنصر الصدق واقعيا وفنيا في قصائد الديوان ، ولقد كان ميدان مصيبا حينما ألمح إلى هذه العلاقة الحميمية بين توسط طول القصيدة الذي يدل على ميلها إلى التركيز ـ وبين عنصر الصدق الذي اعتبره الناقد أهم ملامح تجربة البابطين الشعرية .

ولم يحاول البابطين أن يعزف كثيرا على الإيقاعات المجزوءة على الرغم من

انسيابية البنية الشعرية في قصائده مما يدل دلالة واضحة على قدرة الشاعر على تطويع النموذج التام وإعادة صياغة عناصره الإيقاعية .

ولا شك في أن العلاقة بين الوزن والمعنى ، أو بين اختيار الشاعر للشكل الموسيقي ، واختياره للغرض المضموني ـ لا شك في أن هذه العلاقة قد لفتت كثيرا من النقاد والباحثين في القديم والحديث ؛ وحاول كثير منهم أن ينظر لتلاؤم أغراض معينة مع بحور بعينها ، ولتساوق مضامين محددة مع أشكال ذات طابع معين ؛ وكأن اختيار الشاعر لوزن قصيدة ما يتم بشكل إرادي وبطريقة واعية في مرحلة سابقة على كتابة القصيدة .

ولا شك أيضا في أن استقراء النماذج الشعرية قديما وحديثا يؤدي بنا إلى رفض هذا المبدأ ، ونهج القصيدة العربية بما فيه من تعددٍ للأغراض والموضوعات الشعرية داخل البحر الواحد شاهد على ذلك ، ولقد دعم عز الدين إسماعيل هذه الفكرة بغير واحد من النماذج والأمثلة حين دلل على صحتها بقول الفند الزماني في إحدى قصائده :

مَشـــــينَا مشْـــــيَةَ الليـــــثِ غَـــــدَا والليـــــثُ غَضْـــــبَانُ
بِضْـــــرْبٍ فِيـــــهِ تـــــوهينٌ وتَخضِـــــيعٌ وإِرنـــــانُ
وَطَعْـــــنٍ كَفَـــــمِ الـــــزِّقِّ غـــــدا والـــــزِّقُّ مـــــلآنُ
وبعـــضُ الحِلْـــمِ عنـــد الجَهْـــ ـــــلِ للزلَـــــةِ إِذْعَـــــانُ

الاتجاه الوجداني

في شعر عبد العزيز سعود البابطين

حصلت الباحثة إيناس الرفاعي عيد عوض على درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة الإسكندرية عام 2014م ، عن رسالتها «الاتجاه الوجداني في شعر عبد العزيز سعود البابطين وكانت لجنة المناقشة مكونة من :

1ـ د.فوزي سعد عيسى رئيسا ومشرفا .

2ـ د.السعيد بيومي الورقي عضوا .

3ـ د.محمد مصطفى أبو شوارب عضوا .

وتحتوي الرسالة على خمسة فصول كل فصول يتضمن عدة بحوث وكانت فصول الرسالة هي :

1ـ عناصر الاتجاه الوجداني

2ـ قضايا الذات

3ـ اللغة والأساليب

4ـ الصورة الفنية

5ـ البنية الإيقاعية

وتوصلت الباحثة في نهاية بحثها إلى نتيجة مفادها أن الاتجاه الوجداني في شعر البابطين قد شغل جانبا كبيرا من شعره ، حيث يمثل هذا الشعر تجربة خاصة في الشعر العربي المعاصر ، لأنه يمثل تجربة حب عذري تحمل معاني الطهر والوفاء والصدق والإخلاص ، فقد مزج الشاعر في ديوانه الأول «بوح البوادي» العشق بحب البادية ، التي ملأت عليه فكره وقلبه ووجدانه ، فقد تلبس بها وتماهى معها وذاب صوته المفرد في صوتها اللانهائي ، فهي التي أرضعته القيم المثالية الطامحة للجمال فجاء التوحد والتراسل بينهما مما انعكس على تجربته التي أكسبها عمقا وثراء وسمات وملامح متفردة .

ترى الباحثة إيناس الرفاعي(1) أن عنوان «بوح البوادي» خبر لمبتدأ محذوف مركب من مضاف ومضاف إليه ، والبوح هو ظهور الشيء أي باح بسره وأشهره ومن العنوان يظهر أن الشاعر كان يمتلك سرًّا ولكن الشوق غلبه فباح به ، وهذا السر يكمن في العلاقة التي بينه وبين البادية ، فمنذ صباه وهو يعايشها ويتأمل جمالها ويتعشقها ، فهو خبير بدروبها ، عالم بمجاهلها حتى أصبحت تعيش في ذاته وأصبحت شيئًا واحدًا ، فهي سره وهو سرها وتعانقا حتى العبادة فكانت الجملة الاسمية التي تفيد الإطلاق والعموم .

فالشاعر متيم بحب البادية ، تلك (التي تسري في عقله ووجدانه ، حياة ماثلة بكل مقوماتها وجودًا متصلاً بوجوده وهو في ديوانه يكشف أدق أسرار النفس من

(1) الاتجاه الوجداني في شعر البابطين : إيناس الرفاعي / دار الوفاء ـ الإسكندرية 2015 / ص22 .

خلال عشقه للبادية فتشاكل العنوان والمضمون) .

البوح : حديث السر وليس إفشاء السر، البوح معاناة التعرف واختيار الصديق، البوح أسلوب لإخراج ما تتمتع به البادية من جهر عظيم معلق بالسر العظيم ، البوح عودة إلى السر وتلقفه ، البوح رغبة في الفهم والتواصل .. غاية البوح إذن تصفية وتنقية وثقة في المخاطب ، البادية لا تبوح إلا لإنسان منصت مغامر يرى العشق شجاعة وكرمًا ، والبوح إنصات للطاقة الكامنة والسخاء والاعتزاز .

ومن ثم تقترن البادية بالبطولة والعاطفة الجياشة والمغامرة والساذجة ، والروح الحرة ، هذا الانطلاق في أفق خالٍ لا تحده حدود ، وجفوة الذوب في المجتمع وما يشبه الاستعلاء على الذات والتحدي والاستبطان العميق ثم التطهر من أدران الحاضرة وصناعتها .. البادية شباب ، البادية تعين على نشاط الروح الغامضة ومعاناتها) .

ديوان بوح البوادي (ينطق بلسان معاصر وقلب مفعم بالإخلاص إلى ماضٍ يغمره النقاء والصفاء يعيشه ويستعيده زمانًا ومكانًا وعبقًا وإلحانًا) .

وترى الباحثة أن البابطين قد عشق البادية وقد انعكس هذا العشق على قصائد الديوان ويتمثل ذلك في سريان التيار البدوي في ثنايا القصائد وغلبة الحس البدوي على أحاسيس الشاعر وعواطفه . ولو تأملنا العنوان «مسافر في القفار» لوجدنا مع السفر حرف الجر «في» ولم يقل «إلى» حيث إن استخدام الحرف «في» يوحي بالشمولية والاحتواء ، وكأن القفار ساكنه في عقله وقلبه ووجدانه ، هي جزء أصيل في نفسه ، تحويه ويحويها ، يحيا بها ولها ومعها ومن أجلها ، فهي تعني له الحياة والروح ، التعانق والبقاء ، الاستمرارية والصفاء ، الذوب والعطاء ، فالبوادي القفر التي لا زرع فيها ولا ماء ، ينبتها بقلبه ويزرعها بوجدانه ويرويها بمشاعره ، تنمو وتكبر بنداءاته وسبحاته ، وتزدهر بآهاته وتنهداته حتى بدت عالمًا رحبًا مليئًا بل

عامرًا ومرتبطًا بالري من خلال مشاعره ، والنماء من خلال قلبه والبهجة من خلال وجدانه ، والفقد من خلال أحاسيسه والذكريات من خلال عقله الواعي الثائر في رحبات باديته ، فالقفار عنده هي النبع الثري والوميض الجلي الذي ظهر بها ومن خلالها .

وهذا البوح وذاك السفر انعكس على قصائده فنجد غلبة الحس البدوي على عواطفه وأحاسيسه ، ذلك الحس الذي استشرى في أعطاف القصائد وثناياها فوجدنا هذا الانصهار وذاك التلاحم الذي أصل بهذا الترابط الأبدي بين الشاعر والبادية ، وذلك الارتباط الذي أحدث تناغمًا موصولاً .

وعن تجربة الحب العذري عند البابطين تذكر الباحثة أن تجربة الحب العذري في شعر عبد العزيز سعود البابطين(1) ماثلة واضحة حية في كل كلمة وبيت وقصيدة ، ذلك الحب الذي يصدر عن عاطفة صادقة ، وقلب مولع بالصحراء التي تمثل له حياة رحبة مليئة بكل معاني الطهر والصدق والوفاء فالبادية ماثلة بكل ما فيها في قلبه وعقله وروحه وجميع حواسه ، فعشقه للبادية وتتيمه بها جعل الحب العذري منسابًا مسترسلاً متدفقًا في جنبات قصائده .

وإذا نظرنا إلى تجربته نجدها (تحمل كل معاني الطهر والوفاء والصدق والإخلاص وهي القيم التي ترضعها البادية أبناءها فيتوارثونها جيلاً بعد جيل) .

ومن ثم فإن تجربة البابطين هي (امتداد لتجارب شعراء الهوى العذري في بادية نجد بدءًا من جميل بثينة ، كثير عزة والمجنون وعروة بن حزام ومرورًا بالعباس بن الأحنف وصولاً إلى شعراء منطقة الحريق بنجد كأميرها الغزلي محسن الهزاني والشاعر محمد بن لعبون خال الشاعر وأمير الشعر النبطي ، فالتجربة واحدة بملامحها وقسماتها وأبعادها مهما اختلفت الأزمنة لأنهم ينهلون جميعًا من

(1) الاتجاه الوجداني في شعر البابطين / ص42 .

بئر واحدة) .

فقصة الحب العذري بدأت مع الشاعر منذ صباه عندما كان يبلغ من العمر أربعة عشر عامًا .

يقول :

خمسٌ وعشرون مرَّت عاشها كمَدي وتحلمين بان نجني لها نِعَما
لا بأسَ أن تذكري أيَّامنا فأنا لا زلتُ أرقبُ قلبي يجرعُ الألما

وعندما يتحدث عن حبه العذري يرى ضحكاته وبسماته تشفي من السقم والعلة عندما يقول :

وابتسامات الهوى قد أينعت فَشَفَتْ بالنَّفسِ سقم العِلَلِ

ويتضح سمات الحب العذري في أبيات الشاعر ، فيسأل ثم يطلب ثم ينادي ثم يرضى به حبًّا غير مشوبًا بشيء يعكره :

يقول :

يا مربعَ الحبِّ والإخلاص أين هما ؟ وأين منِّي الأماني إذا تمنِّيني؟
سلي فؤادي فقهرُ البين عذَّبه وسالَ جرحٌ يبكِّيه فيُشقيني
ملَّ اصطبارٌ وصار العمرُ يهزأُ بي إذ لاحَ في مفرقي شيبٌ يعزِّيني
يا خافقي أسنين الوصل تطلُبها أم تلكَ أمنيةٌ عنها تُواسيني
لك الخلودُ يكفينا تألُّمنا فالنَّارُ قد أحرقت عُمري ويكفيني

وتتناول الباحثة صورة المحبوبة في شعر البابطين الشاعر العذري فترى أن صورة المرأة عند البابطين يجسدها في أبهى صورها ، فهي شقيقة روحه ، ماثلة في كيانه فهواها يحيا فيه عمره وشبابه وأمنياته .

يقول :

يـا شـقيقَ الـرُّوح لا تبـرح دمـي فعروقـي تشـتهي فيهـا تُقـيمْ
أنـتَ تحيـا في كيـاني والهـوى فيـه أحيـا كيـف أسـلو أو ألـوم
فيـه عمـري وشـبابي والمُنـى ومغـاني الشِّـعر في الرُّؤيـا تهـيم

وأول ما يلوح لقارئ ديوان بوح البوادي هو الحنين الصادق إلى أرض الحب العذري ووديانه ومراتعه ، يقول في مطلع قصيدة تعبر عن ذلك :

سـلْ واديَ الحـبِّ واسـأل وردةً فيـهِ عـن اللِّقـاء الـذي لـو عـاد يرويـهِ
تَخضـرّ أرضٌ ويزهـو في جوانبـه شِـيحٌ وينمـو الخُزامـي في روابيـه

ويضيف :

سـل واديَ الحـبِّ يـا عـوادُ ينبـئكُم أنّ السـرورَ تنـادى في حواشـيهَ
فاصـدحَ بلحنـكَ يـا عـوَّادُ منتشـيًا ودعْ لُقانـا عـلى الـذِّكرى نناغيـه

ويتضافر الزمان والمكان باستدعاءات حية لشعراء الحب العذري تكسب التجربة عمقًا وثراءً .

يقول :

سـقى اللهُ أيـام الوصـال بمزُنـةٍ هطولٍ فتحيـا بعـد جـدبٍ مراتِعُـهْ
فتزهـرُ نـوَّارًا وتنبـتُ بُرعمًـا وتحيـي لنـا حبًّـا أبيـدت مواضـعهِ

ومما سبق لاحظنا أن حضور الحبيبة المعنوي أو الروحي أقوى من حضورها الجسدي ، فهي تغيب جسديًا في معظم قصائد الديوانين ولا تحضر بهذا المعنى إلا في موضعين حيث تمثل في أولهمها من خلال التعبير بالإشارة .

يقول :

لا زلــتُ أذكــرُ يومًــا يــا مــودِّعتي أشــرتِ لي فيــه أن نبقــى يــدًا بيــدِ

ويتجلى الحضور الجسدي في الموضع الثاني بقوة في قصيدة (ربيع الجمال) في ديوان البوادي حيث (يلفتنا هذا التدرج الحسي المفرط في تتبع أوصاف الحبيبة وكأنما استحالت عينا الشاعر إلى كاميرا تسلط عدساتها بقوة وتنتقل بالتصوير البطيء وبشكل متدرج عند كل جزئية أو موطن من مواطن الفتنة ، مكتفية بالمشاكلة دون النفاذ إلى الجوهر أو الماوراء) .

وفي شعره يجسد البابطين الصورة الموروثة لنموذج الجمال الحسي كما صوره الشاعر القديم مكتفيًا بالرصد الخارجي[1] .

وإذا وجدنا في القصيدة ذاتها ملامح حسية تحكي بالتفصيل مواطن الجمال في المحبوبة (أحسسنا لأول وهلة بتناقض الشاعر ثم لا نلبث ـ عند التحقيق ـ أن نتبين انتفاء التناقض لأن الشاعر يرسم صورة متخيلة مثالية للجمال وليست صورة المحبوبة) .

كما أن هذا الوصف الحسي نجده في موضع آخر .

يقول :

فعمــــري منــــكِ التَفاتــــةُ ظَبْــــيٍ ورفَّــــةُ ثغــــرٍ وومضــــةُ جِيــــدْ
وطــــرفٌ كحيــــلٌ وصــــدرٌ جميــــلٌ وخصــــرٌ نحيــــلٌ وقــــدٌّ يميــــد
ونظــــرةُ شــــوقٍ تلــــفُّ كيــــاني وتمــــلأُ نفســــي بأشْــــهى الوعــــود

وهذه الأوصاف لا تجسد حالة خاصة ولا تنسحب على امرأة بعينها وتعاين

(1) راجع الاتجاه الوجداني / ص74 .

واقعًا ملموسًا بقدر ما تصور المثل الأعلى للجمال كما يراه الشاعر حيث لا تختلف صورته عن المقاييس الجمالية المأثورة فالقد كالغصن ، والشعر كالليل ، والوجه كالصبح ، والهدب أو الألحاظ والخد كالسهام ، التي تخترق الحصون المنيعة والخد كالورد ، والأسنان كالآلئ ، والجيد كجيد الغزال ، والنهدان كرمحين يتيهآن للنزال ، والخصر اللافت بدقته ونحوله .. إنها الصورة الموروثة لنموذج الجمال الحسي كما صوره .

ولعلنا نلمح من تلك التوصيفات الحسية أن الشاعر يتلمس التعبير عن أحاسيسه الذاتية بصور حية لمحبوبته ، وكأنها احتجاج عاطفي لما يضطرم في نفسه من وهج ما بداخله فعبر عما في مخيلته من وصف لمحبوبة متوهمة أو كائنة ولكن في عقله هو ليس سواه ، وكأن الوصف الذي جاء به وصف مثالي موروث لامرأة واحدة كائنة في خيال الشعراء ، وليست واقعًا ملموسًا حيًّا بين البشر ، إنها صورة موروث لمجهولة متخيلة ، رسمها العذريون لإذكاء نار الحب المتوهجة في قلوبهم حتى تصبح تلك التوصيفة الحسية المثلى للجمال الأنثوي متناغمة مع تلك العاطفة المتأججة بداخلهم ، وكأن هذا أحدث توازنًا بين الحب الخفي الداخلي وبين مثالية الجمال الحسي الخارجي .

قراءة في بوح البوادي

في قراءة لديوان بوح البوادي يرصد الدكتور مصطفى ناصف عدة ملاحظات مهمة في الشكل والمضمون(1).

لكنه في البداية يتحدث عن مزايا البداوة فيذكر إن أجمل ما في نفوسنا موروث من البداوة فالبداوة طهر ونقاء وأمومة عليا . ولكن هذا كله بات مهددا . إن الشعراء ليس من واجبهم أن يفضوا التناقضات . واجبهم أن يدلونا عليها وألا يتنكروا لها ، لقد أصبحت البداوة عزيزة المنال ، تخايلنا ، وتعاتبنا ، وتلفتنا ، وتقاومنا ، ونقاومها . نتقدم نحوها ونتأخر عنها . لا خير في تفكير وحيد الجانب يتجاهل هذا النحو الإشكالي الذي يطل علينا . إن ضغوط الكبت التي تعبر عنها الكلمات : النكد ـ الكمد ـ الرمد نشأت من الولاء للعاطفة الخاصة ، والعاطفة

(1) دراسات نقدية / ديوان بوح البوادي / مركز الدلتا ـ الإسكندرية 1996 / ص52 .

الخاصة العابدة لنفسها مسألة محيرة : إما أن ننحاز إليها وإما أن نجعلها جزءا من الإحساس القديم .

لكن الحقيقة التي نتغاضى عنها أن القصيدة تقول شيئا مزدوجا لا أحب أن أماري فيه كثيرا . لقد أصبحنا على غير ما كنا ، ثم انتبهنا إلى الفقد الذي أصابنا ثم استطاع الشاعر أن يومئ إلى أننا أصبحنا صغارا أمام هذا الإحساس القديم . لقد وجد الإحساس القديم ما يناوئه من بعيد ، ووجد الشاعر نفسه في موقف قديم جديد ، موقف بدوي حضري ، يريد أن يجمع بين الأمس والغد ، كيف يتركب من هذا كله وحدة منسجمة ؟ . الوحدة صعبة ، والوحدة مطلوبة ، أخشى ما يخشاه الشاعر أن تستحيل علاقتنا بالبادية إلى ما يشبه الغربة . فلا نحن أبقينا الولاء الساذج للبادية ، ولا نحن خلصنا لأنفسنا الطارئة وخواصنا الداخلية ، توزعنا الهموم ، والغريب أن يتجاهل الباحثون ما يعترف به الشاعر ، وكأن الشعر رغم كل شيء أكثر نفاذا من كثير من الدعاوي السطحية . من نحن ؟ ماذا أصابنا ؟

لماذا لا يولي الباحثون هذا الانحناء القديم ، وهذا الانحناء نحو الطارئ الحديث عنايتهم ؟ هل نحن مقصرون إلى حد ما في استخلاص حقيقة الشعر ؟ هل ينبهنا الشعر إلى أن البادية رغم كل ما يقال ما تزال قابعة في عقولنا لجمالها وجلالها وحريتها وبراءتها من التناقض والتدافع ؟ هل نستوحش من زحام العاطفة الشخصية إلى حد ما لأن البداوة لا تنسى ؟ البداوة ماثلة في عمق شعر كثير حديث ومعاصر ، لكن البداوة وجدت ما يزاحمها أو يخاصمها أو يحاول نسيانها . هذا الخصام كله يجب أن يلفتنا . أن نقف عنده لا ننكر لكنه خصام ليس حادا في القصيدة . أحرى به أن يكون رقيقا لا يخلو من حيلة ومصالحة . أحرى به ألا يكون خصاما مزعجا «مغاضبا أو ثائرا» . خصام تحت السطح يحسن التقاطه والإشارة إليه .

وقد تمنى د. مصطفى ناصف أن يسجل الشاعر أسماء الأماكن المجهولة في

الصحاري العربية بجانب حرصه على تأريخ قصائد الديوان : [1]

«وقد حرص الشاعر على تأريخ قصائده وليته حرص على تسجيل المواضع التي شهدت ولادتها ، ليتابع القارئ أسماء أماكن مجهولة في صحاري الكويت والعراق والسعودية ومصر وليبيا ، تشهد بانطلاق الوحي فيها خلال رحلات القنص حين تكون النفس على سجيتها حرةٌ بلا قيود ، يقول :

يا صديقي حين أبغي قَنَصا ... أطرد الظبى وصقري والذئابا

فلأنسى جُرحَ قلبي والنوى ... وهمومَ العشق تكويني اغترابا

فانا في البرَّ نفسي حرة ... أبْعِدُ الغربة عني والعذابا

ويمتزج حب الصحراء بحب رفيقة الصبا امتزاجًا عضويًا كما نرى في هذه الأبيات ، فالصحراء شفاء لجرح القلب والغربة والعذاب . وإن كان الحب نفسه نفحةٌ من البادية تتمثل فيه خصائصها وسماتها . والبادية لا تغيب عن الشاعر في كل أناشيد حبه ، فنرى ونحس ونسمع كل عناصر البادية كالقطا والصبا والشيح والخزَامى ، والمهاة والربع والآتيّ والغيث والجدب ، حتى الأفعال المرتبطة بالبادية يوظفها في أناشيد حبه كالفعل (أناخ) فهو يقول :

وقد ظنّت سنوني أن هجري ... ينيخُ بشاطئي دون الإياب

وتدخل البادية في نسيج صوره الشعرية يقول :

نَكَأت الجرح يا زمني بوصلٍ ... كومض البرق أسرع في فلاةِ

طواها المحْل أعواما عجافا ... فجاء الومض بشرى للحياة

ويقول :

(1) دراسات نقدية / ص92 .

أيـــوم الوصـــل تعـــدل في حيـــاتي سـنين البـين تلـك القـاتلات
سـمعت الصـوت يهتـف مـن بعيـد وسـمعي يشـتهي صـوت المهـاة

ويقول :

امتطـــــى الآمـــــالَ حينـــــا فيجـــــافيني ركبـــــي

وحين يتخذ لمحبوبته رمزًا يتمثله في النخلة (هل نلتقي يا نخلتي وأعود) .

إن قصة الحب التي يهمس بها الشاعر في بوحه تبدأ في أيام الصبا حين كان الشاعر في الرابعة عشرة من عمره ، يقول في (وعود) :

هـل تـرجعين وقـد شـابت ذوائبنـا وتركعين لأنسى البين حين رمى
خمس وعشـرون مـرْت عاشـها كمـدي وتحلمـين بـأن تجنـى بهـا نعمًـا

ونراه يؤكد هذا التاريخ القديم لعشقه في قصيدته (سأسلو) حين يقول :

ثلاثـون عامـا مـذ عشـقتك والهنـا يُجـافى وجـودي والتباعـد قـاهري

وعشق الصبا بكل ما فيه من سذاجة وبراءة لا يُنسى ، إذ تتعلق به النفس في بداية تفتح براعم الإحساس ، ويظل تعليقها مشبوبًا مهما تطاولت السنون فما من حب جديد يمحو الحب الأول ، خاصة حين يفترق العاشقان فيعيشان على الذكرى المتوهجة أبدًا بحرارة الشوق وإمكان اللقاء وتبدو عذرية هذا الحب واضحة في قول الشاعر :

ســـأقنع بـــالوداد بـــلا وصـــال وقـد يُنْمِي الـودادَ هـوْى وَصُـولُ
ويحيـــا العاشـــقون عـــلى التلاقـــي ويكفينـــي التنهـــدُ والقَبـــول

وهو أشبه بقول جميل :

وإني لأرضـــى مـــن بثينـــة بالـــذي لـو أبصـره الواشـي لقـرت بلابلـه
بـــلا وبـــألا أســـتطيع وبـــالمنى وبالأمـل المرجـوّ قـد خـاب آملـه
وبـالنظرة العجـلى وبالعـام تنقضـي أواخـــره لا نلتقـــي وأوائلـــه

وكثيرا ما يستدعي البابطين شعراء الحب العـذري ليعبـر عـن انتمائـه إلـيهم ، يقول :

وحُبّـــي طهـــرهُ بـــاقً لنبقـــى كبُثْنَـــة أو جميـــل لا نُـــلامُ

وهو يسمو إلى مرافئ الحب العذري في آفاق علوية يحـدو ركبـه فيـه الشـعراء العذريون ، يقول :

وطرنـا سـويا نعـتلي الـنجم والسـها ونُنْشـدُ في الآفـاق منـا التناجيـا
وسـارت قـوافي الشـعر خلـف ركابنـا لتحـدو بنـا حتـى عشـقنا القوافيـا
وكـان قـرينَ الركـب عمـروٌ وعـزةٌ وقـيسٌ ولـيلى ينشـدون الأغانيـا

وتمضي به السنون وهو على عهده في حبه :

بعفـــة عـــذريّ وطهـــر بثينـــة وإخلاص قيس ذائع الشعر والحـب
وشـوقٍ لعشـاق قَضَـوْا مُـذ كثيـرٌ إلى يومنـا ذاقـوا الفـراق بـلا ذنـب

وتحرقه الأشواق ويكويه البعاد والذكريات فيذكر تباريح جميل وقـيس ويراهـا دون ما يحسه يقول :

عُـــذْرَةٌ بـــالطهر في عشـــاقها تزدهـي بـالفخر في طـول الـزمن
بجميـــل وبثـــين والهـــوى وبشـــعرٍ يتغنّـــى بـــالأغن
أيـــن قـــيسٌ وجنـــونٌ مسّـــه ومحـــبٌ تبـعَ المجنـونُ جُـنّ

وتبدو محبوبته في عينه صورة سماوية تزخر بألوان النقاء والعفة ، يقول :

رفيقــة دربــي أبــيض الــذيل ثوبهــا وأذكرهــا حُســنا يشــعّ ككوكــب

فراشــة صــبح يعــتلي الزهــرَ عرشُــها كذا وصفتها نَسْمةُ الحب عن قُرْب

وتعبيره عن محبوبته برفيقة الدرب تأكيد لمعنى بقاء الحب الأول على تطاول السنين مشبوبًا لا تفتر حرارته ولا تسكن لوعته ، بل هو يزيد على الزمن اشتعالا ؛ يقول :

عشــقتك غــرا ثــم شــابت ذؤابتــي ولا زلت أصبو للمزيد مــن الحــب

والشاعر في قصائد مختلفة يؤكد استحالة نسيان هواه القديم ، كما نتبين في هذا الحوار بين العاشقين :

تقــول شــوقًا فهــل لا زلــت تــذكرنا أم هــل نســيت تناجينــا وذكرانــا

وهــل أبــادت ســنون البعــد حــبكم وأطفئــت شــمعة في درب مســرانا

وبــات قلبــك مــن قلبــي بمظلمــة أم قــد تجمــد إحســاس لتنســانا

أجبــت لا والــذي يرعــى محبتنــا لم أنــس يومــا تناجينــا ولقيانــا

فمــرُّ أعــوام بَــيْنَ عشــرةٌ ســلفت لم يمــح ذكــراكم رَوْحَــا وريحانــا

ويبلغ حبه درجة من السمو تنأي به عن الحسية إذ يقول :

تســامى الحــب في نفســي فأضــحى كنبــراس عــلا فــوقَ العــوالي

يضــيء ســماء دنيــا كنــت فيهــا أعــيش بظلمــة والقلــب خــالي

فإذا وجدنا في القصيدة ذاتها ملامح حسية تحكي بالتفصيل مواطن الجمال في المحبوبة يقول فيها :

جمـــال القـــد أهْيَـــفُ مـــن غصـــون إذا ماســـــت بغـــــنَج او دلال
لهـــا شـــعر كعمـــق الليـــل داج تناوشـــني الســـها فيـــه بـــدال
وصـــبحُ في جبـــين الوجـــه بـــاد ربيعـــا مشـــرقا عـــذب الجمـــال
وهُـــدْب واللحـــاظ غـــزت فـــؤادا منيـــع الحصـــن في أعتـــى نـــزال
وخـــــدٌ خلتـــــه وردا تُبـــــاهى بـــه كـــل الـــورود زهـــا بخـــال
وثغـــــر باســـــم فيـــــه لمـــــاه تزيّنـــه الشـــفاه مـــع الـــلآلي
وجيـــــد أتلـــــع يســـــمو بهـــــاء يغـــار لحســـنه جيـــد الغـــزال
وصـــــدر نـــــافر النهـــــدين عـــــاتٍ برمحيـــــه يُهيّـــــئ للقتـــــال
وخصـــــر دق لـــــو نالتـــــه أيـــــدٍ تقصَّـــف واهنـــا صـــعب المنـــال
وطـــــول يســـــتثير وقـــــد تعـــــالى بخطوتـــــه جـــــديرا بالتعـــــالي

أحسسنا لأول وهلة يتناقض الشاعر ، ثم لا نلبث ـ عند التحقيق ـ أن نتبين انتفاء التناقض لأن الشاعر يرسم صورة متخيلة مثالية للجمال ، وليست صورة المحبوبة ، كذلك اسم (سلمى) الذي ردده في هذه القصيدة إنما هو اسم متخيل .

لكن د. مصطفى ناصف يرى أن قصة الحب الأول عند الشاعر من الطبيعي أنها لا تزال تملك على الشاعر وجوده فيفرد لها ديوانًا زاخرًا بالعواطف الذاتية التي تغني بها الرومانسيون وكانت مثار مخاصمة الحركة الواقعية ـ غير مسببة في كل حالاتها ، فكثيرًا ما تهيج الظنون في نفس الشاعر كما في قصيدته (جمر الظنون) على سبيل المثال ويحس لذع الألم والحزن والجراح في عديد من القصائد ويشكو الفراق والنأي والعاذل ، وتنتابه في بعض الأحيان روح تشاؤمية نحسها في قوله :

يمـــــر الليـــــل يتبعـــــه نهـــــار وتتبـــع يـــومى الـــذاوي فصـــولٌ

وتمضـــي خلفهـــا الأعـــوام حســـرى ويمضـــي العمـــر يعقبـــه الرحيـــل
وينطفـــئ التـــوهج حـــين تمســـى حيـــاة النـــاس بأســـرها الأفـــول

وحين نتأمل معجم الشاعر نجد كل ألفـاظ الحـب ومرادفاتـه مـرات كثيـرة : الهوى ، الحب ، الغرام ، الهيام ، الصبابة ، العشق ، الود ، الوله وغيرها . ونجد في الوقت ذاته مرات كثيرة أيضًا كل ما يدل على الألم والحزن اسمًا أو فعلاً : الجرح ، الشجى ، الشجن ، السقام ، الهـم ، الأسـى ، المعنّـى ، كـوى ، التبـاريح ، الأنـين وغيرها . كما نجد في داخـل المعجـم مـا يعبـر عـن الـذكرى والشـوق والحنـين والوصال والنأي والهجر والسلوّ . وكل ذلك يؤكد لنا أن مضـمون بـوح البـوادي قصة حب متكاملة تتحقق فيها كل حالات الحب المتغيرة وأطواره المتقلبـة التـي تعني صدق التجربة الشعرية في بوح الشاعر بأسرار نفسه . ويتآلف صدق التجربـة مع الإيقاع المتناغم .

ويمزج الشاعر في العناصر الفنيـة التـي يرتكـز عليهـا أسـلوبه بـين المعاصـرة والتأثر بالتراث . وقد سبق أن ألمحت إلى اسـتدعائه للشخصـيات التراثيـة لتأكيـد عذرية هواه . بل نراه متواصلاً مع التراث في رمزه للمحبوبـة بالنخلـة وبالطـائر في قوله :

مغـــردتي بالغصـــن هـــيض جناحهـــا يمينـــا ســـأبقى راعيـــا ثـــمّ حانيـــا
فـــإن عقنـــي حبـــيُ وشـــرّد طـــائري فلســـت إلى طيـــف ســـواها مواتيـــا

كذلك يتواصل مع التراث في مخاطبته رفيقين كما في قوله :

قفـــا نـــذكر الأيـــام والوصـــل صـــافيا ووودا عفـــاه الـــدهر أبْعَـــدَ نائيـــا
خلـــيليّ رفقـــا فالحيـــاة قصـــيرة ذراني فلـــن أقضـــى حيـــاتيَ باكيـــا

ثم يصل د. مصطفى ناصف إلى نتيجة مفادها أن ديوان «بوح البوادي» يرمز إلى ما ضاع أو ما لا ينبغي أن يضيع يقول (1):

«الديوان بعبارة مختصرة رمز ما ضاع أو ما لا ينبغي أن يضيع ، رمز التفريق بين القشور واللباب ، بين الصحة والمرض ، بين الأصالة والطلاء ، بين الوجدان الرخيص والفقد العظيم ، الديوان فيما أعتقد توثيق البساطة والشجاعة والغناء . كأنما يبحث الشاعر عن ميلاد كامن في عمق بعض النفوس . يتصور أحيانا بصورة (الطيف) الذي يتردد في القصائد . هذا الطيف ينافس بعض المنافسة صاحبه أو صاحبته ، الطيف الذي استيأس منه الشعر لأنه استيأس من الماضي . لكن الشاعر يبحث عنه مكبرا له إكبارا يتجلى في تقليب الكلمة في اشتقاقاتها المتنوعة ، واستعمال كلمات أخرى بدائل تنوب عنه ، وترميز إليه من مثل كلمة الفجر والهمسات ، هذه الكلمات تتواشج للتعبير عن السر الذي لا يعيش الشاعر دونه . السر الذي يحفظه من التبذل وعدوان الإفصاح والتزيين . الطيف روح الزمان . أو روح العربية . الطيف ليس تابعا من توابع الحب فحسب . الطيف هو الحقيقة التي لم تتكشف بعد ، ومن حقها علينا أن تحتفظ بمكانها من النفوس . الطيف مجمع الماضي والحاضر . الطيف أمام نفوسنا إذا غرقت فيما ترى وما تسمع .

(1) دراسات نقدية / ص76 .

بناء الأسلوب الشعري

ويتناول د. فوزي عيسى بناء الأسلوب الشعري في «بوح البوادي» فيرى أن الشاعر يعتمد في أبنيته على عنصر (التضاد) الذي يؤدي دورًا نشيطًا كمكوّن بديعي في ترسيخ «المفارقة» وتأكيد ثنائية (الحضور ـ الغياب) : (1)

أنـــاجي طيـــف محبـــوبي وحينًـــا يغيـــب فـــلا أنـــال بـــه المـــرادا

(1) دراسات نقدية / ص134 .

وأركض خلف طيف الطيف ركضًا ... فأُخفق لا أرى إلا سوادا

فأغْضى كالذليل وكنت حرًّا ... أبيَّ النفس مقدامًا جوادا

فكيف أضيع في زمنٍ بخيلٍ ... بإسعاد الأحبّة إذ تمادى

أحاول سلوة بعد التّنائي ... وأدعو للوصال هوىً معادًا

ولكنّي سأبقى طول عمري ... أنادي للهوى من لا يُنادى

ومن خلال اتكاء الشاعر على عنصر «التضاد» تتحقق «الثنائية» أو «المفارقة»؛ فالطيف يمثل حينًا لكنه لا يلبث أن يغيب ، والذات تسعى ولكنها تواجه «الإخفاق»والإحباط ، فتخضع للذلّ بعد الحرية ، وبينما يبخل الزمن بإسعاده يتمادى في غيّه ، فيصبح «التنائي» بديلاً عن «الوصال» ، وتبلغ المفارقة مداها حين ينادى الشاعر فلا يستجيب أحد لندائه ليكون «الفراغ» أو «الصدى» هو المشهد الختامي للقصيدة .

وتهيمن البادية أو الصحراء عمومًا بمفرداتها ودوالها على خيال الشاعر لأنها الأم الرءوم التي ولد في أحضانها ورضع قيمها ومثلها ، وترعرع في جنباتها ، فهو يعي كل تفاصيلها ومعالمها مما أتاح له استقصاء صوره ومشاهده ، وتتبع الجزئيات الدقيقة التي لا يلتفت إليها إلا ابن البادية .

فالبادية هي النبع الثَّر الذي يمتح منه صوره ، ويرفده بزاد وافر من الأخيلة .

كما يرى د. فوزي عيسى أن الصور الشعرية في «بوح البوادي» تكشف عن الأبعاد النفسية أو الشعورية في تجربة الشاعر ؛ فهو يكثر من استدعاء صورة البرق أو المطر الذي يمحو جدب الصحراء ويجعله مرادفًا أو معادلاً للوصال ، فكلاهما قادر على بعث الحياة من جديد :

نكـأت الجـرح يـا زمنـي بوصـلٍ كـومض البـرق أسـرع في فـلاةِ
طواهـا المحـل أعوامـاً عجافًـا فجـاء الـومضُ بشـرى للحيـاةِ

ويرتبط اللقاء عند الشاعر بـ «الريّ» و«النماء» ويستدعي صورة الوادي مرادفًا لعالم الحب :

سـل وادى الحـب واسـأل وردةً فيـه عـن اللقـاء الـذي لـو عـاد يرويـهِ
تخضـرُّ أرضٌ ويزهـو في جوانبـه شـيحٌ وينمـو الخزامـي في روابيـه

وكما تتأثر الطبيعة بتحولات الشاعر الوجدانية فإنها تؤثر فيه أيضًا بتحولاتها ؛ ولأن المياه هي قوام الحياة في الصحراء بصفة خاصة فإن الشاعر يكثر من استدعاء صورها ودوالها ؛ وتنشأ علاقة جدلية متبادلة بينهما ؛ فالنبع وهو من دوال الماء مرادف للحياة والموت في حالتي امتلائه ونضوبه :

شـبابي قـد ذوى مـذ جـفَّ نبعـي وأُهـدر مـاؤه يـوم التجنّـى

ولكي يتحقق «التماثل» أو «التلاحم» بين العالمين : عالم الشاعر وعالم البادية ؛ فإن مفردات البادية وصورها تنتقل من عالمها الحقيقي إلى عالم آخر مجازيٌّ ، هو عالم الشاعر الوجداني ، حيث تخلق خلقًا آخر ، وتتشكل من جديد ؛ لنفاجأ بعالم مختلف تتكون معالمه من سياط الهم ، ورياح الهجر ، وسراب الوهم ، وغول البين :

لقـد جلـدت سـياط الهـمّ قلبـي ومُـزِّق بـين أظفـارِ ونـابِ
وتعصـف بـالفؤاد ريـاحُ هجـرٍ فيبلُـغُ عصـفها لُـبَّ اللُبـابِ
وتجتـاح الظنـونُ مـدى خيـالي فتُلقينـي بـوهمِ كالسَّـرابِ
كـأن الهجـرَ لم يُخلـقْ لغيـري وغـولَ البـين سُـكْناهُ ببـابي

وتكشف الاخيلة عن جوانب نفسية عميقة خاصة فيما يتصل بعلاقة الشاعر بالصحراء في تقلباتها وغموضها وغضبها ، كصورة الليل بإيقاعاته النفسية المخيفة التي تتكرر كثيرًا : أو صورة الغول التي ترددت في المثال السابق أو صورة سهم الموت ، أو صورة العواصف بإيحاءاتها المحبطة فيشاكل بين أثرها النفسي سواء على معالم البادية أو في وجدانه :

كيف أمسيت ؟ بماذا تحلمين؟ ألحب الأمس مازال الحنينْ؟
أم تراها ذكرياتٍ عَصَفتْ فبدا قلبك تذروه السنون
إذ ترامى البُعْدُ فينا شاسعًا بفيافي العمر طول الأربعين
ورماني ويحَهُ في كبدي ورماك البعد فازداد الأنين

وتحتل صورة الطير والقنص مكانًا أثيرا في مخيلة الشاعر ، وهي تمثل امتدادًا نفسيا وشعوريا لتجربته فغناء الطيور تعبير عن الحب في حالاته المختلفة ، وشدوها مرادف لشدوده ، وكثيرًا ما يدعوها إلى مشاركته همومه وتتردد صورة الطير المهيض الجناح أو المشرد كدوال للهجر والانكسار .

ونلاحظ أن الشاعر يستدعي صورة الطير في إطار دلالي عام ولا يعمد إلى التخصيص إلا في مواضع قليلة تتردد فيها ثلاث صور ؛ هي صورة القطاة وصورة الحمامة أو الورقاء وصورة الصقر وتنفصل صورة القطاة عن التجربة الوجدانية أما الورقاء أو الساجعة فهي دالة من دوال استثارة الشوق والحنين .

أما استدعاء صورة الصقر فيأتي في إطار المشاركة الوجدانية(1)

***

(1) دراسات نقدية / ص138 .

وبعد ، فهذه لمحات من سيرة عبد العزيز سعود البابطين شاعر البوادي الخضر وإبداعه الشعري ، والذي عبر بصدق عن أجواء البادية والصحراء التي عاش في ظلالها ، وعبر عن مفرداتها ، وأجواءها ، حيث تحقق التلاحم بين عالم الشاعر وعالم البادية بكل صفائه ونقائه وقيمه وأعرافه ومفرداته البسيطة ، كما حول بقاع الصحراء إلى واحة خضراء ، وزهور يانعة بوجود الحبيبة الملهمة معه :

فطيف الحبيب حين يهلُ ... أرى السهل يخضر والواديا

ويملأ شاعر البوادي الخضر الدنيا غناء شجيًا للحبيب في كل أحواله : سعيدًا أم حزينًا قريبًا أم بعيدًا ، راضيًا أم غاضبًا ، متواصلاً معه أو نائيًا عنه .

سواء كان الحبيب حاضرًا ، أم طيفه هو الحاضر يناجيه الشاعر ويرتل له من أعماقه مواجده وعذاباته لهجر الحبيب النائي ، ولكن شاعر البوادي الخضر يحول تلك البوادي والقفار إلى واحة خضراء مزهرة بحبه العذري لمحبوبته الحسناء ؛ فيصبح الوادي كله مليئًا بالزهور اليانعة والأشجار الباسقة المخضرة:

سل وادي الحُبِّ واسأل وَردةً فيه ... عن اللقاءِ الذي لو عاد يَرويهِ

تخضُّر أرضٌ ويزهوُ في جوانبهِ ... شيحٌ وينمو الخُزامى في روابيهِ

هكذا اندمج شاعرنا مع البادية بعد أن جمع بين عالم البادية والصحراء بكل ما فيها من صفاء ونقاء وبين عالمه العاطفي بكل ما فيه من مشاعر وأحاسيس سامية تتغنى بالحب والحبيب ، وتعزف للملهمة أجمل أغاريد الحب العذري !

الفصل السابع

عبد العزيز سعود البابطين في مرآة الشعراء

مع اضطلاع عبد العزيز سعود البابطين برعاية مملكة الشعر العربي المعاصر وشعرائها ، كبادرة حضارية للنهوض بمسيرة الشعر بعد أن تهددتها عوامل كثيرة ودعوات مشبوهة وافدة باسم التحديث والحداثة وقصيدة النثر وغيرها تبارى العديد من شعراء العربية للتعبير عن مشاعرهم نحو أمير هذه المملكة الشعرية الذي أوقف وقته وجهده وماله في سبيل النهوض بمملكة الشعر العربي من خلال مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري وقد تصدى الباحث والناقد الأدبي د. محمد مصطفى أبو شوارب لجمع وتنسيق النصوص الشعرية التي قيلت في شاعرنا وصدرت في ثلاثة مجلدات تحت عنوان : «عبد العزيز سعود

البابطين في قلوب الشعراء» . خدمة للأدب والتاريخ وليصور جانبًا مهمًا من جوانب الحياة الثقافية التي وجدت أخيرًا من يهتم بالشعر والشعراء ومحاولة النهوض بالخطاب الشعري عقدت المسابقات وكرم الشعراء ، وأقيمت المهرجانات الشعرية الكبرى والندوات والدورات الشعرية لتكريم الشعراء القدامى والمعاصرين ، وجمع شعرهم المنسي فصدرت عنهم الدراسات المتخصصة المستفيضة بأقلام كبار النقاد والباحثين .

وقد أوضح د. محمد أبو شوارب سبب جمع وإصدار النصوص الشعرية التي جسدت رؤية الشعراء لشخصية عبد العزيز سعود البابطين شاعرًا وإنسانًا وصاحب رسالة ثقافية كبرى فقال (1):

«استوقفني طرافة هذه القصائد ووفرتها واحتفاؤها بعبد العزيز سعود البابطين الإنسان والشاعر والمؤسسة ، وتنوعها ، وتوزعها على عدة ألوان من مستويات الأداء الشعري . فعقدتُ العزم على مراجعة قراءتها مرة أخرى ، غير أن ظروفًا طارئة اضطرتني إلى العودة إلى مصر بعد أن قضيت بالكويت سبعة أشهر فحسب . ورغم انشغالي بعملي الجامعي وما عهد إليَّ من مسئولية رئاسة قسم اللغة العربية بكلية التربية بجامعة الإسكندرية عام ستة وألفين (2006م) ؛ فقد ظلت هذه القصائد بخاطري يشغلني التفكير فيها حينًا بعد حين ، إلى أن تجدّدت إعارتي إلى الكويت عام ثمانية وألفين (2008م) وعدتُ إلى مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري في الوظيفة ذاتها ، وفي صدارة أولوياتي الخاصة الرجوع إلى هذه القصائد وإعادة النظر فيها ، ولم يكن ذلك بالأمر اليسير . فالعمل مع الأستاذ عبد العزيز سعود البابطين في مشروعه الثقافي الذي تجاوز حدود الوطن

(1) د. محمد مصطفى أبو شوارب : عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء – دار الوفاء الإسكندرية 2015/ المجلد الأول / ص9.

العربي إلى آفاق العالمية الرحبة الوسيعة ؛ له متعته وفوائده وإيجابياته ، ولـه أيضًـا متاعبه ومشاقه . فالرجل لا يعرف إلى الاسـترخاء والتقـاط الأنفـاس سـبيلاً ، ولا يدخر وسعًا في سبيل المضي قدمًا من منجز إلى آخر ويلزم نفسه في ذلك بما تطيـق وما لا تطيق ، ويكلف من حوله ما يأخذ به نفسه ، فلا نكاد نخرج من مشروع حتى ندخل غيره وكأننا في سباق محموم مع الزمن .

غير أن ذلك كله لم يصرفني عن هـذه القصـائد ؛ فكنـت أحـاول التسـلل ولـو لدقائق معدودة إلى خزائن مؤسسـة جـائزة عبـد العزيـز سـعود البـابطين للإبـداع الشعري وأضابيرها لمواصلة البحث عن نصوص جديدة من هـذه القصـائد التـي كان الشعراء يبعثون بها إلى الأستاذ عبد العزيز احتفاءً به ، أو تهنئة لـه ، أو تسـجيلاً لنشاط من الأنشطة التي يقوم بها ، أو لمنجز من المنجـزات التـي يقـف وراءهـا . وكلما وقعت على قصيدة من هذه القصائد أغرتنـي بتتبـع غيرهـا حتـى اجتمـع لي خلال ست سنوات عدد ضخم من النصوص الشـعرية اللافتـة بغزارتهـا الدالـة ، وبتعقبها مراحل حياة الرجل بكل ما فيهـا مـن خـاص وعـام ، وبتمثيلهـا لأجيـال متعاقبة من الشعراء العرب ، ولجلِّ أقطار الوطن العربي من المحيط إلى الخليج.

وأصدقكم القول أني فوجئت من هذه الوفرة الهائلة مـن القصـائد التـي كتبهـا الشعراء في عبد العزيز سعود البابطين .

وليس من شك في أن قراءة هذه القصائد قراءة موضـوعية وفنيـة تكشـف عـن مستويات أكثر اتساعًا وأبعد عمقًا عـن صـورة عبـد العزيـز سـعود البـابطين كمـا انطبعت في نفوس هؤلاء الشعراء وفي وجداناتهم ، وتبين عن تصوراتهم ومـواقفهم إزاء هذه الشخصية النادرة المثال ، وتوضح طـرائقهم في تصـوير قسـماتها ورسـم ملامحها الجسدية والنفسية على حد السواء . كما أن دراسة هذه القصائد ، وهي في حاجة إلى وفرة من الدراسات والقراءات حتى يمكن استقصـاء جوانبهـا وتحديـد سماتها وأساليبها – تعكس بوضوح موقف الشعراء من التجربة التـي قـدمها عبـد

العزيز سعود البابطين في دلالتها الإجمالية وتفاصيلها الدقيقة .

وفي اعتقادي أن التصور الرئيس الذي وجه رؤية الشعراء ومواقفهم من عبد العزيز سعود البابطين على كافة الاتجاهات يصدر عن إحساسهم بتفرد هذا الإنسان / الشاعر / المشروع وتميزه الفريد ؛ على نحو دفعهم إلى محاولة تلقيبه ، وخلع جملة من السمات الاستثنائية عليه ، لعلهم بذلك يستطيعون إدراك جوهر فرادة الشخصية وتوصيفها ، وهو ما يبدو بوضوح فيما اختاره الشعراء لقصائدهم من عناوين دالة بما هي عتبات أولية للنص على ذلك التصور الذي يقدم البابطين كما هو في نظرهم شخصية استثنائية ، وبوصفه نسيج وحده .

وهم يعرفون لعبد العزيز سعود البابطين فضله على الشعر والشعراء ، وجهده الخارق في سبيل إعادة الشعر مرة أخرى إلى صدارة المشهد الإبداعي في المجتمع العربي ، ومن ثم عكست عناوين قصائدهم هذا المعنى فعبد العزيز : «حفيظ الشعر» في عنوان قصيدة عبد الرزاق حسين ؛ و«نصير الشعر» في عنوان قصيدة محمد ذيب النطافي؛ و«حاتم الشعر» في عنوان قصيدة أحمد قاسم أحمد .

***

ثم يحدد الباحث احتفاء الشعراء بدور عبد العزيز سعود البابطين في رعاية ودعم مملكة الشعر والشعراء ، فيقول (1):

«وبقطع النظر عن فيوض الشعراء العاطفية وطروحاتهم الذاتية ، فإن التناول الموضوعي لحركة الشعر العربي الحديث والمعاصر ينتهي بأي دارس منصف إلى الإقرار بقيمة الدور الكبير الذي قام به عبد العزيز سعود البابطين منذ أن أنشأ مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بالقاهرة سنة تسع

(1) المرجع السابق: ص13 .

وثمانين وتسعمائة وألف (1989م) ، في وقت تراجع فيه حضور الشعر في الحياة الثقافية ، وتأخرت مرتبته بين فنون الإبداع القولي المؤثرة في وجدان الأمة لمصلحة أجناس أدبية وإبداعية أخرى ، وأخذت الهوة في الاتساع بين الشعراء المتلقين من جهة ، وبين الشعراء بعضهم بعضًا من جهة أخرى على نحو أدى إلى ضمور شديد في الحركة الشعرية ، وتراخ في فاعليتها . فجاءت مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري لتعيد للشعر ألقه وحراكه المؤثر اعتمادًا على اربعة مرتكزات رئيسية ؛ يأتي في مقدمتها تحفيز المبدعين من الشعراء ونقدة الشعر عبر سلسلة من الجوائز التي تمنح من خلال آلية شفيفة منضبطة ترتكز إلى قرارات لجان التحكيم الفنية المتخصصة دون اعتداد بأية تصورات مسبقة ، ودون أن تحركها أية مرجعيات سوى الانحياز للإبداع الفني الأصيل .

***

وبعد ، فمن بين عشرات القصائد التي جمعتها ثلاثة مجلدات سأختار عدة قصائد لعدد من شعراء الوطن العربي لتقرأ فيها صورة عبد العزيز سعود البابطين

الفصل الثامن

ألوان من شعر

عبد العزيز سعود البابطين

نداء [1]

لــكِ روُحــي أمــا ســعِتِ النِّــدَاءَ ... فهُمُــومي قــد أورثَتنِــي العَنــاءَ

وحنينــي إلــكِ أضــحى شُــعاعًا ... قــد تعــالى فمَــسَّ حتَّــى السَّــماءَ

مــلأ الكــونَ والفَضــاءَ وأمســى ... بَــينَ عينيــكِ يَســكبُ الأضــواءَ

(1) من ديوان «بوح البوادي / بيروت 1995 / ص32 .

إذ سَــرىَ الليــلَ طُولــهُ ليلاقِــي ... فجِــركِ الحُلــوَ يَنَضَــحُ الأنــدَاءَ

إيــهِ أمسِــي أتَــذكرُ الحــبَّ طفِــلاً ... فيــهِ غَنَّــى شَــلاّلُهُ كَيــفَ شَــاءَ

فيــه مَــلَّ اللقــاءُ منــا وإنَّــا ... مــا ارتوَينــا وَلم نمَــلَّ اللِقــاءَ

كَيــفَ تجــري الحيــاةُ فينــا إلهــيِ ... والبِعــادُ الألــيمُ هَــدَّ الرَّجــاءَ

أنــا لــن يُوقِــفَ البِعَــادُ حنينــي ... لا ولــن يَخنــقَ الزَّمــانُ النَّــداءَ

ذاكَ حُبِّــي فــلا يــزالُ أتيًّــا ... دَفقُــهُ الثّــرُّ جــاوزَ الجَــوزَاءَ

لــكِ رُوحِــي ومُهجَتِــي وسُــنونِي ... كُــلُّ مــا بــي أهــدي إليــكِ فِــدَاءَ

هَل سَمِعتِ النِّــداءَ يــا إلــفَ رُوحــي ... أم هــديرُ النِّــداءِ ولّــى هبَــاءَ

سَــيَظَلّ النِّــداءُ يَســري ويَــدوى ... ليُعيــدَ الهَــوى إلىَّ بَهَــاءَ

ويهُــزُّ الفَضَــاءَ حُلُــو التَّغَنِّــى ... أنــا مَــن عَلَّــمَ الطُيــور الغِنَــاءَ

فــإذا مــا سَــمعتِ يومًــا هــديلاً ... فهَــو فنّــي منحتُــهُ الورَقــاءَ

أو سَمعتِ الطيور في الـرَّوضِ تشـدو ... تُطـربُ الـرَّوضُ والـرؤي والسَّـناءَ

ذاك ممّــا تعلَّمتــهُ مزيجًــا ... مــن غِنَــائِي إذ أرتجيــه دَوَاءَ

لــكِ رُوحِــي رُدِّي إلىَّ لقــاءُ ... فهُمــومِي قَــد أورثتنِــي العَنــاءَ

1992 /10 /30

أرجوحة الأحلام[1]

قد كنتِ لي في ما مضَى ملءَ الفَضَا ... واليَوْمَ أبْحَثُ عن مَطافِ سَناكِ

وَلَقَدْ وصَلْتُكِ يَوْمَ كُنَّا لِلْهَوَى ... والآنَ يُرْضِيني خَيالُ هَواكِ

واهًا أيا لَيْلَى على زَمَنٍ مَضى ... مَلَكَتُ يَدايَ زِمامَهُ ويَدَاكِ

في حقْبَةٍ هِيَ كُلُّ ما في العُمْرِ مِنْ ... فَرِحَ الحَياةِ مُضَمْخًا بشَذاكِ

أيّامُنا الحُسْنَى مَضَتْ كالبَرْقِ في ... لَيْلٍ أضَاءتْ عَتْمَهُ عَيْنَاكِ

يا حَبَّذا تلكَ الحَدائِقُ في الصِّبا ... وخُطَايَ في جنباتِها وخُطاكِ

كم طُفْتُ في دُنْياكِ عَبْرَ جِنانها ... واليَوْمَ أينَ جِنانُها دُنياكِ؟

ما شاقَ قلبي منكِ في عَهْدِ الهَوَى ... لم يَبْقَ لي منهُ سِوى ذِكْراكِ

أوْتَارُ قلبي كَمْ تَنَاغَمَ عزْفُها ... قِدْمًا فَقطَّعها الأسَى بِنَواكِ

قَدْ غِبْتِ ، لكنْ ظَلَّ طَيْفُكِ حاضِرًا ... يَحْنُو ويَدْعُوني إلى نَجْواكِ

كَمْ شَقَّ طَيْفُكِ جُنْحَ لَيْلٍ مُظْلِمٍ ... فَأزَالَهُ عَنِّي بِنُورِ بُهاكِ

ما كان في دُنْيايَ ما أصْبُو لهُ ... وأعِيشُ مُمْتلئًا بهِ لولاكِ

فَبِكُلِّ ما أرْنُو إليهِ بناظِري ... ألْقَاكِ يا أُخْتَ المَها وَأرَاكِ

(1) من ديوان «مسافر في القفار» / الكويت 2004/ ص138 .

لِلْحُــبِّ سَــوّانِي الإلــهُ وأنــتِ يــا ... أرْجوحَـــةَ الأحْـــلاَمِ إذْ ســـوَّاكِ

أنا من خِلالكِ أنـتِ أحْبَبْـتُ الـوَرَى ... فكـــأنَّهمْ سَـــبحُوا بَبحْـــرِ هَـــواكِ

فَمَــوَدَّتِي وجَمِيــلُ عَهْــدي للأنــا ... مِ لِكُــلِّ مَــنْ يَرْعَــاهُ مَــنْ يَرْعَــاكِ

هُمْ إِخْوَتِي قد حُمِّلوا مَعْنـايَ في الـدْ ... نيــا ، كمــا قــدْ حُمِّلــوا مَعْنــاكِ

يا حُزْمةً من ضَوْءِ ومْـضٍ قـد مَضَـى ... اليَـوْمَ أبْحَـثُ عــن مكــان سَــناكِ

فاس – المملكة المغربية

2003 10 /12

غناء حمامة (1)

حمامةَ الأيْكِ غَنَّى الحبُّ ساجعةً ... إنَّ الغِنـاءَ لِقَلْبِـي بَلْسَـمُ الشَّـجْنِ
هيَـا بنـا نَتَنَـاجَى في مُرابِعَنـا ... فالشَّوْقُ يُلْهِمُكِ النَّجْوى ويُلْهِمُنِـي
شَكْواكِ شَكْواي والأشجَانُ واحِدةٌ ... فَـرِدِّدي في مَـداهَا مـا يُعلِّلُنِـي
إنِّي لأَدْرَى بما تشْكِينَ مِـنْ وَلَـهٍ ... مِـثْلِي فَمـا وَلَّـه الورقـاء ولّهنـي
غنى وإن كان نوحًا ما شدوت بـه ... يحيا غرامي إذا مـا الشـوقُ ذوّبنـي
ما أعجبُ الحبُ يُشْقِيني ويُسْـعدُني ... وأعْجَبُ الشَّدْوُ يُشْجيني ويُفْرحُني
إنْ نَكّـتْمِ الحُـبَّ لم تُكْـتَمْ دَلاَئِلُـه ... فَـنَحْنُ أسْـراهُ في سِـرٍ وفي علـنِ
أصْبُو وأنْغَامُكِ الرَّوْعَاءُ تحْمِلُنِـي ... إلى زَمـانٍ مَضَـى بالـذِّكْرياتِ غَنِـي
في شَـدْوِكِ الآنَ صَـوْتٌ كنـتُ ... فِي صَمْتِ فاتِنَتِي «لَيْلَى» فيُسـكِرُني
باللهِ مَنْ عَلمَ الوَرقَـاءَ مـا عَلمـتْ ... مِنْ حالِ صَبَّ لأمْرِ الحُبِّ مُـرْتَهَنِ
حَتَّى تَمَكَّنْـتُ مـن إنْشَـادِ سـيرتِهِ ... بصَوْتِكِ العَذْبِ صَداحًا عـلى فَـنَنِ
يُطَـأطِئُ الغُصْـنُ للإنْشَـادِ هامَتَـهُ ... وَيَرْفَـعُ الزَّهْـرُ أنْظَـارًا إلى الغُصْـنِ
كأنَّما الرَّوْضُ إذْ يُصْغِي لسـاجِعَةٍ ... خَمائِلُ كَسَـتِ الفِـرْدَوْسَ في عَـدَنِ

***

(1) ديوان مسافر في القفار/ ص20

حَمامَــةَ الأَيْــكِ زيــديني هَــوْى ... فإنْ شَدْوَكِ فِـي عُرْفِـي مِـنَ المِـنَنِ

حُبًّــا لِلَيْلَــى التــي أحْيــا بعالَمِهــا ... وَقَدْ غَدَا طَيْفُ لَيْلَى وَحْـدَهُ وَطَنـي

غِنَاؤكِ العَذْبُ مِنْ مَاضِـيَّ قَرَّبنِـي ... وعنْ أسَى حاضِري المَلْهوفِ أبْعَدنِي

فَفِيه مِـنْ كُـلِّ أوْتَـارِ الهَـوى نَغَـمٌ ... قدْ حرّكَ الشِّوْقَ في قلبـي ودَلَّهنِـي

لأنتِ والغُصْـنُ ميّـادًا بقامتِـهِ الــْ ... ــهَيْفَاءِ دُنْيَـا لِسِـحْرِ العَـيْنِ والأذُنُ

في ما شَـدَوْتِ وفيـه مـا يُـذكِّرُنِي ... ببعضِ ما مَلَكتْ «لَيْلايَ» مِنْ فِـتَنِ

جُودِي بما تمْلِكُ الوَرقَاءُ مِنْ حَسَنٍ ... يا طيبَ من جادَ يَا ورْقَاءُ بالحسَـنِ

وَرِّدي نَغَمًــا قــدْ كنــتُ آلفُــهُ ... إنَّ الغِنَــاءَ لِقَلْبــي بَلْسَــمُ الشَّــجَنِ

باماكو – مالي

أكتوبر 1994م

رمز الحب[1]

اسْألوا الشِّمْسَ ..هَلْ رأتْ مِثْلَ عِشْقِي ... مُذْ أنيرتْ ، أوْ عاشِقًا عاشَ مِثْلِي
عاشَ يَسْقِي مَنابعَ الحُبِّ حَتَّى ... صارَ رمْزًا للحُبِّ في كُلِّ نُزْلِ
يَمْلأ الحُبُّ قَلْبَهُ يَتَغنَّى ... بِنَشيدِ الحياةِ غَنِّي كَطِفْلِ
يُمْطِرُ الغَيْثُ مِنْ سَمَاها وِدادًا ... فَتَضُوعُ الأزْهَارُ في كُلِّ سَهْلِ
قَدْ مَنَحْتُ الحَياةَ دَفْقَةَ عِطْرٍ ... ضَمَّخَتْ بالأَريجِ مَنْ كانَ حَوْلِي
والبَعيدُ البَعيدُ يَرْعاهُ حُبِّي ... عَلَّ روحي تطالُهُ أو لعَلِّي
أنا أهْوَى الجَمالَ في طَبْعِ «سَلْمَى» ... فَأحَبَّ الجَمَالَ قَلْبِي وعَقْلِي
وَلَبِسْتُ الوَفَاءَ ، بَلْ عِشْتُ فيهِ ... فقَهرْتُ السِّنينَ لا .. لَمْ أمِلِّ
لن يُحِبُ الجَميعَ قَلْبٌ كقلبي ... أوْ يَودُّ الجَمَيعَ أكْثَرَ قَبْلي
أنا يا شَمْسُ إنْ وَدِدْتُ الأناسي ... فَلأنِّي عَشْقْتُ – يا شَمْسُ – خِلَّى
اسألوا الشِّمس !! لم تُشاهِدُ حبيبًا ... مُذْ أُنيرتْ أو عاشقًا عاشَ مِثْلي

فليج (شمال الحفر)

المملكة العربية السعودية

25/ 1/ 1995

(1) من ديوان «مسافر في القفار » الكويت 2004 / ص26.

مناجاة الرُّوح[1]

رُوحِـي أيـا رُوحِـي مُلئْـتِ مَحبَّـةٌ ... لِلآخَـــرينَ فَيَمِّمُـــوا مَغْنـــاكِ
ضُمِّي بأجْنحَـةِ السَّـعادَةِ والهُـدَى ... زُمَـرَ الشَّـكاةِ وَكُـلِّ مَـنْ نـاداكِ
إهْدي المَحَبَّة لِلْجَميـع وكَفْكَفِـي ... يـا روحُ دَمْعَـةَ كُـلِّ عـانٍ بـاكي
كُـونِي أيَـا رُوحِـي المُعِـين لِمَـنْ ... في عالمِ مـا حَسَّ صَـوْتَ الشَّـاكِي
كوني كَطَيْرِ الـرَّوْضِ يُفْـرِحُ شَـدْوُهُ ... مَـنْ حُوصِـرتَ دُنْيَـاهُ بالأشْـوَاكِ
أوْ مَـنْهَلاً يـرْوي العِطـاشَ نَميـرُهُ ... أوْ وَرْدَةً عَبَقَـــتْ بعِطـــرٍ زاكِـــي
كوني الرَّبيعَ السَّمحَ يَضْحَكُ وَجْهُهُ ... مُـــتَهَلاًّلاً حتَّـــى لِمَـــنْ عـــاداكِ
وامْضِي على الحُبِّ الذي أحْيَـا بِـهِ ... لا يَرْدعَنَّـكِ عنـهُ مـنْ جافـاكِ
ما ضَـرَّ شَـدْو الطَّيْـرِ مَـنْ في أُذْنِـهِ ... صَـمَمٌ ، ومَـنْ أمْسَـى بـلا إدْرَاكِ
كـلاَ ولا عـابَ الـوُرودَ وعِطْرَهَـا ... نَقْـصٌ بِحِـسِّ مُـراوِغٍ أَفـاكِ
قـولي لِمَـنْ جَـافى وأفْسَـد وُدَّهُ ... وَلِكُـلِّ مَـنْ خَـلاَكِ أوْ وَالاكِ
هَيَّا اعْتَصِمْ بالحُبِّ دَوْمًا أوْ غَـدَتْ ... دُنْيَـاكَ يـا إنْسَـانُ دارَ هَـلاكِ
كُـونِي أيَـا رُوحِـي زُهـورَ مَـودَّةٍ ... لِلآخَـــرينَ ، فَـــدَرْبُهمْ مَغْنـــاكِ

جيليك – نور العرش – إيران

(1) من ديوان «مسافر في القفار» الكويت 2004 / ص 130 .

2002 /7 /1

جمرة الوجد(1)

يـــا نَجْـــمُ اللَّيْـــلُ مَتَـــى غَـــدُهُ ... ومَتـــــى يَرْتَـــــاحُ مُســـــهْدُهُ

أيَمُـــــرُّ العُمْـــــرُ ولا أمَـــــلٌ ... بلقِـــــاءِ حَبيبـــــي يُســـــعِدُهُ

يُبْعِـدُنِي قَـدَري عـن وَصْـلِ الـْـ ... ـــمَحبوبِ ، وعنِّـــي يُبْعِـــدُهُ

فأبِيـــتُ وقَـــدْ أوحِـــشَ لَيْلِـــي ... ونَـــأي مَـــنْ قَلْبـــي يُنْشُـــدُهُ

أتَقَلَّـــبُ فيـــه عـــلى جَمْـــرٍ ... حـــامٍ ، وحَنينـــي مَوْقِـــدُهُ

تَجْتـــاحُ الحُرْقَـــةُ أيَّـــامِي ... ويُـــذيبُ القلْـــبَ تَنَهُّـــدُهُ

لا يَفْـــتَحُ لِي أمَـــلي بابًـــا ... إلاَّ والفُرْقَـــةُ تُوصِـــدُهُ

يُرْهِقُنِـــي الهَجْـــرُ ويُجْهِـــدُنِي ... وَيَلـــوعُ الخِـــلِّ ويُجْهِـــدُهُ

يُسْـــتَهْلِكُ أحْـــلامَ العُشَـــا ... قِ ، ويُشْـــقِي العُمْـــرَ ويُفْسِـــدُهُ

رِفْقًـــا يـــا لَيْـــلُ بمـــنْ لَبِثـــتْ ... نيـــرانُ الوَجْـــدِ تُهَـــدِّدُهُ

خِلِّـــي ، والبَـــدْرُ بِطَلْعَتِـــهِ ... أبْهَـــى مـــن بَـــدْرِكَ مَشْـــهَدُهُ

يَتَثَنَّـــى الغُصْـــنُ بقامَتِـــهِ ... وَيَشُـــوقُ القلْـــبَ تـــأوّدُهُ

تَجْـــري الأطْيـــابُ بِعُـــودِ الـــوَرْ ... دِ ، إذا مـــا مَسَّـــتُهُ يَـــدُهُ

(1) من ديوان «مسافر في القفار / الكويت 2004 / ص123.

هُــوَ مَعْنَــى الحُــبِّ وصُــورَتُهُ ... وَوَحِيــدُ الحُسْــنِ ومُفْــرِدُهُ

هُــوَ فِي صَــحْرائي واحَتُهــا ... وبِلَــيْلِي الــدَّاجي فَرْقَــدُهُ

إنْ غــابَ حَبيــبُ القلْــبِ لِمَــنْ ... يَشْــدُو فِي الــرَّوْضِ مُغَــرِّدُهُ

وَلِمَــنْ يــتلألأُ بَــدْرُ اللَّيْــ ... ــلِ ، ومَــنْ بــالنُّورِ يُــزَوِّدُهُ

وَيطُــولُ الشَّــوْقُ إلى قَمَــرٍ ... فِي وَجْــهِ حَبيبــي مَوَّلِــدُهُ

يــا قَلْــبُ مَتَــى يَبْــزَغُ فَجْــري ... ومَتَــى يَرْتــاحُ مُسَــهَّدُهُ

جنيف (سويسرا) بلعشمية (لبنان)

2001 /9 / 13- 7 /21

طيف الحبيب[1]

كُلَّمـا حاولـتُ أنسَـى طيفَهـا ... عانـد الطَّيْـفُ وأنْسَـانِي الرُّقَـادْ
وأظـلُّ الليـلَ أشـكو طوَلـهُ ... فَتَمـلُّ السُّـهدَ عينِـي والوسَـادْ
وَيَمَـلُّ السُّـهدُ لَـيلى كلِّـهُ ... فَينـاِجي طيفُهـا لُـبَّ الفـؤادْ
وُينيـرُ الليـلَ قِنـديلُ الهـوى ... ويَشـعُّ الحـبُّ مـن كـلِّ الوهـادْ
وتُـدَوِّي فرحتِـي مُعلِنـةَ ... عـن لقـاءِ كنـتُ أرجـو أن يُعـادْ
وسَـتمْلاَ نَشْـوَتِي سـاعتَها ... كـلَّ أجـواءِ السَّـما في كـلِّ وادْ
ويعـود الحـب كـالراح إذا ... عتقـت أعنابـه ينسـى البعـادْ
هـي أحـلام الهـوى يـا ويلنـا ... عنـدما نصـحو وينسـانا الرقـادْ

مدينة سيدي براني - الحدود المصرية

أول فبراير 1974 .

(1) من ديوان أغنيات الفيافي / الكويت 2017 / ص 47 .

الذكريات الغالية(1)

أنـــــتِ أغلَـــــى ذكريـــــاتِي ... أنـــــتِ أحَـــــلى أُمْنِيـــــاتِي
أنـــــتِ يـــــا كـــــلَّ حيـــــاتِي ... كـــــلُّ آمـــــالِي وذاتِـــــي
هِمْـــــتُ فيـــــكِ يـــــا شَـــــبابي ... ومَشِـــــيبِي وحَيـــــاتِي
لم يـــــزلْ حُبُّـــــكِ يســـــري ... بِعُروقِـــــي كالحيـــــاةِ
أنـــــتِ يـــــا أشـــــهى حبيـــــبِ ... عَاهِـــــدينِي للمَمـــــاتِ
حبُّنَـــــا يبقَـــــى عزيـــــزًا ... رغـــــمَ كيـــــدِ العَاديـــــاتِ
لا تُبَـــــالِي بِعَـــــذولٍ ... لامَنَـــــا حتَّـــــى الممَـــــاتِ
يـــــا عَـــــذُولِي كُـــــفَّ عنِـــــي ... وَلْتَـــــدعْنِي لِسُـــــبَاتِي
أنَـــــا لا أرغـــــبُ صَـــــحْوًا ... لا يُـــــوافِقِني بـــــآتِ
فيـــــهِ تَحقيـــــقُ الأمـــــانِي ... فـــــوقَ كـــــلِّ المُعْضِـــــلاتِ
ابتعـــــدْ عنِّـــــي عـــــذولي ... حـــــينَ تَلقـــــانِي فَتَـــــاتِي
واقتـــــربْ منـــــي إذا مـــــا ... آذنَـــــت دعـــــوى الشَّـــــتاتِ
إنَّ لَومًـــــا منـــــك يجلـــــو ... كـــــلَّ هَمِّـــــي وأَسَـــــاتي
لا تُصَـــــدِّقْنِي عَـــــذُولي ... فَغِنـــــائي وصَـــــلاتي
لِحَبيبـــــي فَهْـــــوَ يَـــــدْري ... إنَّـــــه كـــــلُّ حيـــــاتي

(1) من ديوان «أغنيات الفيافي / الكويت 2017 / ص34 .

كنج مريوط – الإسكندرية 8/ 12/ 1974

نداء العمر(1)

يَـذكَّرنِي الرَّبيـعُ بزهـوِ عُمْـرِي ... غـداةَ القلـبُ نـوَّرَهُ الرَّبيـعُ
وأسْـعَدنِي التَّـنَعُّمُ في ليـالِ ... شَـذاها مِـن جَنائِنِـهِ يَضُـوعُ
وتحتَ نـواظِرِي مـن كـان حِبِّـي ... يَطيـبُ بـه التَّدَلُّـهُ والولـوعُ
تَزيـدُ مَلاحـةً إمَّـا تَثنَّـتْ ... وَزَيْـنَ دلَّهـا ذوقٌ رفيـعُ
فَـأحلامٌ وأخْيلَـةٌ غرامِـي ... بهـا والحـبُّ عالمُـهُ وسـيعُ
بـهِ أيامُنَـا تحلـو وتَغـدو ... كمـا نهـوى ، وعَاصِـيها يطيـعُ
تَشـوَّقَ حاضـري بغيـابِ أمسـي ... إلى عهـدٍ زهَـتْ فيـه الرُّبـوعُ
وأوحَشَـتِ الـدِّيارُ فـلا حبيـبٌ ... ولا ليـلُ تضـاءُ بـه الشُّـموعُ
زمـاني – بعـدّ أن ولِّيـتُ – عُمـرٌ ... تسـيلُ عـلى مُفارقِـةِ الـدُّموعُ
أأيـامَ الرَّبيـعِ فـداكِ عمـري ... أمـا لِنَسـيمكِ الشَّـافي رجـوعُ؟
لِنُرْجِـعَ ماضـيًا نصـبو إليـهِ ... غـداةَ القلـبُ نَـوَّرهُ الرَّبيـعُ

غرناطة(الأندلس)

12/ 4 / 2007

(1) ديوان أغنيات الفيافي / الكويت / 2017 / ص106 .

الربيع الضُّحوك (1)

بَدَتْ شَمسِي وقدْ أرخَتْ جُفونَا ... كأنَّ شُعاعها يرنُو لأمسي

بعَيْنِ كادَ يُثقِلُها سُهَادٌ ... أَقَضَّ مَضاجِعَ الَّذكرى لهمسي

أأيامِي .. ويا فجرًا بعُدنا ... أما مِنْ عَودةٍ لرفيقِ نفسي ؟

فقدْ ضاقتْ بروحِي أُمسياتي ... ولَيْلِي باعَنِي واهًا ببخْسِ

وعمري ينطوي والثقل فيه ... كأن سنينه ملأى ببؤسِ

وكادت وحدتي تكسي بحزنٍ ... وإن الحزن يقذفها بنحسِ

ولكنَّ الرَّبيعَ أتِي ضَحُوكًا ... تُعَانِقُهُ الوردُ عِنَاقَ عُرْسِ

وتعبَقُ مِنْ ثَنايَاهُ عُطُورٌ ... أعادتْ للحياةِ فَتَى بحِسِّ

وشَمسِي أشرقَتْ إشرَاقَ نُورٍ ... أتَى بالبهجَةِ الأولى لِشَمسي

لأنَّ القَلبَ حَرَّرهُ اصْطِبَارٌ ... مَضتْ أعوامُهُ فقضى بيأسِ

وإنَّ الصُّبْحَ ردّدَهَا مِرارًا ... سنينُ العُمر أمْضوها بِأُنْسِ

كوبنها غن

1982 /8 /25

(1) من ديوان: أغنيات الفيافي/ الكويت 2017/ ص101.

العمر الضائع (1)

ذَكرتُــكِ والليَــالي حَالِكــاتٌ ودربُــكِ يمــلأ الــدَّنيا اتَســاعَا
رأيتُــكِ في ســماء الكــونِ نــورًا ووجــدِي زادَهُ الشِّــوقُ الْتِياعَــا
حَسِبْتُ الحِبَّ يرأَفُ بــي لِصَبري ولكــنَّ الشَّــتاتَ أبَــى اجْتِماعَــا
ســألتُ الله يجمعَنــا بقــربٍ كفَــاهُ البعــدُ عمــرًا قــد أضَــاعَا
وصــبري تســأمُ الأيــامُ مِنْــهُ كمــا ســئمتُ ليــاليَّ ارْتياعَــا
لحالــكَ الله يــا صــبري فَصَــبرًا ســنونَ الصَّــبْرِ قــد ولَّــتْ تِباعًــا
فــإنَّ الأربعــينَ مضــتْ وغابــتْ وليــلُ البُعــدِ قــد طــرد الشُّــعَاعَا

1991 /7 /30

(1) ديوان أغنيات الفيافي / الكويت 2017/ ص105.

وشعّت الأنوار[1]

جـاء الحبيـبُ فَشَـعتِ الأنـوارُ ... وتَرنَّمـتْ بمجيئـهِ القِيثَـارُ
وتفتَّحـتْ مزَّهـوةُ بقدومِـهِ ... زَهِـرُ الـورودِ وهَلَّـتِ الأمطَـارُ
وَتَلألأتْ في خافقي بشري المُنى ... فَتَلاشـتِ الأحـزانُ والأكـدارُ
رفَّ الحمَـامَ مُغْنيًـا بهديلـهِ ... فَتَراقصَـتْ برَفيفِـةِ الأطيـارُ
يـا فرحـةَ القلـبِ الكليـمِ وسعدَهُ ... فلْتمْـرَحِ الأشـعارُ والأوْتَـارُ
ويُصَفِّقِ الـرَّوضُ الجميـلُ ووردُهُ ... وتَـرفَّ أجنحـةُ الفَـراشِ تَغـارُ
فأهْنـأْ بعْرسِـكَ يـا عزيـزًا رَحبَـتْ ... بعروسِـكَ الأيَّـامُ والأقمـارُ

سوفرنيه – فرنسا

حزيران 2113

(1) من ديوان «أغنيات الفيافي/ الكويت 2017 / ص85 .

عبد العزيز سعود البابطين

في قلوب الشعراء!

النصوص الشعرية

■ إبراهيم عيسى(*) (1)

قطرة نور(2)

مـــن النيـــل جئـــتُ إلى المغـــربِ ... مشـــوقًا إلى البلـــد الطيـــبِ
إلى ســـجدة النـــور في مســـجدٍ ... بـــه نفحـــة الطهـــر مـــن يثـــربِ
وتشـــمخ هامـــاتُ كـــل المـــآذ ... ن تلمـــسُ تســـبيحة الكوكـــبِ
ولمـــا أتيـــتُ توضَّـــأتُ بالحُبـــ ... ـــب صـليتُ بالشـوق لم أُحجـبِ
وأصـــبحتُ قطـــرةَ نـــورٍ عـــلى ... جبـــين صـــباح نـــدىً صـــبي
وفي الأفـــق ســـبَّح كـــل شـــعاع ... فأشـرق وجـهُ الـدُّجى المطـرب
وينشـــق فجـــر ولـــودٌ عـــلى ... شـــموخ مـــن الـــدأب المنجـــب
فأحسســـت بـــين ضـــلوعي طيـــرًا ... تغنـــى .. وتقفـــز فـــوق الرُّبـــي
وغـــرد شـــعري لـــدى أمـــةٍ ... تضـــيء الصـــدارة في الموكـــبِ
وفي نايهـــا للبطـــولات لحـــنٌ ... حـــداة الضـــياء لـــه تجتبـــي
تـــراب بـــلادي ســـماء مـــنَ المجـــ ... ـــد تشـرق بالحـب في المغـرب

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الأول/ ص70.

(1) شاعر من مصر ولد سنة 1927، وتوفي عام 2000م ، وانظر ترجمته في معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ، 1/ 210.

(2) القصيدة في دورة أبي القاسم الشابي ، التي عقدت في مدينة فاس – المملكة المغربية عام 1994م تحت رعاية صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله .

وكـــل بـــلاد العروبـــة أرضـــي ... ونبضي .. وعرضي.. لهـا مـذهبي
بـــلاد العروبـــة مهـــدُ القداســـا ... ت أرضُ البطولـــة والغُلـــبِ
إذا ألحـــد الليـــلُ مـــن حولنـــا ... جـــذبنا ســـنا الفجـــر لم نرهـــب
ألم تـــر أنـــا كمـــوج الضـــحى ... إذا غـــرب النـــور لم نغـــربِ؟
وفـــوق مخالـــب صـــحرائنا ... عرسْـــنا ربيـــعَ الهـــدى المعْشِـــبِ
وعنـــد الهجيـــر قطفنـــا الظـــلالَ ... أدرنـــا الليـــالي إلى الأصـــوبِ
فليـــت لنـــا ســـطوة الغيـــب حتـــى ... نقـــيم رخـــاء الضُّـــحى المخصـــبِ
ونمشـــي عـــلى الليـــل مشـــي الضـــياء ... ونبـــذل كالمنهـــل الأعـــذبِ
ونبـــذرُ فـــوق النفـــوس وِدادًا ... يضـــمُّ الشـــبابَ مـــع الشُّـــيِّبِ
ولمـــا أتيـــتُ إلى شـــاطيءٍ ... عليـــه خُطـــى الـــزمن المعجـــبِ
أكـــاد أرى طـــارق بـــنَ زيـــادٍ ... يمـــرُّ مـــن الصـــعب للأصـــعبِ
ويبنـــي بأنـــدلس أمـــةً ... موحـــدة الـــدين والمـــذهبِ
لأنـــك يـــا بلـــد الفـــاتحين ... كبيـــرٌ العزيمـــة والمـــأربِ
ســـلام عـــلى وطـــن الأكـــرمين ... عـــلى قمـــم المجـــد في المغـــرب
ســـلام عـــلى كـــل بلبـــل شـــعرٍ ... شـــدا.. فاســـتثار رؤى الكوكـــبِ
عـــلى مـــن أضـــاءَ حـــروفَ القصـــيد ... عـــلى مبـــدع الشـــعر .. والمعجـــبِ
ولـــولاك يـــا بـــابطينُ انفرطنـــا ... كعقـــدٍ تنـــاثرَ في غيهـــبِ
ولـــولاك مـــا احتشـــد الشـــاعرونَ ... عـــلى الأخ في وُدِّهِ والأبِ
ســـلام علـــيكم.. ســـلام علينـــا ... عـــلى الحـــبِّ في البلـــدِ الطيِّـــبِ

■ أحمد غراب(*) (1)

المرايا

أنطفـــي ومرايـــا الشـــوق تشـــتعلُ ... هل خاصمتنا الرؤى؟ أم خاننا الأملُ؟
سـلطانة القلـب قـد صـارت حكايتنـا ... طفلاً جريح الخطى ضاقت به السـبل
قـد أوشـك الحلـم أن يخبـو ويتركنـا ... قصـيدة لـيس تـدري كيـف تكتمـل
تكلمـــي إن في عينيـــك أســـئلةً ... تبكـي بغيـر دمـوعٍ .. كيـف أحتمـل؟
إن الســـكوت ســـكاكين تمزقنـــي ... فهل تبـوحين أم تاهـت بـكِ الحِيـل؟
لا تـدخلي اليـأس، مـاذا أنـت عاشـقةٌ ... هل يقتلُ العشـقَ إلا اليـأسُ والملـل؟
لمـا ارتعشـتِ شـتاءُ الخـوف هـاجمني ... ومن عروقي تـوارى الشـوق والغـزل
مـا زال للخـوفِ جُـرحٌ في جوانحنـا ... لا تنكئـي اليـوم جرحًـا لـيس يندملُ
حبيبتـــي أنـــت فاســـترخي بـــأوديتي ... صـيفًا رضـيعًا عليـه العشـبُ والبلـلُ
مـا زلـتُ أهـواكِ أصـدافًا تؤانسـني ... وشـاطئًا مـن زمـاني فيـه أغتسـلُ
أنـــا المغنـــي فكـــوني دفءَ أغنيـــةٍ ... منـــي إلى ريشـــها الصـــيفي أنتقـــلُ

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الأول/ ص100.

(1) أحمد غراب، شاعر من مصر، مواليد عام 1952م، وانظر ترجمته في معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، 1/ 360.

لا تسألِيني لماذا.. وامسحي رئتي ... من الرماد الذي ما زال ينهملُ
صهرتُ عمري حروفًا فانصهرتُ على ... نارِ القصيدة أغلى وهي تشتعلُ
وكان للفكر حربٌ داخلي وأنا ... في كل يوم بجلدي يرتمي بطلُ
نعم نسجتُ رموشَ الشهب ملحمة ... ما بشرتْ قبلُ للرؤيا بها رسلُ
وكانت الشمسُ ترمي تحت نافذتي ... جدائل الصبح ترنو كيف تنغزلُ
فأستحث شراييني وأوردتي ... وأمتطي جبهتي التعبي وأرتحلُ
وأنبش البرق بحثا عن شعاع رؤى ... لا ينحني كالثواني حين تكتهل
في شعوذاتٍ الدجى أبنيه أخيلة ... قد توهمُ الوهم أن الليل يبتهل
أصوغه بيت شعر لا يموتُ له ... صدى ولا ينطفي من حوله جدل
وكم عبرتُ حدودَ المستحيل وكم ... دخلت وكر الخفايا قبل من دخلوا
لكن رجعتُ دخانات وأبخرة ... تقتاتُ موقدها الدامي وتقتتل
حتى التقيت بمن في جدب أزمنتي ... بالحب أمطرني فاخضوضر الأمل

***

عبد العزيز سماءٌ لا غيوم بها ... فيها الكواكب لكن ما بها زُحل
وفيه تدري بأن الأرض ما عقمت ... من الرجال ولا استعصى لها الحبل
في طيبة الأرض إلا أنه بشر ... يرق كالسهل إلا أنه جبل
لو لم يكن في حنايا الطهر صومعة ... لقالت الشمس: هذا في فمي قبل
فردٌ ويبدو شعوبًا لا عداد لها ... كأنه وحده من نفسه دولُ
فيه انفساح المدى لو رحت تعبره ... لا نهاية قد تعدو ولا تصل

تكـــاد تحســـبه مـــن فـــرط رقتـــهِ لـو مـر في لهـوات الخلـق مـا سـعلوا

***

(ابـا سـعودٍ).. شـفيتَ اليـوم قـافيتي من بعد ما سـافرت في لحمهـا العلـل
بعض الأنام ندى والبعض عشبُ ربُّـي وأنـت بينهمـو الصـيف الـذي نزلـوا
لـو كـان للحـب وجـهٌ كنـت أنـت لـه جبينُـه الطهـر والأجفـان والمقـل
ولست ممـن ضـبابُ الـوهم سـلعتهم لكنـك الفكـر والأخـلاق والمثـل
مـــروءة ونقـــاء واخضـــرارُ يـــدٍ كأنـــك الـــدين أو أيامـــه الأول
أعشبت حقل القـوافي بعـدما ارتحلـت عنـه الجـداول واسـتدنى لـه الأجـل
فكـــلُّ قافيـــةٍ بالشـــوق صـــادحةٌ فمنـك تشـدو وعـن نجـواك ترتحـل
أنـت الرجولـة في أصـفى ملامحهـا كمْ مـن رجـالٍ ومـا في جلـدها رجـل
لـولا العروبـة إخـلاصٌ وتضـحية فأنت وحـدك في هـذا الـورى الرجـل

■ أحمد محمد آل خليفة(*) (1)

حملت عبء القوافي

أبـا سـعودٍ وقـد أزمعـتُ للسـفرِ ... أقـدمُ الشـكر في نفـح مـن الزهـرِ
إنـا رأينـاك نبراسًـا بكـل دجـى ... فأنـت للصـحب في الظلمـاءِ كـالقمر
إن اجتهـادك ربـي لا يضـيعه ... والله يعلـم مـا يخفـى عـلى البشـرِ
ووجهـك الطلـق للأصـحاب مؤتلـق ... فـلا نحـسُّ بقـربٍ منـك بالضـجرِ
حملـتَ عـبءَ القـوافي وهـي مرهقـةً ... حتـى تقطـع منـك النـوم بالسـهر
بـالله هـذا (عكـاظٌ) في مواسـمهِ ... أو (مربدٌ) (1) عاد بالخافي من الصور
فللقـوافي رنـينٌ في محافلـه ... كأنما الطيرُ تشدو اللحـن في الشـجرِ
مـاذا أقـول وشـعري لـيس يُسـعفني ... لوصـفِ ممـا أراه اليـوم بـالنظرِ
أرى المواكـب بالأفـذاذ حاضـرةً ... وأمـة الشـعر مـلء السـمع والبصـرِ
مواكب الشعر مـن كـل الفجـاج أتـت ... وكـان هـذا لعمـري منتهـى القـدر

***

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الأول/ ص7.

(1) الشيخ أحمد محمد آل خليفة شاعر من البحرين ، ولد عام 1929م ، وتـوفي عـام 2004م ، وانظـر ترجمته في معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين: 1/ 374.

(2) المربد: سوق من أسواق العرب القديمة في مدينة البصرة ، كانت تقام فيه مبـارزات في الشـعر بـين جرير والفرزدق ، وكان هذا السوق سوقًا للإبل ، فسمي بالمربد.

أبـــا ســـعودٍ لقـــد حققـــت معجـــزةً بالشـعر أغـلى مـن المرجـان والـدرر
أحييتـــه بعـــدما طـــال الرقـــادُ بـــه والشعر كالتبر قد يصـفو مـن الكـدر
إني لأســـــمع للأمـــــوات همهمـــــةً تكـــاد أصـــواتهم تـــأتي مـــن الحفـــر
لأنهـم مـن فعـالٍ منـك قـد شـعروا والميـتُ كـالحيِّ قـد يرتـاحُ للخبـر
أبـــا ســـعودٍ تحيـــاتي أقـــدمها إليـك قبـل ارتحـالي اليـوم للسـفرِ

■ سليمان الجار الله(*)

شاعر الوجدان(1)

يـــا شـــاعر الإحســـاس والوجـــدانِ ... يا مـن يغـوص عـلى غريـب معـانِ
عبـد العزيـز ومـا نظمـت مـؤخرًا ... كلـم أعـاد لنـا القـديم الفـاني
جـددت عهـد ذوي الصـبابة والهـوى ... ممـن مضـوا في سـالف الأزمـانِ
تـــأتي لنـــا بـــالمفردات غرائبًـــا ... لا غـرو إن طـال المـدى شـهران
تصف الهوى والشوق وصف مجربٍ ... أودى بـه شـوق وحـب جـاني
أنـا حـائرٌ فيمـا تقـول ومعجـب ... بـك أنـت يـا كنـز القـوافي البـاني
إني لأعجـب كيـف يـأت بمثلهـا ... مـن كـان مثلـك دائـم اللهفـان
لـن يسـكت الـواحي بقربـك لحظـةً ... مـن كـل صـوبٍ هاتفًـا بأغـاني
هنـا يقـول الشـعر فيـك مرحبًـا ... بك أنت دون الناس خصَّـك عـاني

***

وهنـاك ثمـة شـاعر بـك حـائر ... يـأتي بشـعرٍ راقـصِ الأوزانِ

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الأول/ ص254.

(1) سليمان الجار الله الحسن الجار الله : شاعر كـويتي (1926-2014) نشـرت القصـيدة بالمجلـد الرابع من ديوانه : ص252/ والقصيدة مؤرخة في 22/ 4/ 2000م.

ويقول أين «جميل»[1] أيـن «كُثيِّـرٌ»[2] والبـدو أهـل الإبـل أهـل الضـان

مـن شـاعرٍ عـرف الحضـارة كلهـا وكـذا البـداوة فهـو كالربـان

مـا شـاء ربـي لا يكـل مسـافرًا للشـرق بـل للغـرب لـيس بـوان

فـوق السـحاب مقـره متنقـلٌ بالشـعر ينشـره بكـل مكـان

إن قيـل أيـن السـندباد فقـل لهـم هـذا هـو المشـتاق ذو الألحـان

يهـوى الغِنـا ويهـزه ويذيبـهُ نغـمٌ يحـرك كـامن الأشـجان

رجـلٌ إذا مـا فـاه في رنانـةٍ جـذب القلـوب لشـاعر الوجـدان

والشـعرُ في أنفاسـه متجسـمٌ فيمـا يقـول كطـائر الأفنـان

قـل لـلألي نظمـوا القـريض تـأملوا في الشـعر في الأنغـام في التبيـان

إن كـان للشِّـعرِ القـديم حـلاوةً فلشـعرِه شـهدٌ حَـواه الجـاني

مـا عـاش في ماضـي القـرون وأهلِهـا بـل عـاشَ في عصـرٍ غريـبٍ ثـانِ

إني لأعجـبُ للصـحافة عنـدنا مـن نشـر شـعرٍ وهـو كالهـذيان

أَوَ ذا يُعـدُّ قصـائدًا يرضَـى بهـا أهـل النُّهـى والعلـم والعِرفـان

تـاللهِ لا يهفـو لـه ذو فطنـةٍ إلا ويشـعرُ منـه بالغثيـان

فاعـذرْ أخـاك أبـا سـعود إنْ أتـى بعجالـةٍ في شـعره الإخـواني

(1) جميل بثينة (....- 82هـ) شاعر أموي .

(2) كثير عزة، شاعر أموي، توفي في المدينة المنورة .

■ جميل ميلاد الدويهي(*)(1)

تحية إلى البابطين(2)

تحيـة الشـوقِ يـا أهـل الكويـت، ومـا ... مثـل الكويـت نـرى أهـلاً وجيرانـا
تروى العروبـة عـن أفضـالهم قصصًـا ... فـإن في أرضـهم للخيـر عنوانـا
هـم الأبـاة، الحمـاة المجـد مـن قـدمٍ ... ولا يهـابون أعـداء وعـدوانا
ويـذكرُ النـاسُ في التـاريخ أنهـم ... مـن جـارهم شـربوا مـرًا وأحزانـا
وقـد غضـبنا لهـم، فالخطـبُ أوجعنـا ... والنـزفُ افجعنـا، والجـرح بكانـا
لكـنهم خرجـوا مـن موقـف جلـل ... إلى الميـادين أبطـالاً ، وفرسـانا
كمـا الصـقور إلى الأجـواء صـاعدةً ... تقبل الشمس ، والفجـر الـذي بانـا
فحـرروا أرضـهم والأرضُ مـن ذهـبٍ ... وأرجعوا البيتَ ، والعز الـذي كانـا

***

يـا بـابطين، لقـد أبـدعت في زمـنٍ ... من الجفاف، هزيل الفكـر، أعمانـا
فالنـاسُ في قلـقٍ، والحـربُ دائـرةٌ ... في كل شـبرٍ، ومـا ارتاحـت مطايانـا

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الأول/ ص148.

(1) جميل ميلاد ، شاعر لبناني من مواليد زغرتا عام 1960م ، حاصل على درجة الدكتوراه في اللغة العربية، وانظر ترجمته في معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، 8/ 246.

(2) القصيدة مؤرخة بـ27/ 1/ 2013م ، جامعة سيدة اللويزة – لبنان .

سـيف لسـيفٍ، ورمـح طـالعٌ أبـدًا ... وقـد غرقنـا جميعًـا في خطايانـا
لكنمـا الشـعر نـورٌ، كيـف نطفئـه؟ ... وكيـف ننسـاهُ في عصـرٍ ، وينسـانا؟
تراثنا الحـبُّ كـم في الحـبِّ مـن عِبـرٍ! ... والحب دينٌ، ولـيس الحـبُّ أديانـا
أنـت الزرعـت لنـا حقـلاً ، ففـي يـدنا ... خيـرُ المواسـم تفاحًـا ، ورمانـا
يـا عاشـق الفكـر، أنـت الفكـر حاملـهُ ... إلى الشـعوبِ، وقـد نـورت دنيانـا
كتابـك السـحرُ، لا حبـرٌ عـلى ورقٍ ... بـل فيـه يرتفـعُ الإنسـانُ إنسـانا

***

ما الشعرُ؟ عزفٌ على الأوتـار.. زقزقـةٌ ... أو إنـهُ البحـرُ أبعـادًا، وشـطآنا!
إذا يَـرقُّ، فمثـلُ العطـر نسـمتُهُ ... ولـو تمـرَّدَ، صـار الحـرفُ بركانـا
حبيـبُ روحـي، إذا فارقتُـه، سـكتتْ ... رُوحي، وصرتُ فقيرَ الحالِ، عريانا
ولستُ أمشي على دربـي، ولـيس معـي ... نـورُ القـوافي، وإلا ضِـعتُ أزمانـا
إني عشقتُ الكلامَ العذبَ مـن صِـغَري ... ولو أموتُ، ارتـديتُ الشِّـعرَ أكفانـا
أنـا الـذي تُشـبهُ الأبيـاتُ قامتَـهُ ... أنـا الـذي يجعـلُ الصـحراءَ بُسـتانا
فكيـف تُهمِـلُ أشـعاري، وتَجْهـلُ أنْ ... علّمتُ للطيرِ فـوقَ الغصـنِ ألحانـا
يـا مَـنْ جمعـتَ مِـن الأسـماءِ طائفـةً ... نَسـيتَنِي فمـلأتَ الكـونَ نِسـيانا

***

يهـديكَ لبنـانُ مـن أَرْزٍ لـه خَضِـرٍ ... عبيـرَهُ فاقْتَبِـلْ منَّـا هَـدايانا
يُهـديكَ سـيفًا جمـيلاً مـن قصـائدِه ... وكوكبًـا في سـماء الفكـرِ جَـذلانا

فما النياشينُ تُعطَى للذي سَكبتْ ... يَداهُ في زئبقِ الغاباتِ ألوانا

كان الكلامُ سخيفًا ولا جودَ له ... فأنت أعطيتَهُ خَيْلاً ومَيدانا

كانت قصائِدُنا كالليلِ عابسةً ... فأنتَ حوَّلتَها وردًا وأغصانا

قالوا عن الشاعر المسكينِ : كم لَعِبتْ ... به المقاديرُ حتى صار شيطانا!

وأنتَ قلتَ: له سِفرٌ يُخلِّدهُ ... وقد جعلنا له في الأرضِ سُلطانا

هو الذي سحرُهُ فاقَ الخيالَ فقد ... كنا نعيشُ بلا روحٍ ، فأحيانا

■ جورج شدياق(*) (1)

على جناح الأماني(1)

على جناحِ الأماني طارَ مغترب ... يحدو به رغم أعباءِ المدى أربُ
لبيتُ يا إخوتي بالحب دعوتكم ... والقلبُ بين حنايا الصدر يضطرب
أتيتكم وفؤادي كاد يسبقني ... أما ترونه من ثنيِّ الحشا يثب
أعليتم أدبي شأنًا ومرتبةً ... فهل أعدتْ لمثلي هذه الرُّتب
قد كنتُ أحسب أن البُعد غيَّبني ... ثنى المجاهل واستزرت بي النُّوب
جهد المقل.. فهل أجزى على أدبٍ ... نَزْرٍ يبررُ ما أعطى وما أهب
عفوًا إذا خانني من خوفهِ قلمٌ ... أو هي عزيمتهُ بعد النوى تعب
علام أحيا.. ولكن ليس من لغتي ... يراعتي من مآسي الهجر تنتحب
شعري له نكهةُ الفصحى وقافيتي ... يزينها التمرُ والزيتونُ والعنبُ
من روضةِ الأدبِ الصافي عوارفُهُ ... من كل حرفٍ عطورٍ الضاد تنسكب
رغيفُ خبزٍ وبعض الشعر يشبعني ... لم يغرني أبدًا درٌّ ولا ذهب

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الأول/ ص156.
(1) جورج يوسف شدياق سوري مهجري مقيم بأمريكا اللاتينية. ولد في حلب سنة 1948م.
(2) نظمها الشاعر لمناسبة عقد الدورة الثانية عشرة للمؤسسة في سراييفو.

تبًـــا لأذنٍ رنـــينُ الفلـــس يطربهـــا ... فليبق لي مـا حييـتُ النـايُ والقصـبِ
نعم هجرتُ الحمى لا عن رضىً قسمًا ... أسمى حبيبـين عنـدي: الله والعـرب

***

أكـــرمْ بمكتبـــةٍ ضـــمت نفائســـنا ... الشعرُ فيهـا عزيـز الشـأن والأدب(1)
رفعـتم الصـرح والأجيـال شـاهدةٌ ... لسـوف تـذكر مـا أعليـتم الحقـب
أنـــرتُم بشـــعاعِ الفكـــر موئلهـــا ... فغـاب عنـا ظـلامُ وانطـوتْ حُجُـب
أثنـى عـلى جهـدكم والأصـغرانِ معـي ... أمـا يضـم عُرانـا الأصـلُ والنسـب
مـــن ذا يمـــدُّ إلى ذاك التـــراثِ يـــدًا ... وأنـــتمُ أنـــتمُ أعلامـــهُ النُّجُـــب
هـــذا هـــو الأثـــرُ البـــاقي لمعجـــزةٍ ... أعطيتموهـا مـن الأحنـاء مـا يجـبُ
بالســعي أحــرزتم الأمجــاد قاطبــة ... فالمجد بالسـعي لا بـاللهو يكتسـبُ
تراثنـــا الغُـــرُّ نـــورٌ يستضـــاءُ بـــهِ ... مـن الكويـتِ تطـلُّ الأنجـمُ الشـهب
ســـواعدُ شـــيَّدت للشـــعر مملكـــةً ... كبـرى، فلـم يثنهـا وهـنٌ ولا نصـب
للبـــابطين أيـــادٍ لا كفـــاء لهـــا ... يسـمو بهـا التوأمـان العـزُّ والغلـب
هـذا النميـرُ المصـفى مـن منـاهلكم ... يجري، فهل غاض يومًا منهلٌ عـذب
أعليـــتم رايـــة الآداب عاليـــة ... فـثمَّ فـوق الـذرا الشـماء تنتصـب
بـــوأتمُ شـــعراءَ الضَّـــاد منزلـــةً ... علويَّـةً، وطـأتْ أعتابهـا السُّـحب
قـد أرخصـوا للقـوافي ألـف غاليـةٍ ... عصارة القلبِ ما أعطـوا ومـا سـكبوا

(1) مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي بالكويت .

لقد فتحتم لهم صدرًا يليق بهم ... ما ضاق بالشعر صدرٌ واسعٌ رحب
هذي النفائسُ إرثٌ من قرائحهم ... لم يغرهم أبدًا جاهٌ ولا لقب
نمنمتمُ لعيون الشعر جائزة ... أرضى العروبة هذا العطفُ والحدب
عرائس الضادِ جذلى من مآثركم ... يهزها المترفان الزهوُ والطربُ
للبابطين أماني العمر قاطبةً ... يزُّفها مع طيوبِ الحبِّ مغترب
إلى الكويت تحياتي معطرةً ... فالحبُّ ثنى حنايا أضلعي لهب

***

أبا مُحسَّدَ ساحُ الشعر شاغرةٌ ... فكل فرسانها الأقحاح قد ذهبوا
أتبسمُ الضاد مذ أزرى بها هذرٌ ... أصيلها من مآسي الحرفِ مكتئبِ
ثغرُ البلاغةِ قد غاضتْ بشاشتُهُ ... ووجهها بالجديد الغثِّ مُنتقب
أين البحورُ التي أغنتْ قصائدنا ... هذا الحديثُ دخيلٌ ما له نسب
أخشى على اللغةِ الفصحى وقد عبثتْ ... بها مآربُ شتى ما لهنَّ أب
من ذا تبنى بلا وعي طلاسمهم ... وكيف نرضى بما خطُّوا وما كتبوا
للشعر موعدُ وصلٍ مَع أصالتهِ ... أراهُ رغم عثار الدربِ يقترب
نحنُّ للشعرِ يحيينا وينعشنا ... كما يحنُّ إلى قطر الندي العشبُ
يا ربِّ لي عودةٌ أنعمْ عليَّ بها ... فالمرءُ يقضي التياعا حين يغتربُ
قد نلتقي في ربوع البابطين غدًا ... فَينجلي عن فؤادي الغمُّ والكُرَب
أهوى الكويتَ فأهلي في مرابعِها ... لا لن تغارَ على شدياقها حلبُ

■ خالد الشايجي(*)(1)

البابطين(1)

لقد جئت «يا بوسعودُ»(3) للعلم ... يصيب رواهُ الممطر الوعر والسهلا
لقد جئت في جدب الزمان وأهلهِ ... كما يفعل الودق الذي يمحق المحلا
وإنك ماضي العزم في العلم والعلا ... تشدُّ إلى أعلى مكارمها الرحلا
وتحمل همًّا للعلوم كأنما ... تساءل عن أحمال أكبرها ثقلا
ولا شيء يعلو في العلوم وذكرها ... فعالك هذي الغر والمزن والوبلا
ولو أن في الدنيا حقولاً لعلمها ... لأصبحت في آدابها ذلك الحقلا
أتبغي نجومًا؟ إنما أنت مثلها ... وتبدو إذا ما كنت في نظمها جذلى
الشمس تجري شاغلتك بنورها ... وها أنت في أعلى منازلها نزلا
وهيهات أن يأتي المعالي مسابقٌ ... يعزُّ عليه البذل من ماله بُخلا
وأنتم بني الأمجاد كنتم سلالة ... تعاهدها الرحمن في خلقه رُسلا

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الأول/ ص184.

(1) خالد عبد اللطيف الشايجي، شاعر كويتي، ولد سنة 1944م. له عدد من المقالات والمؤلفات الشعرية والروائية. وانظر ترجمته في معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين: 2/ 46.

(2) القصيدة مؤرخة بـ15/ 1/ 1999م.

(3) «يا بوسعود»، أوردها الشاعر حسب طريقة النطق في اللهجة الكويتية «بُسْعُود»، ومن ثم عوملت نحويًا معاملة الاسم المفرد.

لتصبح بين العالمين منارةً ... وتهدي إلى أرقى شرائعه سُبلا
وحين نبذناها وراء ظهورنا ... غدونا شتاتًا رغم أعدادنا غفلى
تركنا هموم المجد والعلم للعدا ... لنغزل في لغو الحديث المنى غزلا
فجار علينا أقبحُ الناس خلقةً ... أذلهم خلقًا وأحقرهم أصلا
وقد كنتمو من أمة جاد ربُّها ... وأودع سر العلم في فكرها قبلا
فكنتم بناةً للحضارات كلها ... وأول من خط اليراع وما يُتلى
أقامت حضاراتٍ على العلم والهُدى ... وما بطرت حقًّا وما خذلت عدلا
كذلك كانوا ثم جئتم لترتضوا ... بأن تهبطوا من بعد عزتكم رذْلا
فذقتمْ كؤوس الذُّل من سوءِ أمركم ... تخرُّ الجبالُ الشمُّ من عارهِ خَجلى
وإمَّا تقاعستم على الذل والخنا ... فأيامكم بالمبكيات لكم حُبلى
وفينا عقولٌ تزدري بتراثنا ... ولا تقتدي منه بأحسنه فضلا
وما في زوايا عقلها بعض غيرةٍ ... تدافع هذا الجهلَ أو تعمل العقلا
تُسارع في العلم الذي لا يُنيرها ... وتحمل ما يخفي بباطنها الجهلا
وما العلمُ إلا في بناءٍ وهيبةٍ ... وما العلم إلا قبضةٌ تسْحَقُ الذلا
وما ضرنا لو أن للعلم هاجسٌ ... يجدد من أمجادنا غابرًا ولَّى
إذا المال لم يجلب إليك محامدًا ... ولم يتجانفْ فيك للفعلة الفُضلى
ستصبح مذمومًا ويغدو نُفايةً ... تجرُّ إليك الكلبَ والفأر والنملا
وما لك منه غير نُغبةِ طائرٍ ... وما لك منه غير ما ساترٍ يبلى

***

وقــد أدرك البــابطين كيــف يســودُهُ فبـــادره قـــولاً وبـــادره فعـــلا
وهــذا هــو البــابطين قــد قــام بيننــا ليوصل هذا الفـرع في أصـلهِ وصـلا
ويبــذل أجــلَّ العلــم مــالاً وقــدرةً فأين أنـا أو أنـت مـن هـذه الجُلَّـى؟

***

■ محمد التهامي(*) (1)

رنين الشعر

دعـــاني إلى ناديـــكَ أنـــك شـــاعرُ ... تعيشُ على الأشـواق منـك المشـاعرُ
تبيـــتُ مـــع العشـــاق في عـــزة الهـــوى ... وقلبـــك خفـــاق وجفنـــك ســـاهرُ
تـــذوب وأنـــت الطـــودُ حُبًّـــا ورقـــةً ... ويحكـــمُ فيـك الحـب مهمـا تحـاذر
وحســـبُكَ أن القلـــب قلـــبٌ لشـــاعرٍ ... تهـــونُ إذا قيســـتْ عليـــه الجـــواهر
إذا صـــح منـــك العـــزمُ فـــالعزمُ قـــادرٌ ... وإن طاف همس الحـب فالحـب آمـر
ومـــا السَّـــيفُ إلا رقـــة وصـــلابةٌ ... إذا اجتمعـا للسـيفِ فالسـيفُ بـاتر

***

منحـت البـوادي مـن حنانـك همسـةً ... فغـارت وحنـت للغنـاء الحواضـرُ
ولم تـــدرِ أن البيـــد راحـــةُ مـــثخنٍ ... يلـم جـراحَ القلـب والجـرحُ غـائرُ
وُلقـــي بصـــدرِ البيـــدِ تحنـــانَ عـــالمٍ ... يذوب الأسـى فيـه وتصـفو السـرائر

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الثالث/ ص595.

(1) محمد التهامي، شـاعر مصـري مـن مواليـد عـام 1920م ، وتـوفي عـام 2015م. نظـم القصـيدة بمناسبة حفل التخرج الثاني لطلبة دورات تعلم مهارات اللغة العربية وعلم العروض التي نظمتهـا مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبـداع الشـعري في أسـوان بجمهوريـة مصـر العربيـة بتاريخ 3/ 3/ 2007م ، وانظر ترجمته في معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين: 4/ 382.

فيدعو شتات النفس يُصغى لهمسها ... يحاورها حينًا وحينًا يُساير
ويسري نداءُ الشعر عطرًا منغمًا ... فكل نسيمٍ طاف بالكونِ عاطر
تضن البوادي لا تبوحُ بسرها ... وأنت لهذا السرِّ والعطرِ ناشر
تعيش مع الأشعار في عُمق عمقها ... وليس لعمق السرِّ في الشعر آخر
تضيء القوافي في عميق بحورِهِ ... وتنأى فلا يدنو لها مُتشاعر
وأنت وقد أُوتيت في الشعر سره ... تهمُّ إلى مرضاته وتُبادر
وتدري بأن الشعر روحٌ لأمَّةٍ ... إذا دب فيها صالحتها المقادر
ودب دبيب الحب والمجدِ بينها ... فلا تشغلنها عن عُلاها الصغائر
فراحت تهزُّ الشعر تُرضي نبوغهُ ... لتعلو به في الخافقينِ المنائر
ويلمعُ نورُ الشعر فوق طريقنا ... ويضوي فلا يبقى على الدربِ حائرُ

***

ولما رأيتَ الشعر يُلقي عبيره ... ويمضي كما يمضي مع الريح طائرُ
فلا يدرك الظمآنُ فيضَ عيونهِ ... وإن شققت للظامئين المرائر
وقد بُعثر الشادون في كل أيكةٍ ... فلا تلتقي بين الشُّداةِ الأواصر
ويحلو رنينُ الشعر عند سماعهِ ... ويُنسي فلا يبقى من الناس ذاكر
دعاك رحيقُ الشعر فارتحت طائرًا ... كما شدتِ النحل المشوق الأزاهر
جمعتَ رحيقَ الشعر صُنْتَ بريقهُ ... ليبقى كقرص الشمسِ في الفلكِ دائر
وأودعت هذا الشهد والعطر (معجمًا) ... فيا لشهيٍّ في المعاجم نادر
تصون به الفصحى عيون حياتها ... فأين من (البابطين هذا) الذخائرُ

■ محمد عبد الله ولد عمر (*) (1)

يا عاشق الشعر

يا عاشقَ الشعرِ والحب الوريق بخِ(2) ... بـخِ، يلـف المـدى عـزًّا وتمجيـدا
سـماك في كـل بيـتٍ نشـره عبـقٌ ... نـاغى بـه الطفـلُ إلهامًـا وتقليـدا
«بـوح البـوادي» بـوادٍ شـيخها غـزلٌ ... تهـزُّ أوزانـه الصـم الجلاميـدا
مسـحت للضـاد تسترضـي لغرتـه ... حتى أضاءت بـ(نيناوي) و(مدريدا)
وسـرت في موكـب التـاريخ أغنيـةً ... خضـراء تهتـزُّ أغصـانًا أماليـدا

***

يكفيك يكفيك قد حزتَ المدى شـرفًا ... وسـرح مسـعاك في هـام العـلا شـيدا
اتـركْ لغيـركَ ذِكـرًا أو سـبيلَ عـلا ... لـك المعـالي غـدتْ نهجًـا وتقليـدًا
لم يبـقَ مَمدحـةٌ إلا ظفِـرتَ بِهـا ... فهـل يُضـامُ الـذي يبغـى المحاميـدا

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الثالث/ ص651.

(1) محمد عبد الله ولد عمر، شاعر موريتاني، عضو المكتب التنفيذي لرابطة الأدباء الموريتانيين .

(2) بخٍ، اسم فعل للمدح والإعجاب والرضا بالشيء، ويكرر للمبالغة.

■ سليمان العيسى(*) (□)

يا شاعر الناي

يـا شـاعر النـاي .. أقـداحٌ وصـهباءُ؟ أم دفقةٌ .. من يمين السحر خضراءُ
لحن.. وتهمـي سـماوات عـلى شـفتي روضًا وعطـرًا.. وتمشـي فيَّ أنـواءُ
وترتمـــي حلـــوةٌ في بحـــر قافيـــةٍ عطشى.. ويغتبقُ الندمانُ ما شاؤوا
وفجـأة حلـوةٌ أخـرى.. تمـرُّ عـلى جفنيك.. فالكونُ في جفنيك نعماءُ
حنـــاجرٌ.. تتمشـــى روعـــةً وهـــوى والنايُ.. نجمٌ بقلـبِ الليـل وضّـاءُ
يا شاعري.. نحنُ في صنعاءَ .. هات لها ما قالَ بوحُـكَ.. أُمُّ البـوحِ صـنعاءُ
أنـــا الـــذي ذابَ في أعصـــابها وتـــرًا وقلتُ بعض الـذي قـال الأحبـاءُ:
تُحبُّهـا؟ وشوشـوني، والتصـقتُ بهـا شـعثاءُ مـن سـفر التـاريخ غبـراءُ
مـــن مـــنكم لم يجـــد فيهـــا طفولتـــهُ وتخترقهُ – ولو لم يـدرِ – صـنعاءُ؟

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الثاني/ ص315.

(1) سليمان العيسى (1921–2013) شاعر سوري ولد في أنطاكية الواقعة في لواء إسكندرون. له نحو خمسين كتابًا مطبوعًا ، منها دواوين شعرية ومسرحيات شعرية ، وأناشيد للأطفال ، وانظر ترجمته في معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين : 2/ 582.

■ **عبد العزيز جمعة**(*) (1)

دع حديثاً

دع حـــديثًا عـــن قـــدودٍ كالرمـــاحِ ... وتحـدث عـن عُـلا قـومٍ فصـاحِ
أسـرة شـرفها (قحطـان) (2) أصـلاً ... وحباهـا كـل أسـباب النجـاح
عنـدما (عائـذُ) (3) للعـزِّ نماهـا ... قـال هـاكم قمـم المجـد الصُّـراح
ركبـوا للمجـد لمـا أن تبـدي ... من جيادِ الخيـل والنُّـوقِ الوضـاح
فـإذا هـم في سـما المجـد بـدورٌ ... تتبـارى في أفـانينِ الفـلاح
لِبَنـي (البـابطين) (4) في العـالم ذِكـرٌ ... يتغنـى فـوق أوتـار الرِّيـاحِ
يترامـى في بقـاع الأرض طُـرًّا ... ويـدوِّي في سـماوات فسـاح

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الثاني/ ص434.

(1) الشاعر عبد العزيز محمد جمعة شاعر فلسطيني – أردني شغل وظيفة المعاون الفني لأمين عام المؤسسة منذ عمله فيها عام 1997 وحتى وفاته رحمه الله عام 2011م . من مؤلفاته : ديوان شعر «توارت في الحجاب» ، وديوان شعر يضم أعماله الشعرية الكاملة طبعته مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين بعد وفاته ، كما طبعت له أطروحته التي نال عنها درجة الدكتوراه من جامعة الجزائر في كتاب بعنوان «المشهد الإنساني في الشعر العربي قبل الإسلام» .

(2) إشارة إلى أصل أسرة الشاعر عبد العزيز سعود البابطين.

(3) عائذ: اسم الجد الذي تنسب إليه أسرة البابطين وهو من نسل قحطان.

(4) التزم الشاعر اللفظ المحكي لاسم البابطين حسبما ينطقه أهل الخليج العربي بسكون الباء وإخراج الطاء ما بين الفتح والكسر.

أيهـــا الســـائلُ عـــن رفعـــةِ قـــومٍ جُبلـت مـنهم بأسـباب الكفـاح
وأيـــادٍ جودهـــا غطـــى البرايـــا كغيـــوثٍ هـــاطلاتٍ مـــن دلاح
لا تظـــنن قيـــاد المجـــد ســـهلاً لسوى الأفـذاذ مـن أهـل الصـلاح

***

يـا كـريمَ الأصـل سـبحان الـذي قـد مـنح الوجـه ضـياءُ مـن صـباح
يـــا أبـــا السَّـــعدِ مـــلأت القلـــب وُدًّا ولقـــد آذن قلبـــي بـــالبواحِ
وقلـــوبُ النـــاس تبقـــى شـــاهداتٍ في ائـــتلافٍ واخـــتلافٍ مُســـتباح
فـــإذا كشـــر دهـــري قلـــتُ مهـــلاً فسـليلُ المجـدِ ذُخـري وسـلاحي
دُم رعـــاك الله رمـــزًا للمعـــالي وبقيـــتم للوفـــا أســـمى وشـــاحِ

■ **عبد الكريم الحمصي**(*) (1)

غدوت جداولاً وظلالا

اللهُ فـاضَ عـلى الجمـال جمـالا ... فغـدا الزمـانُ مواسـمًا وغـلالا

عـاد امـرؤ القـيس الجميـلُ بخيلـهِ ... وعنيـزةُ لم تنـزع الخلخـالا

وجميـل(2) عـاد بشـعره مترنمًـا ... وبثـينُ غنـت للهـوى مـوَّالا

والمهرجانـاتُ(3) الجميلـة أغـدقت ... شـعرًا يمـوجُ سلاسـلا وسـلالا

يـا سـيدي عبـد العزيـز غـدوت في ... تلـك الكـروم جـداولاً وظِـلالا

وكأنمـا أصـبحت فينـا كعبـةً ... «يـدعو لهـا سـبحانه وتعـالى»

فكأنمـا أصـبحتَ فينـا رائـدًا ... يـردُ الميـاه عـلى الغـدير زُلالا

أرجعـتَ للشـعراء غـابر مجـدهم ... من بعـد مـا كـان الرجـوعُ مُحـالا

فلأنـت في وجـه الحقيقـة عينهـا ... قـرَّتْ هنـاك وحققـتْ آمـالا

ولأنـت في قلـب القصـيدة فرحـةٌ ... نطـقَ اللسـانُ بمـا يحـبُّ وقـالا

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الثاني/ ص442.

(1) الشاعر عبد الكريم خلف الحمصي من الجمهورية العربية السورية، ولد في مدينة درعا عام 1950م. من دواوينه الشعرية : ألحان من اليرموك، صور من صور، وانظر ترجمته في معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين : 3/ 316.

(2) جميل بن معمر، الملقب جميل بثينة (ت 82هـ) شاعر غزلي مشهور .

(3) إشارة إلى مهرجان ربيع الشعر الذي تعقده المؤسسة بشكل دوري في شهر مارس من كل عام.

■ **عبد الله الحقيل**(*) (□)

جامع الإخوان(□)

منـــي الســـلام لجـــامع الإخـــوانِ ... لجـواد صـدقٍ فـاضَ بالإحسـانِ

فـــدعا جمـــوع المبـــدعين تكرمًـــا ... في المهرجـــان رعـــاهم بحنـــان

فلقـــد أتيـــتُ إلى الكويـــت مشـــاركًا ... مـــا شـــاده للشـــعر مـــن بنيـــان

لحضـــورِ حفـــلٍ قـــد زهـــا بمـــودةٍ ... حيـث احتفـى بالنخبـة الأعيـان

بالصـــفوةِ الأدبـــاء ممـــن شـــاركوا ... حفـل افتتـاحِ شـامخ الأركـان

ســـعيًا لترســـيخ المعـــارف والعُـــلا ... وقـــراءةِ الأشـــعار ذات الشـــان

يـــزهينَ في عمـــق المعـــاني والمـــدى ... وبهـــا افتُتنـــا بـــالهوى الفتـــانِ

قـــدمتَ مكتبـــة لكـــل مثقـــفٍ ... يصـــبو لهـــا بعزيمـــةٍ وتفـــانِ

ورفعـت فـن الشـعر طـودًا شـامخًا ... يعلـــو بـــذكرٍ في ربُـــا الأوطـــان

وبهـــا المعـــارفُ والفوائـــدُ جمَّـــةً ... حفلـــت بشـــعر دونمـــا نقصـــان

ولقـــد بـــدت في حلـــةٍ فتانـــةٍ ... تختـالُ في رغـدٍ مـدى الأزمـان

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الثاني/ ص450.

(1) عبد الله حمد الحقيل شاعر من المملكة العربية السعودية كان أمينًا لدارة الملك عبد العزيز سابقًا، وانظر ترجمته في معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين: 3/ 374.

(2) قيلت القصيدة بمناسبة حفل افتتاح مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي بالكويت يوم 6 أبريل 2006م.

سـيظل يـذكرها الجميـع مـردِّدًا ... في كـل عصـرٍ بـل وكـلِّ مكـان

***

يـا روضـةً غنـى عـلى أفنانهـا ... درٌ مـن الأشـعار ذات بيـان

هـذي الكويـتُ اليـومَ تفـتح بابهـا ... والـودُّ تغرسُـه بـذا الميـدان

هامـت بهـا نفـسُ الكـريم تجمُـلاً ... فلهـا التحيـةُ مـن رُبَـا الظهـران(1)

حـازت مكانًـا بـارزًا بقلوبنـا ... ولهـا الـدعاءُ بعـزَّة وأمـان

فاقبـلْ تحيـاتي وصـدق مـودتي ... مقرونـة بالشـكر والعرفـانِ

ولـك التَّهـاني مـن جميـع أحبَّتـي ... بالقلـبِ صـدقًا قبـل قـول لسـاني

وإليـكَ تزجَـى ألـفُ ألـفَ تحيـةٍ ... تتـرى مـدى الأيـام والأزمـانِ

ولكـل مـن حضـروا إلى الحفـل الـذي ... يـزدانُ بالترحيـب والأشـجان

حقِّـقْ إلهـي سـعيَ مـن حفلـوا بنـا ... فهـمُ الكـرامُ بشـعلةِ الإيمـانِ

(1) الظهران مدينة في المملكة العربية السعودية ، تقع في الجزء الشرقي من المملكة بالقرب من ساحل الخليج.

■ **عبد الرزاق العسكر**(*)(1)

من وحي رحلة صيد(2)

رأيت شريطًا قد أثار مشاعري ... فما بين مكسورٍ ضعيفٍ وكاسرِ
(حبارى) ذهولٌ قد أصاب فؤادها ... (وحُرٌّ)(3) تراه انقض صلبَ الأظافر
تلوذ بأطراف الحزيم لعلَّها ... به ما يقيها من عدوٍّ وغادر
ترى الموت منقضًا بدون هوادةٍ ... فتسرع كي تحظى بسترٍ وساتر
(حبارى) تراها يهشِمُ الطيرُ جسمهَا ... فتهوى ويغدو ريشها بالتّناثر
وكم صاحبٍ للطير أثلج صدرهُ ... رؤاها وقد ذلت لمخلب طائر
وكيف لها والكل شمرَ ساعدًا ... وأظهرَ سكينًا تعدُّ لكافرِ
حياةٌ رأوها في البراري جميلة ... يجملها حُسن اللقا بالتسامر
فضاءٌ فسيحٌ ليس فيه سواتر ... روائحهُ فاقت عطورَ المباخر
وصحب تراهم في وئامٍ وألفةٍ ... إذا ما أتى ليلٌ أووا للمجامِرِ
ولكنهم إما بدا البردُ قارصًا ... وزادَ صريرُ الريح وسْط الدياجر

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الثاني/ ص428.

(1) عبد الرزاق عبد العزيز العسكر شاعر كويتي .

(2) يقول الشاعر في مناسبة نظم هذه القصيدة: شاهدت شريطًا يحوي (رحلة صيد) للأخ عبد العزيز سعود البابطين وقد استوحيت من منظره هذه الأبيات بتاريخ 14/ 4/ 1997م.

(3) الصقر.. وهو من الطيور الجارحة.

تـراهم أقـاموا في الصَّـحاري خيـامهم ... تقـيهم سـحابًا لـو أتـاهم بمـاطر
فحينـا يـروا جـوًّا بـه حُسـنَ راحـةٍ ... وحينًـا يُـرى يـأتي بهيـأةِ ثـائر
هـي الـنفس إن تهـوى يهـونُ طِلابُهـا ... ويسهلُ ما قد كـان صـعبَ المصـادر

***

فيـا صـاحبي (عبـد العزيـزِ) وجارَنـا ... (أما تستلذُ العـيشَ غيـرَ مسـافر) (1)
تنقـلْ، ففـي الترحـال أنـسٌ وراحـةٌ ... ولا تـنسَ في التِّرحـال طيـبَ المـآثر
ويـا صـاحبي هـذي تحيـةُ شـاعرٍ ... أتتـكَ وفيهـا فـيضُ كـلِّ مشـاعري
(حُبـارى) تراهـا في الشـريط كبيـرةٌ ... ولم نلـق منهـا غيـرَ حُسـنِ المنـاظرِ

(1) تناص مع بيت الشاعر معروف الرصافي:

«إلى كم تجد البين عني مسافرًا ... أما تستلذ العيش غير مسافر».

الملاحق

مؤسسة

عبد العزيز سعود الباطين الثقافية

بعد انطلاق مؤسسة عبد العزيز سعود الثقافية عام 1989 ، عقدت الدورة الأولى في القاهرة في السابع عشر من مايو عام 1990 ، برعاية الفنان فارق حسني وزير الثقافة المصرى الأسبق ، وقد ألقى الأستاذ عبد العزيز سعود البابطين رئيس مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري كلمة في هذه الدورة قال فيها :

معالي الوزير الفنان الأستاذ فاروق حسني

الإخوة الحضور

لو قيلَ لي تمْلِك الدنيا بأجمعها ... ولا تكون أديبًا يحسنُ الأدبا

لقلتُ لا أبتغي هذا بذاك ولا ... أرى إلى غيرهِ مستدعيًا أربا

لجلسةً مع أديبٍ في مذاكرةٍ ... أنفى بها الهمَّ أو أستجلب الطربا

أبهى إليّ من الدنيا وزخرفها ... وملئها فضَّةً أو ملئها ذهبا

كان حلمًا يدغدغ مشاعري منذ صباي وقفتي هذه بينكم ، فيشهد الله بأن لكم في نفسي وملء جوانحي ولمن سبقوكم من الأدباء الأفاضل كل الإجلال والتقدير والاحترام والمحبة ، إذ كنت أمني النفس فعلاً ومنذ صغري ، وأنا أقرأ للزيّات والعقاد والرصافي والمازني وفهد العسكر والبارودي والمنفلوطي والأخطل الصغير والشابي وغيرهم من شعراء العروبة وأدبائها ، كنت أمني النفس أن أقف بينهم أو بين من يرثونهم لأسهم بوضع لبنة لعلو صرح الأدب عاليًا في وقت

انحسر فيه المد الأدبي إلى أدنى مستوياته للأسف .

وإن هذا الانحسار جعلني أقارن بين حاضرنا وجهلنا التام بتراثنا العظيم وتجاهلنا المحزن له وبين ما كان يحدث منذ عهد قريب .

ففي بداية هذا القرن حيث كانت القاهرة تعج بمنتديات الأدب والثقافة تحدثنا مجلة «الهلال» بان رقاع «بطاقة» الدعوة وزعت لحضور حفل إلقاء القصيدة العمرية للشاعر حافظ إبراهيم .. قصيدة واحدة فكان عدد الواقفين أكثر من عدد المدعوين والجالسين على المقاعد . كان هذا عام 1917 رغم انشغال الناس ـ آنذاك ـ بمعرفة نتائج الحرب العالمية الأولى .

هذا ما جعلنا نفكر في هذا الإسهام المتواضع من خلال هذه الجائزة لعلنا نعيد بجهدنا بعض أمجاد الأدب العربي .

إن تقدم الأمم يقاس بنوعية معطياتها للحضارة الإنسانية من نتاج ، ولقد كان لإسهام العرب قبل قرون مضت ، ولعدة قرون ، الفضل الكبير في رفد الثقافة العالمية بالكثير من الروائع ، وعلى مختلف الميادين ، ذلك العقل العربي هو العقل العربي اليوم ، والمشاعر العربية هي هي لم تتغير ، ولكن هذا بحاجة إلى صقل عن طريق الحوافز التشجيعية والمنافسة الحرة الشريفة لتواكب مسيرة العطاء .

فلقد كان حينئذٍ ـ أيام الزهو ـ تشجيع للشعراء خاصة والأدباء بشكل عام من قبل الخلفاء والأمراء والميسورين له الأثر الكبير في تقدم عجلة الحضارة العربية حيث كانوا ينظمون المسابقات ويخصصون الجوائز ، وكانت الأسواق العربية الأدبية تقام على أرفع المستويات في المربد أو عكاظ في عصر ما قبل الإسلام .

وأتمنى أن يكون للمبادرات الخيرة التي يقوم بها ـ على قلتها ـ بعض الأفراد أو

الهيئات الثقافية أو الرسمية أثر في رفع مستوى الأدب العربي إلى ما كان عليه في سالف الأزمان ، كما أتمنى مخلصًا أن تكون مثل هذه المبادرات نهجًا يتبعه القادرون ماديًا ممن أفاء الله عليهم بفيض للعمل على النهوض بأدبنا العربي من عثرته التي يعيشها اليوم .

إن إقامة هذا المهرجان الأدبي بالقاهرة يعتبر تحية ود وإخاء من الكويت وأهل الكويت وفاءً لكنانة العرب وعرفانًا بالجميل لأدباء مصر ومثقفيها ومعلميها الذي قدموا إلى الكويت والخليج العربي منذ نصف قرن ليساهموا في دفع عجلة التعليم تحت ظل ظروف معيشية كانت صعبة بينما القاهرة عروس الشرق العيش بها رغدًا .

كما أشكر رابطة الأدب الحديث ومقرها القاهرة والتي تبنت الجائزة وقررت أن تحمل اسمي المتواضع فشكري لهم بكل جوارحي ، ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان لمعالي الوزير الأخ الأستاذ فاروق حسني لتفضله برعاية هذا التجمع الأدبي الذي يدل دلالة لا تقبل الشك على اهتمامه بالأدب وأهله وهو يعكس اهتمام السيد حسني مبارك بكل ما هو عربي .

ختامًا يسعدني جدًا أن أقدم تهاني القلبية للفائزين بالجوائز وأن أقول لمن لم يفوزوا بأنهم أيضًا قدموا لتراثهم ما نصبو إليه جميعًا ، فمساهمتهم هذه لها كل التقدير في نفوسنا .

ومن على هذا المنبر يسعدني أن أدعو إخواني وأخواتي في الوطن العربي من محيطه إلى خليجه لأن ينضموا إلينا من خلال هذه الجائزة ويقدموا نتاجهم الفكري وإلى اللقاء في مثل هذا اليوم من العام القادم إن شاء الله .

الأوسمة الرفيعة والجوائز
التي حصل عليها الشاعر

حصل الشاعر عبد العزيز سعود البابطين على العديد من الأوسمة الرفيعة والدروع الجوائز تقديرًا لما قام به من جهد في ميدان الثقافة في المحافل العربية والدولية ومنها :

1ـ وسام «الاستحقاق الثقافي» من الصنف الأول من فخامة رئيس تونس في 1996.

2ـ وسام «الاستقلال» من الدرجة الأولى من جلالة ملك المملكة الأردنية الهاشمية ، في 2001 .

3ـ جائزة الدولة التقديرية من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت في 2002.

4ـ وسام «الأرز» برتبة ضابط من رئيس الجمهورية اللبنانية في 2004 .

5ـ الوسام الذهبي الممتاز من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو ـ ALECSO) ، في المؤتمر الرابع عشر لوزارة الثقافة العرب في القصر الجمهوري بصنعاء ، وكان أول رجل أعمال عربي يمنح هذا الوسام عام 2004.

6ـ وسام الكويت «ذو الوشاح» من الدرجة الأولى من حضرة صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح رحمه الله وناب عنه سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح رئيس مجلس الوزراء (آنذاك) ، تقديرًا لإسهاماته في مجال الثقافة

والتعليم محليًّا وعربيًّا ودوليًّا عام 2005.

7ـ وسام العلم والآداب الفنون الذهبي من رئيس جمهورية السودان، عام 2005.

8ـ وسام برتبة فارس من فخامة الرئيس جيورجيو نابوليتانو، رئيس الجمهورية الإيطالية، في مجال الثقافة وحوار الحضارات، عام 2009.

9ـ وسام الاستحقاق المدني من المرتبة العالية من جلالة ملك إسبانيا خوان كارلوس، تقديرًا لجهوده الثقافية في الأندلس، والتي كان من نتائجها قرار حكومة الأندلس تدريس اللغة العربية في مدارسها، عام 2009.

10ـ «جائزة توما الأكويني للثقافة» من جامعة قرطبة، تقديرًا لما قدمه من خدمات علمية للجامعة ولحضارة إقليم الأندلس، عام 2010.

11ـ الوسام الرفيع من سمو الشيخ حميد بن راشد النعيمي حاكم عجمان، عام 2010.

12ـ «وسام جامعة سراييفو الذهبي» وهو ثالث شخصية تحصل على هذا الوسام، بعد مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا السابق، ورجب طيب أردوغان رئيس تركيا حاليًّا، تقديرًا لجهوده في حوار الحضارات، عام 2010.

13ـ وسام الشرف برتبة الكوماندوز من نوع الهلال الأخضر القمري من الدكتور إكليل ظنين رئيس جمهورية القمر المتحدة، عام 2011.

14ـ وسام البرلمان المالطي من سعادة رئيس البرلمان السيد مايكل فريندو، تقديرًا لجهوده في حوار الثقافات، عام 2011.

15ـ وسام التميز رفيع المستوى على النطاق الدولي من كلية وولدنبرج الدولية البريطانية، عام 2012.

16ـ وسام دولة فلسطين للثقافة والعلوم والفنون (مستوى الإبداع) من فخامة الرئيس محمود عباس ، تقديرًا لإسهاماته الخيرة في دعمه للشعب الفلسطيني ونصرة قضيته العادلة ، عام 2014 .

17ـ جائزة السلام العالمية لعام 2015 من «مؤسسة البحر الأبيض المتوسط» في إيطاليا ، والتي نالها في السنوات الماضية على جائزة نوبل في المجالات المختلفة .

18ـ وسام الاستحقاق الرئاسي من الدرجة الممتازة في المسئولية الاجتماعية من فخامة الرئيس عمر حسن البشير رئيس جمهورية السودان في الحفل الذي أقامه الملتقي الإقليمي الثاني للسفراء الدوليين للمسؤولية الاجتماعية لعام 2015 في الخرطوم .

19ـ الوسام الوطني للاستحقاق الثقافي من الصنف الأكبر من فخامة الرئيس التونسي الباجي قايد السبسي ، تقديرًا لجهوده الثقافية التي بذلها حول العالم في ترسيخ ثقافة المحبة والسلام ، عام 2016 .

التعريف بالمؤلف

محمد رضوان

ـ ولد محمد محمود رضوان بمدينة الجمالية ـ محافظة الدقهلية بمصر في 15 سبتمبر 1948 .

ـ حصل على ليسانس كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام 1971 وعمل صحفيًا بمجلة الهلال عام 1973 .

ـ عضو نقابة الصحفيين ـ عضو اتحاد كتاب مصر (جوال : 01006759224 (مصر 0202) .

ـ من الأدباء والنقاد الذي تناولوا مؤلفاته بالدراسة والنقد والتحليل (صالح جودت ـ أنيس منصور ـ أحمد عبد المجيد ـ د. يوسف نوفل ـ عبد العليم القباني ـ د. مقداد يالجن ـ د. ماهر شفيق فريد ـ كمال النجمي ـ كمال نشأت ـ فاروق شوشة ـ محمد إبراهيم أبو سنة ـ حسن فتح الباب) .

ـ له خبرة في الصحافة الأدبية والسياسة ، حيث عمل في سلطنة عمان رئيسًا لتحرير مجلة السراج الأدبية (1976 ـ 1977) ، (1992 ـ 1994) ، ومديرا لتحرير مجلة (النهضة) السياسية (1982 ـ 1993) .

ـ ابتدع لنفسه منهجًا أدبيًا في كتابة السير سماه (المنهج الوجداني) يجمع بين الموضوعية والعاطفية ، بين التحليل الأدبي النفسي وذاتية الكاتب وذوقه الأدبي ، ولعل بداياته القصصية هي التي ساعدته في تأصيل هذا المنهج ، فوصفه السفير الشاعر أحمد عبد المجيد (حين يتولى محمد رضوان كتابة سيرة لشاعر من الشعراء

نراه يدلف إلى روحه ويتسرب إلى حياته وما اضطرب فيها من حال إلى حال ، ويتشح برداء عصره الذي عاشه ، ويتنسم ما كان يستنشقه ، فتجئ ترجمته كظل الغصن أو رجع الصدى) .

ـ له أكثر من عشرين كتابًا في أدب السير منها : صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك ـ مأساة شاعر البؤس : عبد الحميد الديب ـ اعترافات شاعر الكرنك أحمد فتحي ـ شاعر الأطلال ناجي ـ شاعر الجندول علي محمود طه ـ شاعر النيل والنخيل : صالح جودت ـ رحلتي مع القلم ـ عندما يحب الشعراء ـ شعراء الحب شاعر الهمسات : أحمد عبد المجيد.

ـ قام بجمع وتحقيق ودراسة :

ـ ديوان شاعر البؤس ، عبد الحميد الديب (المجلس الأعلى للثقافة) ـ القاهرة 2000 .

ـ ديوان شاعر الكرنك ، أحمد فتحي (منشورات سندباد الشعر) ـ القاهرة 2007 .

ـ ديوان شاعر الجندول ، علي محمود طه (هيئة قصور الثقافة) ـ القاهرة 2010 .

ـ ديوان شاعر الحب والحرية (صالح جودت – 2012) القاهرة .

الفهرس

مقدمة محمد رضوان ناقدا ومؤرخا أدبيا : د.ماهر شفيق فريد 5

مقدمة : لماذا شاعر البوادي الخضر : محمد رضوان..... 11

الفصل الأول : سيرته وثقافته 21-32

الفصل الثاني : شاعر الوجدان العاطفي 33-68

الفصل الثالث : شاعرًا رومانسيًا 69-88

الفصل الرابع : شاعر الوجدان القومي 89-104

الفصل الخامس : عبد العزيز سعود البابطين شاعرا غنائيا 105-114

الفصل السادس : شاعر البوادي الخضر في مرآة النقد..... 115-160

الفصل السابع : عبد العزيز سعود البابطين في مرآة الشعراء 161-178

الفصل الثامن : من شعر عبد العزيز سعود البابطين 179-208

الملاحق 211-217

ـ انطلاق مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية في القاهرة 212

ـ الأوسمة الرفيعة والجوائز التي حصل عليها الشاعر 215

التعريف بالمؤلف 218